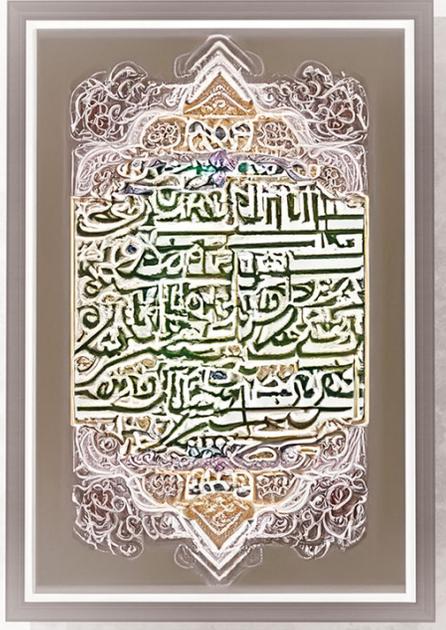


# تاريخ علم الكلام

عصر الإمامة الثاني (١٤٨هـ - ٣٢٩هـ)

الجزء الثالث



تأليف

مجموعة باحثين

إعداد

الشيخ الأسعد بن علي قيدارة

# تاريخ علم الكلام

عصر الإمامة الثاني

(١٤٨ هـ - ٣٢٩ هـ)

الجزء الثالث



# تاريخ علم الكلام

## عصر الإمامة الثاني

(١٤٨ هـ - ٣٢٩ هـ)

الجزء الثالث

تأليف  
مجموعة باحثين

إعداد  
الشيخ الأسعد بن علي قيدارة



تاريخ علم الكلام : عصر الامامه الثاني (١٤٨هـ - ٣٢٩هـ). الجزء الثالث / مجموعة باحثين ؛ تقديم وتحرير الشيخ الاسعد بن علي قيدارة.-الطبعة الأولى.-النجف، العراق : العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ١٤٤٥ هـ = ٢٠٢٤ .  
مجلد : ايضاحيات ؛ ٢٤ سم.  
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.  
ردمك : ٩٧٨٩٩٢٢٦٨٠١٩٤  
١ . علم الكلام (شيعية)--حتى القرن ٤ هـ . أ. قيدارة، الاسعد بن علي، 1964- ، مقدم. ب.  
العنوان.

**LCC : BP194. T37 2024**

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة  
فهرسة اثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٠٩) لسنة (٢٠٢٤م)

- الكتاب: تاريخ علم الكلام، عصر الإمامة الثاني (١٤٨ هـ - ٣٢٩ هـ) الجزء الثالث.
- الإشراف العام: السيد هاشم الميلاني- الشيخ حسن الهادي.
- المدير العلمي: الشيخ الأسعد بن علي قيدارة
- مساعد المدير العلمي: محمد بن عبدالله بنعمارة
- تأليف: مجموعة باحثين
- الناشر: العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.
- الطبعة: الأولى ٢٠٢٤م - ١٤٤٥هـ.

Website: [www.iicss.iq](http://www.iicss.iq)

E-Mail: [islamic.css@gmail.com](mailto:islamic.css@gmail.com)

Telegram: @iicss

## الفهرس

٧	مقدمة المركز
١١	المدخل
	<b>.أدوار الإمام موسى بن جعفر الكاظم <small>عليه السلام</small> في التأسيس الكلامي</b>
٢٣	الشيخ سامر توفيق عجمي
	<b>.أدوار الإمام علي بن موسى الرضا <small>عليه السلام</small> في التأسيس الكلامي</b>
٩٧	د. علي الحاج حسن
	<b>.أدوار الإمام محمد بن علي الجواد <small>عليه السلام</small> في التأسيس الكلامي</b>
١٤١	د. عبد الكريم الشبلي
	<b>.أدوار الإمام علي بن محمد الهادي <small>عليه السلام</small> في التأسيس الكلامي</b>
١٨٧	د. عبد الكريم الشبلي
	<b>.أدوار الإمام الحسن بن علي العسكري <small>عليه السلام</small> في التأسيس الكلامي</b>
٢٣١	الأستاذة زينب فهدا
	<b>.التأسيسات الكلامية في عصر الغيبة الصغرى</b>
٢٧٣	الأستاذ قاسم شعيب



## مقدمة المركز

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين (عليه السلام)،  
وبعد...

لا يخفى على من تتبّع النصوص الدينية أهميّة المعرفة والعلم في هدفة خلق الله عزّ وجلّ للإنسان، والمعرفة لا تتولّد بطريقة ذاتية عند الإنسان، وإنما يكتسبها ويتجها بالأدوات والقوى التي وهبها الله تعالى له، وقد حثّ الإسلام الإنسان بألسنة مختلفة، كما يظهر من مدلول العديد من الآيات القرآنية، على التعلّم والتفكّر والتدبّر والتأمّل والنظر والتعقل...، ورغبه في إنتاج المعرفة وتوليد العلم، وحمله مسؤوليّة إيصال المعرفة إلى الآخرين وبثها وبذلها لهم. روي عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «قرأت في كتاب عليّ (عليه السلام)! إن الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم، حتى أخذ على العلماء عهداً يبذل العلم للجهال...»<sup>[1]</sup>.

يبدو الحديث عن تاريخ العلوم الإسلامية عمومًا، وتاريخ علم الكلام بالتحديد، غريبًا، فنحن بهذا التوجّه نجمع بين مجالين يبدوان للوهلة الأولى مختلفين ومتنافرين: التاريخ وانشغالاته في استرداد الماضي، ودراسة الوثائق، وإعادة بناء الحوادث في تسلسلها الزمني؛ وبين العلوم الإسلامية التي تدور مدار النصوص الشرعية، وتستهدف بناء المعارف الدينية في المعتقد والأفكار الكبرى، والأحكام والشرائع، والقيم والأخلاق. وهذا الاستيحاش من المقاربة التاريخية للعلوم الإسلامية يبدو مفهومًا خاصّة في

[1]- الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب، الكافي، ط 4، ج 1، ص 41.

البيئات التي احتلت فيها مسائل العلوم الأولوية القصوى، كضلعٍ مركزيٍّ من الأضلاع المعرفية. حيث احتلت مسائل العلم في الإنتاج العلمي في المنظومات المعرفية القديمة الأولوية على ما عداها، وتأتي الأضلاع الأخرى في درجة ثانية من الاهتمام، كمناهج العلوم، ولغتها، ومصطلحاتها، ومبانيها، وتكاملها الاستمولوجي... ذلك كله يعدّ قضيةً فرعيةً جانبيةً أمام استمرار تدفق تآليف ومدونات مسائل العلوم.

ويعتبر علم الكلام من أهم العلوم الإسلامية، وأقدمها تاريخًا، وأشدّها حساسيةً، حيث إنّه لا بدّ لكلّ مسلم أن يتخذ موقفًا واضحًا من أصول الاعتقادات، ويبنى عليها عقيدته الإسلامية، فعليه أن يتحرّى في الأصول الدليل الصحيح والمقنع، كما وعليه أن يسأل حتّى يصل إلى ما يطمئنّ له باله وقلبه. وقد ورد في القرآن الكريم، وعن النبي ﷺ، والأئمة المعصومون عليهم السلام من بعده، وكذا المسلمون الأوائل لكثير من الأدلة الفطرية والعقلية الداخلة في ضمن المسائل الاعتقادية، لا سيّما الأصول منها، وهذا ممّا يدلّ على عمق هذه الأبحاث في تاريخ العلوم الإسلامية، وعلى شدة أهميتها، وحساسيتها. وإنّ اختلاف الفرق الإسلامية منذ العصر الأوّل الإسلامي، حتّى العصر الحاضر وتمسك كلّ فرقةٍ بأطروحتها وأدلتها، ومحاولة الردّ على أدلة باقي الفرق، وغير ذلك من الأسباب، أدّى إلى تطوّر هذا العلم، واتساع مسأله، وجعله من أكثر العلوم الإسلامية حيويةً.

ولتعميق فهم بحوث هذا العلم ومسائله كان من الضروريّ العودة إلى جذوره التاريخية، ودراسة تاريخ هذا العلم ومدخله في نموّ العلم نفسه وتطوره، فقد أكّدت الدراسات المعرفية التّرابط بين تاريخ العلم وحتمية التطوّر التاريخي؛ لأنّ تاريخ العلم يساعد على فهم نظريات العلم، فهو يُبيّن كيف نشأت تلك المسألة، وكيف تفرّعت الأقوال فيها، وما طبيعة السّجلات التاريخية التي جرت حولها.

وتمكّن دراسة تاريخ العلوم الباحثين والدّارسين على القدرة الاستشراعية لآفاق ذلك العلم وما نتوقّعه من مساراتٍ مستقبليةٍ له في أركانه المعرفية، واهتماماته، وعلاقاته

بالعلوم الأخرى... وهكذا يتجلى لنا أنّ تاريخ العلم ليس مجرد استردادٍ للماضي في وقائعه وتسلسل أحداثه، ومحاولة إعادة بناء هذا الحدث كما وقع. بل إنّ تاريخ العلم هو جهدٌ علميٌّ منظمٌ يقوم على التحقيق والتحليل التاريخي، من خلال الحفريات العلمية متعدّدة الأبعاد للوصول إلى مسارات نموّ ذلك العلم وتكامله في الجهات كلّها، من: جهة النشأة، التحوّلات الكبرى، المنعرجات الحاسمة، والعلاقة بالعلوم الأخرى...؛ قصد بلوغ منطقيّ علميٍّ في تفسير الرسم البيانيّ لمسيرة العلم في علاقته الجدليّة بمنظومة المعارف الإنسانيّة عمومًا والعلوم الإسلاميّة بالخصوص، كما يمكننا هذا المنطق من استشراف مستقبل العلم والقدرة على التنبؤ العلميّ بالتحوّلات المتوقّعة، وبالتالي الاستعداد لتحديات الغد كلّها ومقتضياتها.

وانطلاقًا من القيمة المعرفيّة والحضاريّة لهذه الأعمال في تاريخ العلوم، أطلق المركز الإسلاميّ للدراسات الاستراتيجية -بعون الله وتسديده - مشروع تاريخ الكلام الإماميّ، هو عبارة عن سلسلة معرفيّة موضوعيّة تتناول تاريخ كلام الشيعة الإماميّة في أبعاده جميعها: من حيث النشأة، والتحقيب التاريخيّ لعصور الكلام الإماميّ إلى يومنا الحاضر، والأعلام، والحواضر والمدارس العلميّة، والنظريات الكلاميّة التي توالى وتوالدت عبر الزمن...، وسيلمس القارئ عبر تسلسل أقسام هذا المشروع تغطيته لكلّ هذه القضايا.

ختامًا، نتقدّم بخالص الشكر والامتنان لكلّ من ساهم في إنجاز هذا العمل المبارك من مدير مشروع تاريخ الكلام الإماميّ الشيخ الأسعد بن علي قيادرة، والهيئة العلميّة، ومن مجموعة الباحثين والباحثات، وفريق المركز في التحرير والتدقيق والإخراج، ونسأل المولى تعالى أن يكافئهم على مثابرتهم، وصبرهم، وحسن تعاونهم، فإنّه سبحانه لا يضيع لديه ثواب العاملين.

**والحمد لله ربّ العالمين**

**المركز الإسلاميّ للدراسات الاستراتيجية**



## المدخل

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ ﷺ المصطفى الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وجعلهم أسوة للعالمين، وملاًذاً للمؤمنين، وعصمةً للمتقين، وخلاصاً للناس أجمعين.

بعد الكتاب الأوّل (المدخل وإرهاصات التأسيس)، والكتاب الثاني (عصر الأئمة الأوّل)، يأتي هذا الجزء الثالث من مشروع تاريخ الكلام الإماميّ (عصر الأئمة الثاني). ويمتدّ هذا العصر من بداية إمامة الإمام موسى الكاظم ﷺ إلى نهاية الغيبة الصغرى للإمام المهديّ ﷺ، أي من سنة ١٤٨ هـ إلى سنة ٣٢٩ هـ.

والسرّ في تقسيم تاريخ الأئمة ﷺ إلى حقتين اثنتين، لا يخفى على القارئ اللبيب، بعد أن بيّنا سابقاً؛ في مقدّمة الجزء الثاني، وفي ضوء نظريّة وحدة الهدف وتنوّع الأدوار في سيرة الأئمة ﷺ؛ أنّ عصر الإمام الصادق ﷺ يمثل تحوّلاً عميقاً في تاريخ المذهب وتأصيل خصوصيّاته العلميّة في مختلف المجالات: الكلام، الفقه، الحديث... وأنّ الإمامة من بعد الصادق ﷺ واجهت تحديّاتٍ سياسيّةً كبيرةً تعيّرت معها استراتيجيّة الأئمة ﷺ، فهذه المرحلة، تحمل من الخصوصيّات ما يرجّح اعتبارها عصرًا قائمًا بنفسه، وإن كانت من جهة العنوان العام امتداداً لعصر النصّ وفترة الإمامة.

ففي هذه الحقبة، سيعيش المذهب الإماميّ، الذي اكتمل بناؤه وتجدّرت أصوله، مساراً تاريخياً صعباً في ظلّ محاولات السّلطة محاصرة الأئمة ﷺ والحيلولة دون امتداد خطّ الأئمة ومدرسة التشييع الإماميّ في أوساط الأئمة، داخل عواصم الدول، وفي آفاق البلاد الإسلاميّة.

فكان السجن والتنكيل بالإمام الكاظم عليه السلام (١٢٨ هـ - ١٨٣ هـ) أسلوب هارون العباسي، وكانت سياسة الاحتواء بمنح ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام (١٤٨ هـ - ٢٠٣ هـ) هي طريقة المأمون العباسي. أمّا الإمام الجواد عليه السلام (١٩٥ هـ - ٢٢٠ هـ) والإمام الهادي عليه السلام (٢١٢ هـ - ٢٥٤ هـ) والإمام العسكري عليه السلام (٢٣١ هـ - ٢٦٠ هـ)، فكان نصيبهم من السياسة العباسية الحصار وفرض شبه الإقامة الجبرية عليهم. ومن الطبيعي أن ينتهي المطاف بهم جميعاً إلى الاستشهاد؛ لأنّ صمود الأئمة وثباتهم، وتمكّنهم من إجهاض هذه المخططات بشتّى أشكالها، دفع طواغيت بني العباس إلى اليأس من محاولاتهم واللجوء في الأخير إلى التصفية والقتل.

وفرضت طبيعة هذه الحقبة التاريخية الممتدة (من ١٤٨ هـ إلى ٣٢٩ هـ) على الأئمة الأطهار عليهم السلام أولويات جديدة، إضافة إلى ثوابت أدوارهم في حياة الأمة، وهي:

أولاً: اعتماد أساليب جديدة في التواصل مع الأصحاب، وتعميق السرية في العلاقات بالإمام.

ثانياً: التركيز على تهيئة الناس لغيبة الإمام المهدي عليه السلام، والتأكيد على المفاهيم العقدية لانتظار الفرج.

ثالثاً: التحذير من الغلاة وسائر المنحرفين داخل المذهب، فهذه الظاهرة وإن بدأت بواكبرها مع الإمامين الباقر والصادق عليهم السلام لكنها تنامت في هذا العصر.

رابعاً: التأكيد على مفهوم زيارة الأئمة الأطهار، وبالخصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام، والتي غدت شكلاً من أشكال التعبئة الفكرية والمعنوية للشيعة. وقد قدّم الشيعة في سبيلها التضحيات الجسام، خاصة في عصر المتوكل العباسي، الذي بلغ به الحقد والعداء إلى تخريب قبر الإمام الحسين عليه السلام والتنكيل بالزوار.

وآل هذا العصر إلى غياب الإمام الثاني عشر غيبة كبرى بعد أن مهد لها بغيبة صغرى، اتخذ فيها سفراء يشكّلون رابط الاتصال مع أصحابه وشيعته، وهياً الشيعة لهذا التحول

التاريخي الكبير الذي بنى بنهاية عصر النص، وبدء عصر جديد، تُوكَل فيه مهمة حفظ الدين، والدود عن العقيدة، وصون هوية الأمة، إلى العلماء الربانيين والمجتهدين الأبرار. وهكذا، وفي نطاق هذه القراءة العامة لعصر الأئمة الثاني، والرؤية الكلية لمسيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام جاءت فصول هذا الكتاب شارحةً ومبيّنةً الأدوار التفصيلية لكل واحد من هؤلاء الأئمة الستة (من الإمام الكاظم إلى الإمام المهدي عليه السلام) في التأسيس الكلامي والتأصيل العقدي.

وكما بيّنا في مقدّمة الجزء الثاني، فهذه الحقبة التاريخية (عصر الإمامة الثاني) حالها حال الحقبة الأولى (عصر الإمامة الأولى)، في استنادها لمنهجية موحّدة - ما أمكن - تستهدف دراسة أدوار كل إمام من الأئمة الأطهار عليهم السلام في تأسيسات علم الكلام انطلاقاً من رؤية شاملة تحيط بالعناصر الآتية:

#### ١- التعريف بالإمام

٢- نبذة مختصرة عن عصره، وعن إمامته، والتحديات السياسية والاجتماعية التي واجهها.

٣- الأدوار العلمية والدينية العامة التي أداها.

٤- العقيدة من منظور الإمام: قراءة تحليلية موضوعية للمأثور الروائي للإمام فيما يتعلّق بأصول الدين.

٥- القضايا والإشكالات العقدية والفكرية التي طرحت في هذا العصر ومعالجات الإمام عليه السلام.

٦- التعريف بأصحاب الإمام وتلاميذه من أهل الكلام وأدوارهم في هذا المجال.

٧- محاججات الإمام ومناظراته عليه السلام وسجلاته مع أرباب الأديان الأخرى والمذاهب المخالفة.

٨- دراسة تحليلية للانشقاقات عن الإمامية والفرق المنشقة في عصره.

٩- مآلات علم الكلام في نهاية هذا العصر.

ولكن الدراسات التي قدّمها الباحثون الأعزاء (في هذا الجزء الثالث أيضًا) تفاوتت من حيث الإحاطة بهذه العناوين، فغلب على بعضهم نفسه الرجالي واستأثر اهتمامه بدراسة أصحاب الإمام ورموز مدرسته، وطغى على بعضهم الآخر نفسه التاريخي، ومن الباحثين من اعتنى بعناية خاصة بدراسة المحيط الديني والمذهبي لعصر الإمام ودوره في التصدي لتلك التيارات والمذاهب وبالمناظرات والردود.

نعم، لم يخلو الأمر من بحوث اتّسمت بالشمولية وحاولت أن تقدّم قراءة أكثر موضوعية لطبيعة العصر وأبعاد دور الإمام.

وآلت هذه الجهود المباركة للباحثين الأعزاء، إلى استكمال هذا الجزء الثالث من تاريخ الكلام الإمامي والمؤلف من ستة فصول في تسلسلها الآتي:

## المبحث الأول: أدوار الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في التأسيس الكلامي

اعتبر الباحث أنّ حياة الإمام الكاظم عليه السلام حلقة في سلسلة مدرسة أهل البيت، التي تحرّكت في ضوء خطة تهدف إلى تحقيق الغايات الإلهية على الأرض، وأهمّها: بناء الإنسان الصالح، والسعي في إزالة كلّ ما يمكن أن يشكّل مشكلة في طريق الوصول إلى الهدف.

وشرح الباحث كيفية تحرّك الإمام الكاظم عليه السلام في سبيل تحقيق الأهداف الإلهية، ونشر المعارف التوحيدية ضمن خطّين:

الأول: الخطّ البنائي والتأسيسي.

والثاني: الخطّ الدفاعي والمواجهة.

- وأهمّ الأدوار البنائيّة التي قام بها الإمام الكاظم عليه السلام على مستوى الخطّ الأوّل:
- التصدّي للإمامة الدينيّة وتأكيد مرجعيّة أهل البيت عليهم السلام الكلاميّة في أخذ المعارف التوحيدية، وأصول الدين وفروعه.
  - الاستمرار في إدارة شؤون جامعة أهل البيت التي أسّسها الإمام الصادق عليه السلام والتدريس والتعليم فيها.
  - إحياء المنطق القرآنيّ في الاستدلال على القضايا العقائديّة والكلامية وغيرها.
  - تنشيط حضور الحديث النبويّ في الحياة الثقافيّة العامّة للأمة.
  - بناء الكادر التخصصيّ في الميادين المعرفيّة والدينيّة المختلفة.
  - الحفاظ على وحدة الجماعة الشيعيّة وتماسكها.

وقد تمكّن من نشر المعارف التوحيدية الأصيلة بين الناس، فاحتفّ به عليه السلام جماعة من كبار العلماء ورواة الحديث الذين كان لهم دور كبير في الترويج لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

أمّا على مستوى الخطّ الثاني، فقد حلّل الباحث كيف واجه الكاظم عليه السلام تحديات كثيرة نتيجة الظروف الصّعبة والقاسية التي أنتجتها طبيعة عقليّة خلفاء بني العباس وطريقة تعاملهم معه عليه السلام ومع الجماعة الشيعيّة المحبّة لأهل البيت عليهم السلام، والتي تعتقد بكونهم الأحقّ بخلافة رسول الله؛ لما يتمتعون به من مميّزات وخصائص معرفيّة وأخلاقيّة وروحيّة وسلوكيّة...

وأهمّ تلك التحديات التي واجهها الإمام الكاظم عليه السلام تكمنُ في أمرين:

**الأوّل:** مؤامرات السّلطة الحاكمة، ولكنه عليه السلام تمكّن من القيام بدوره في القيادة والإمامة وتحقيق الأهداف، رغم كلّ ألوان الحصار والسجن والاعتقال والتضييق. ورغم ما عاشه الإمام في السجن، وقسوة الظروف وشدّتها، روي عنه الكثير في الميادين المعرفيّة المختلفة: العقيدة، والأخلاق، والفقه، والشريعة، والتاريخ، والتفسير...

الثاني: الفرق والتيارات والاتجاهات المنحرفة التي كان يُعاشها الإمام عليه السلام، سواء أكان داخل المناخ الشيعي العام، كالإسماعيلية والناوسية والقرامطة والغلاة والزيدية... أو تلك التي تتحرك داخل الفضاء الإسلامي، كالمعتزلة والمجسمة والحنفية...

ونوّه الباحث بالإرث العظيم الذي تركه الإمام الكاظم في سياق حركته على مستوى الخطّين، وضرورة اعتناء الباحثين بهذا الموروث الروائي وهذه المواقف التاريخية اللافتة والأدوار الريادية المؤثرة.

### المبحث الثاني: أدوار الإمام الرضا عليه السلام في التأسيس الكلامي

سعى الباحث في هذه الدراسة إلى تقديم موجزٍ عن علم الكلام وتطوّره في عهد الإمام الرضا عليه السلام، باعتباره أحد العصور التي شاع فيها البحث والنقاش الديني والعقائدي، معتمداً في ذلك على منهجي الوصف والتحليل اللذين يُتّيحان استقصاء الأجزاء الفكرية والكلامية وتقديم صورةٍ مجملّةٍ عنها.

وبناءً عليه، قسّم الكاتب دراسته إلى ثلاثة مطالب: عالج المطلب الأوّل منها الأجواء العامّة التي عاش فيها الإمام الرضا عليه السلام، في حين أضاء المطلب الثاني على الفرق الكلامية التي سادت تلك الحقبة الزمانية ودور الإمام الرضا عليه السلام في مواجهتها والردّ على شبهاتها عبر المناظرات. وأمّا المطلب الثالث، فقد سلّط الضوء على الأفكار الكلامية عند الإمام الرضا عليه السلام.

وخلص الباحث من بحثه إلى أنّ الإمام الرضا عليه السلام نجح في إثبات حضوره، وتثبيت العقائد الحقّة في أجواء تعكس مقدار الاضطراب الفكري الذي عاشه العالم الإسلامي. فمن جهة، كان العباسيون يسعون لإظهار تفوّق الفرق الكلامية المعاندة لطريقة أهل البيت عليهم السلام. ومن جهة أخرى، اشتدّ البحث والتناظر والجدال في أجواء لم يشهدها هذا العالم من قبل.

ووقف الإمام عليه السلام في وجه كلّ تلك المؤامرات والتحدّيات وأفشلها، وواجه الفرق في مدّعياتها داحضاً وشارحاً ومبيناً، وأرسى منهجاً جديداً في الكلام يقوم على الجمع بين النصّ والعقل.

كما تلمّس الباحث منهجه عليه السلام في تربية طلبة أخذوا على عاتقهم نشر فكر أهل البيت عليهم السلام، وتركوا تأثيرهم على مستوى مستقبل الكلام الإسلامي في العصور اللاحقة.

### المبحث الثالث: أدوار الإمام الجواد عليه السلام في التأسيس الكلامي

خلص الباحث في هذه الدراسة التحليلية الموجزة لعصر الإمام الجواد عليه السلام إلى نتائج مهمة، آل إليها البحث بإبراز أدواره في الانتصار للعقيدة الحقّة، وإبطال المذاهب المنحرفة من داخل الدائرة الشيعيّة، ومن خارجها. وتحليل النجاحات التي حقّقها في الحفاظ على مسيرة الإمامة، والجماعة المؤمنة في التاريخ، رغم كلّ الظروف الصّعبة التي اكتنفت هذه المسيرة، ورغم التّحدّيات التي واجهها والتي لا نجد لبعضها نظيرًا في سيرة الأئمّة السابقين له. ويمكن أن نجمل ذلك كلّ في النقاط الآتية:

**أولاً:** جسّدت إمامة الجواد عليه السلام تدشينًا لظاهرة جديدة في تاريخ الإمامة، ألا وهي الإمامة المبكرة، فكان أوّل إمام يتصدّى لهذا المنصب في سنّ الصّبا، وذلك تمهيدًا للإمامة المبكرة للأئمّة من بعده، كابنه الإمام الهادي عليه السلام، وبالخصوص لإمامة المهدي عليه السلام.

**ثانيًا:** إثبات جدارة خطّ أهل البيت عليهم السلام للقيادة والإمامة، وإفشال كلّ مؤامرات السّلطة لاحتواء الإمام أو للاستفادة من تقرب الحكام منه لإضفاء شرعيّة على سلطانهم.

**ثالثًا:** إفشال كلّ محاولات التسقيط والتوهين التي سعت لها السّلطة إزاء الإمام.

**رابعًا:** تعميق المفاهيم العقائديّة الأصيلة في التوحيد، والتنزيه، والنبوّة، والإمامة، والغيبة....

**خامسًا:** مواجهة الفرق المنحرفة والاتّجاهات الضّالة في السّاحة الإسلاميّة العامّة، كالمعتزلة والمجسّمة، والمشبّهة، وفقهاء السّلطة.... وفي داخل الدائرة الشيعيّة، كالواقفة، والغلاة...

سادساً: التمهيد للإمامة المبكرة للإمام الهادي، وللإمام الحجّة أيضاً.

سابعاً: التمهيد لغيبة الإمام المهديّ ﷺ وتعزيز أسلوب الوكلاء وتضييق دائرة الاتّصالات المباشرة بشيعته.

### المبحث الرابع: أدوار الإمام الهادي ﷺ في التأسيس الكلامي

تصدّى الإمام الهادي ﷺ لمسؤوليات الإمامة مبكراً بعد شهادة والده الإمام الجواد ﷺ رغم صغر سنّه، فطُرحت من جديد إشكاليّة إمامة الصغير أو الإمامة المبكرة، وظهرت مفاهيم غيبية الإمام، وبالتالي المهدويّة وعلم الإمام، والمعجزة، والكرامة..

وهذا البحث محاولة لدراسة تاريخ علم الكلام الشيعي وتطوره في زمن الإمام الهادي ﷺ، وهو زمن سادت فيه مقولات المعتزلة، والحشوية، والغلاة، بدعم السلّطة وتوجيهها، فترسّبت الشبهات إلى العقائد. فكانت الحاجة ملحةً للتصدّي لهذا الانحراف من قبل الإمام ﷺ، وعلى الرغم من التزام الإمام الهادي ﷺ بالتقيّة، وتعرّضه للإقامة الجبريّة في مدينة العسكر، وحظره من مخالطة المسلمين، إلّا أنّه سعى جهده للدفاع عن الدين الحنيف بطرق مختلفة.

ومن النتائج التي خلص إليها الباحث ما يلي:

- استمرّت إمامة الإمام عليّ الهادي ﷺ أربعاً وثلاثين سنة، وكانت مرحلة انتقالية من الإمامة الظاهرة إلى الإمامة الغائبة.
- اعتبر الإمام الهادي ﷺ الغلوّ والتطرّف ظواهر منحرفة، وواجهها بأشكال مختلفة.
- دعا أصحابه إلى عدم الخوض في المهارات التي ذهبت بالأرواح البريئة، ولم يستفد منها إلّا الجهاز الحاكم بإلهاء الناس.
- عند الضرورة لجأ الإمام إلى تحديّ السلّطة عبر مواجهة المتفقّهين والردّ عليهم في مسائل كثيرة.

- واصل الإمام الهادي عليه السلام المسيرة الرسالية للأئمة من قبله، في بيان العقائد، كمعرفة الله وتوحيده وصفاته.

- عمل الإمام الهادي عليه السلام على تكريس دعائم نظرية «الأمر بين أمرين» البديلة للجبرية والمنووضة منذ عهد الإمام الصادق عليه السلام، وقد توسع الإمام الهادي عليه السلام في تأصيل هذه النظرية في ضوء آيات القرآن الكريم، وما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام، وما دلّ عليه العقل.

- اهتم الإمام عليه السلام بجهاز الوكالة وسعى إلى تطويره وصيانتها من عوامل الضعف والانهدام. وأعدّ وكلاء خاصين به في أنحاء البلدان الإسلامية؛ ليثبوا علوم أهل البيت، وليمهدوا الأرضية لخلفهم من وكلاء للإمام العسكري عليه السلام، ومن ثمّة للإمام الحجة المنتظر في غيبته الصغرى.

- في زمن تفشي الأهواء والعقائد الفاسدة، استند الإمام الهادي إلى الدعاء وزيارة الأئمة، كوسيلة لتبليغ المفاهيم الفكرية السليمة والقيم الروحية لشيعة ومواليه، ولتركيزها وتنمية الجانب الروحي والفكري لأصحابه.

#### المبحث الخامس: أدوار الإمام الحسن العسكري عليه السلام في التأسيس الكلامي

حدّدت الباحثة الفاضلة أهداف دراستها عن عهد الإمام العسكري عليه السلام في تشخيص البعد الكلامي في هذا الإرث المبارك للإمام العسكري عليه السلام، والتعرّف على أدواره في شرح العقيدة، وتوجيه القاعدة المؤمنة وحماتها، ومواجهة الفرق المنحرفة والفئات الضالة، وبيان مساهماته في إبطال شبهات الملحدين والخصوم، وبالنتيجة التعرّف على ما بلغه علم الكلام في عصره من نضج واتساع في الآفاق.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف، قسّمت الباحثة دراستها إلى خمسة مطالب:

أولاً: السيرة الذاتية للإمام الحسن العسكري عليه السلام

ثانياً: الحياة السياسية والاجتماعية في زمن الإمام العسكري عليه السلام

ثالثاً: الحياة العلمية للإمام الحسن العسكري عليه السلام

رابعاً: الأدوار العقديّة للإمام العسكري عليه السلام

خامساً: أصحاب الإمام العسكري عليه السلام

ومن الاستخلاصات التي أدركتها الباحثة وأشارت إليها أنّه رغم الظروف السياسيّة القاسية التي عاشها الإمام عليه السلام بسبب تنكيل السلطة الغاشمة واضطهادها، إلاّ أنّه نجح في تكريس استمراريّة خطّ آباءه الطاهرين في نشر معارف الإسلام الأصيلة، والتّصديّ لتحريف كتاب الله وأحكامه، والتّصديّ للشبهات العقديّة والكلاميّة التي حاولت النيل من الرّسالة المحمديّة.

كما استخلصت أنّ الإمام عليه السلام استطاع -رغم قصر عمره الشّريف- بناء الكتلة المؤمّنة، والإشراف عليها بوصفها المجموعة المرتبطة به، والتخطيط لسلوكها، وحماية وجودها، وتنمية وعيها، وإسعافها بكلّ الأساليب التي تُساعد على صمودها في خضمّ المحن، وارتفاعها إلى مستوى الحاجة الإسلاميّة إلى جيش عقائديّ حامٍ للرّسالة الإسلاميّة بوصفها رسالةً عقديّةً. ولفتت إلى الأساليب الجديدة التي أدخلها أو عمّقها الإمام (الوكلاء، المكاتبات) في تواصله مع قاعدته وأنصاره المبتوثين في مختلف بلاد المسلمين، مثل: قم، والأهواز، واليمن، وخراسان.

#### المبحث السادس: أدوار الإمام المهدي عليه السلام في التأسيس الكلامي زمن الغيبة الصغرى

هذا البحث الأخير في عصور الأئمّة، والذي بنهايته ينتهي فعلاً عصر النّصّ عند الشيعة الإماميّة، وهو عصر الإمام المهديّ عليه السلام إلى حين نهاية الغيبة الصغرى وإعلانه بداية الغيبة الكبرى سنة (٣٢٩ هـ).

والدراسة التي قدّمها الباحث تتعلّق بالأبعاد العقديّة والكلاميّة لهذا العصر طبعاً،

مضافاً إلى أدوار الإمام عليه السلام على هذا الصعيد، وقد عالج الباحث الموضوع في ثلاثة محاور:

**المحور الأول:** حول شخصيّة الإمام المهديّ والغيبة في مفهومها وتقسيماتها وخصوصيّاتها وظروفها وأسبابها وفلسفتها.

**المحور الثاني:** حول الوضع السياسيّ في الغيبة الصغرى وأدوار الإمام خلالها.

**المحور الثالث:** يتناول احتجاجات الإمام المهديّ العقيدية وآفاق علم الكلام بعد الغيبة الصغرى.

وبعد أن قدّم الباحث قراءةً متكاملةً لشخصيّة الإمام المهديّ عليه السلام وظروف غيبته، وفلسفة هذه الغيبة، وارتباطها بأهداف الرسالة وحركة الأئمة على المدى الاستراتيجيّ البعيد، فصلّ الأوضاع السياسيّة في عصر الغيبة الصغرى وكيف اتخذ الإمام عليه السلام أربعة سفراء مثّلوا الخيط الرابط بينه وبين شيعته. ويبيّن أنّ ذلك لم يمنع من تواصله المباشر مع بعضهم من أجل تأكيد وجوده وإمامته بما كان يقدمه لهم من حلول لمشاكلهم وأجوبة عن تساؤلاتهم وأعمال إعجازيّة تجذّر إيمانهم. وقد استطاع السفراء الأربعة المحافظة على سرّيّة مهمّتهم، ولعب دور الوسيط بين الإمام وشيعته، فكان يجيب على استفساراتهم الفقهيّة ويردّ على الشبهات العقائديّة، وعندما ظهر وكلاء مدّعون في مناطق مختلفة تمّ كشفهم وتحذير المؤمنين منهم.

وأكد الباحث أنّه لم تكن هناك انشقاقات ظاهرة عن الإماميّة زمن الغيبة الصغرى، فالحركات المنشقة، كالزيدية، والاتجاهات الباطنية المغالية، كالنصيرية والإسماعلية، كانت سابقة على الإمام عليه السلام. لكنّها في المقابل قادت ثورات ضدّ العباسيين، واستطاعت أن تتسبّب في تفكّك دولتهم واستقلال الكثير من الأقاليم عنها في إفريقيّة ومصر وإيران وغيرها..

ولم يغفل الباحث عن الإشارة إلى ما آل إليه البحث الكلاميّ بعد بداية الغيبة الكبرى، وبعد أن آلت القيادة للعلماء والمجتهدين العدول، فقد اعتبر أنّه وبانتهاء الغيبة الصغرى اكتمل البناء الفكريّ للكلام الشيعي الإمامي، وظهرت فيها بعد المدونات

الروائية والتفسيرية الكبرى، التي ستمثل الأساس العلمي للحركة العلمية والفكرية، والتي سيعمل الكثير من العلماء من خلالها على بناء الرؤى العقائدية والمدونات الفقهية، التي تُبرز فرادة المعتقد الإمامي وتفوقه في عقلانيته وارتباطه بالنصوص الأولية الموثوقة في القرآن والسنة على كل المنظومات المذهبية الأخرى.

### كلمة أخيرة:

ونحن إذ نحمد الله سبحانه على توفيقاته وتسديداته في استمرار تشكّل حلقات هذا المشروع الرائد، رغم كل الصعوبات والعراقيل، لا نملك إلا أن نبتهل لله سبحانه أن يُثيب الباحثين الأعزاء، والباحثات العزيزات، خير جزاء على كل الجهود المبذولة، وعلى هذا الإنتاج العلمي اللّاف، الذي يُسهم فعلاً في سدّ نقص في مكتبتنا الإسلامية في تاريخ الكلام الإمامي عموماً، ودراسة عصور الأئمة الأطهار عليهم السلام بالخصوص.

ومرة أخرى، نشكر كل أفراد فريق المركز الذين ساهموا في مواكبة هذا العمل من التخطيط الأوّليّ إلى الإخراج والطباعة. فلو لا أنفاسهم المباركة، وأرواحهم التواقّة، وهمهم العالية، لما كان لهذا المشروع سبيل إلى النور.

«اللهم بنورك الذي أشرق به كل شيء، وبنورك الذي أشرقت به السموات والأرض، صلّ على محمد وآل محمد، واغفرنا لنا ذنوبنا، واجعل لنا من أمرنا يسراً وفرجاً قريباً، وثبتنا على دين محمد وآل محمد، وعلى سنة محمد وآل محمد عليهم السلام، واجعل عملنا في المرفوع المتقبّل، برحمتك يا ارحم الراحمين».

مدير مشروع تاريخ الكلام الإمامي

الشيخ الأسعد بن علي قيدارة

## أدوار الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في التأسيس الكلامي

الشيخ سامر توفيق عجمي (\*)

### تمهيد

تشكّل الأدوار والمراحل التي عاشها أئمة أهل البيت عليهم السلام حياة إنسان واحد بعمر ٣٠٠ عام تقريباً، فتعدّد شخصياتهم، وتنوّع أدوارهم، يجمعها وحدة الهدف والغرض، فاللاحق منهم يبدأ من حيث انتهى السابق، ويكمل الحركة باتجاه ذلك الهدف الواحد، وهو تبليغ رسالة الله تعالى إلى الإنسان وهدايته وإيصاله إلى الغاية التي خُلق لأجلها، أي العبودية لله تعالى وتحقيق مشروع الخلافة الإلهية على الأرض، فتقسيم حياة الأئمة عليهم السلام إلى مراحل وأدوار، لا ينشأ من وحدة الهدف، بل من اختلاف ما يُحيط بكلّ إمام من أحداث ووقائع وظروف وملابسات تفرض نمطاً محدّداً من التصرفات والأفعال، كصلح الإمام الحسن، والنهضة الاستشهادية للإمام الحسين عليه السلام...

ويمكن اعتماد معايير مختلفة لتقسيم حياة الأئمة بشكل عامّ، وكذلك تقسيم حياة كلّ إمام إلى أدوار وأطوار، يأتي اختلافها من تنوّع زوايا النظر التي يمكن أن يستفيد منها باحث ما في معالجة موضوعات دراسته، فمثلاً قسّم بعض المؤرّخين حياة الإمام الكاظم عليه السلام إلى ثلاث مراحل<sup>[٢]</sup>: الأولى: نشأته وحياته في ظلّ أبيه الصادق عليه السلام، والثانية: تسلّمه زمام الإمامة إلى نهاية خلافة الهادي ١٦٩ هـ، والثالثة: مرحلة معاصرته لحكم هارون الرشيد حتى استشهاده عليه السلام ١٨٣ هـ.

(\*) - باحث متخصص في الفلسفة والكلام - لبنان.

[٢] - المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية في حياة المعصومين، الكتاب الثاني، الجزء التاسع، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، الباب الثاني: الفصل الثاني، ص ٤٩.

وبدورنا، وبما يتناسب مع طبيعة بحثنا، من حيث معالجة تاريخ علم الكلام في عهد الإمام موسى الكاظم عليه السلام، نقسم حياته إلى مرحلتين:

١. المرحلة الأولى: منذ ولادته حتى استشهاد أبيه الإمام الصادق عليه السلام، أي من عام ١٢٨ هـ وحتى عام ١٤٨ هـ، أي ما يقارب ٢٠ عامًا. ومعيارها أنها تسلط الضوء على حياة موسى الكاظم عليه السلام ما قبل فعلية إمامته، ولنصطلح عليها بشأنية إمامته.

تتضمن المرحلة الأولى، معالجة النقاط التالية:

١-١. نبذة مختصرة عن هوية الإمام الكاظم عليه السلام.

٢-١. محطات من حياة الإمام الكاظم عليه السلام في ظل حياة أبيه الصادق عليه السلام.

٣-١. دور الإمام الصادق في تهيئة البيئة الحاضنة لإمامة الكاظم عليه السلام.

المرحلة الثانية: تبدأ من تسلّم الإمام الكاظم عليه السلام الإمامة الفعلية لحظة استشهاد أبيه عام ١٤٨ هـ، وتمتدّ إلى استشاده عليه السلام عام ١٨٣ هـ، أي ما يقارب ٣٥ عامًا. ومعيار هذه المرحلة، فعلية إمامته، حيث تحمّل فيها الكاظم عليه السلام مسؤوليّة القيادة الإلهية وقام بأعبائها ومهمّاتها ووظائفها.

وتتضمن المرحلة الثانية، النقاط التالية:

١-٢. بدايات إمامة الكاظم عليه السلام والتحديات والظروف التي أحاطت بها.

٢-٢. مواجهة الإمام الكاظم عليه السلام للفرق المنحرفة.

٣-٢. بيان الحقائق العقائدية أمام سلاطين بني العباس.

٤-٢. حركة التغيير العقائديّ بدعم الثورات المسلحة (ثورة فخر).

٥-٢. سجن الإمام الكاظم عليه السلام ودوره القياديّ.

٦-٢. الحياة العلميّة في عصر الإمام الكاظم عليه السلام.

ونعالج في القسم الثالث: التفكير الكلامي في نصوص الإمام الكاظم عليه السلام - دراسة وتحليل.

## أولاً: المرحلة الأولى من حياة الإمام الكاظم عليه السلام:

### ١. نبذة مختصرة عن هويّة الإمام الكاظم عليه السلام

هو موسى بن جعفر (الصادق) بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، سابع أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، خلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالنص، لطفاً من الله تعالى بعباده لتقريبهم مما فيه طاعته عزّ وجلّ وتبعيدهم عمّا فيه معصيته سبحانه وتعالى.

وُلد عليه السلام بالأبواء<sup>[١]</sup> سنة ١٢٨ هـ، وقيل: ١٢٩ هـ<sup>[٢]</sup>.

يكنى ب: أبي الحسن الأوّل، أبي الحسن الماضي، أبي إبراهيم...

من ألقابه: الكاظم، العبد الصالح، العالم، الصابر، الزاهر، السيّد، باب الحوائج.

أمّه: حميدة، ومعروفة بحميدة المصفاة، وحميدة الأندلسية، وحميدة البربرية، وتكنى لؤلؤة، والمهدّبة... قال عنها الإمام الصادق عليه السلام: «حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها، حتّى أُديت إليّ كرامة من الله وللحجّة من بعدي»<sup>[٣]</sup>. كانت من النساء الفاضلات علماً وعملاً في عصرها، وكان الإمام الصادق عليه السلام يُرجع إليها في الفتيا، لتفقيه المجتمع النسائيّ.

يُنقل في أوصافه البدنية أنّه عليه السلام كان أسمر شديد السمرة، ربع القامة، كثّ اللحية.

[١]- الأبواء: قرية كبيرة بين مكة المكرمة والمدنية المنورة، تقع جنوب غربي المدينة وتبعد عنها ما يقارب ١٧٠ كم، وتبعد عن مكة المكرمة ما يقارب ٢٠٠ كم، والمشهور أنّه دُفنت فيها أم النبي محمد صلى الله عليه وآله أمنة بنت وهب، وتعتبر غزوة الأبواء من غزوات النبي الأولى التي حصلت في السنة الثانية للهجرة.

[٢]- الكلينيّ، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ١، ص ٤٧٦.

[٣]- م. ن، ج ١، ص ٤٧٧.

قال شقيق البلخي عنه عليه السلام: «... نظرت إلى فتى حسن الوجه، شديد السمرة، ضعيف...»<sup>[١]</sup>.

في استشهاده يقول الشيخ الكليني: «قبض عليه السلام لستُ خلونَ من رجب<sup>[٢]</sup> من سنة ثلاث وثمانين ومائة، وهو ابن أربع أو خمس وخمسين سنة، وقبض عليه السلام ببغداد في حبس السندي بن شاهك، وكان هارون حمله من المدينة لعشر ليال بقين من شوال سنة تسع وسبعين ومائة، وقد قدم هارون المدينة منصرفه من عمرة شهر رمضان، ثم شخص هارون إلى الحجّ وحمله معه، ثم انصرف على طريق البصرة، فحبسه عند عيسى بن جعفر، ثم أشخصه إلى بغداد، فحبسه عند السندي بن شاهك، فتوفي عليه السلام في حبسه، ودفن ببغداد في مقبرة قريش»<sup>[٣]</sup>.

## ٢. موسى الكاظم عليه السلام في ظلّ إمامة أبيه الصادق عليه السلام

تعتبر حياة الإمام الصادق من أهمّ المحطات والمراحل في أدوار أئمة أهل البيت عليهم السلام من حيث الفرصة التي مكّنته من تجاوز تحديات كثيرة لتحقيق مجموعة كبيرة من الأهداف الرسالية التي تستلزمها إمامته.

فقد عاش الصادق عليه السلام في فترة نهايات انهيار الدولة الأموية وبدايات تشكيل الدولة العباسية، حيث حكمت تلك المرحلة ثنائية انشغال الحكومة الأموية بحركات التمرد من جهة، من جهة ثانية ركزت التيارات المناهضة للدولة الأموية - خصوصاً العباسيين - جهودها على أولوية هذا الصراع. رأى عليه السلام فقدان الشروط المطلوبة لقيام العلويين بالثورة ضدّ السلطة الأموية، أو المشاركة فيها، ووقف على الحياد تجاه نشاط العباسيين ولم يتخذ موقفاً إيجابياً من حركتهم، رغم المساعي الحثيثة التي بذها العباسيون لضمّ الإمام إلى حركتهم، أو لا أقلّ تأييدها، ومن موقع معرفته المسبقة

[١]- الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمة، ج ٣، ص ٤.

[٢]- في بعض المصادر ٢٥ رجب. المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ٢، ص ٢١٥.

[٣]- الكليني، الكافي، م، ج ١، ص ٤٧٦.

بالتائج التي ستؤول إليها، كان الصادق عليه السلام يجيب على عرض أبي مسلم الخراساني: «لا أنت من رجالي ولا الزمان زماني»<sup>[١]</sup>، كما أنه وضع الكتاب الذي وصله من أبي سلمة الخلال على النار حتى احترق، فقال له الرسول: ألا تحببه؟ قال عليه السلام: قد رأيت الجواب، لاطلاعه عليه السلام على خلفيات هذه الأفعال والدوافع الكامنة وراءها<sup>[٢]</sup>.

في هذه الظروف، وجد الصادق عليه السلام الفرصة مناسبة لتنفيذ خطته، التي آتت أكلها، حيث فتح باباً إلى الجهاد عن غير طريق الثورة المسلّحة، بالعلم والمعرفة، والترويج لخطّ مدرسة أهل البيت، وتنشيط حضوره في الحياة العامّة للأمة الإسلاميّة، والحفاظ على استمرار الجماعة الصالحة ووحدها وتماسكها، وتلبية حاجات الأمة العقائديّة والأخلاقيّة والتشريعيّة، ومواجهة التيارات الفكرية المنحرفة والاتجاهات الضالّة... وقام بتأسيس جامعة أهل البيت عليه السلام، مستقطباً إليها أفراداً من مختلف الاتجاهات، فدرس فيها وتخرّج منها آلاف طلبة العلوم الدينيّة والدينيّة بانتماءاتهم المختلفة، فخدموا أهداف الخطّة الجعفريّة.

وثمة شواهد كثيرة جدّاً على عظيم شأن هذه الجامعة وأثرها، نذكر نماذج منها:

- إحصاء بعض العلماء والمؤرّخين - كابن عقدة والشيخ المفيد والشيخ الطوسي - تلامذة الإمام الصادق عليه السلام فجاوزوا أربعة آلاف تلميذ<sup>[٣]</sup>.

- قول الحسن بن عليّ الوشاء لابن عيسى القمّي: «... لو علمت أنّ هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه، فإني أدركت في هذا المسجد [الكوفة] تسعمائة شيخ كلُّ يقول حدّثني جعفر بن محمد عليه السلام»<sup>[٤]</sup>.

- كثرة رواية الحديث عن الصادق عليه السلام في مختلف حقول المعرفة الدينيّة والدينيّة (الإلهيات، الفقه والقانون، الأخلاق والآداب، التاريخ، التفسير، الطبيعيات...)،

[١]- الشهرستاني، محمّد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ج ١، ص ١٥٤.

[٢]- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ١٥٢ وما بعد.

[٣]- انظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج ١، ص ٩٥.

[٤]- النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، ص ٣٩-٤٠، ترجمة (٨٠) الحسن بن علي بن زياد الوشاء.

ويكفي أن نقدّم نموذجاً واحداً، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن أبان بن تغلب روى عني ثلاثين ألف حديث، فاروها عنه»<sup>[١]</sup>.

- كثرة المصنّفين عنه عليه السلام، فقد ترجم الأغا بزرك الطهراني لمثني رجل من مصنّفي تلامذة الإمام الصادق عليه السلام، (مضافاً إلى غيرهم من المؤلّفين من أصحاب سائر الأئمة، وذكر لهم من كتب الأصول ٧٣٩ كتاباً)<sup>[٢]</sup>.

عاش الكاظم عليه السلام ما يقارب ٢٠ عاماً في هذه البيئة، بيت القيادة والإمامة، والأخلاق والفضيلة، وجامعة العلم والمعرفة، تحت رعاية أبيه الصادق عليه السلام وإشرافه وتربيته وتعليمه...

وشهد عليه السلام في خلال حياة أبيه ظلم الحكومة الأموية وممارساتها العبيثية، وعان حركات الخروج عليها، وعاش التفاعلات والارتدادات التي لعبت الثورة الحسينية دوراً أساساً في تنشيطها وتهيئة المناخ المناسب لولادتها، وعاصر انهيار الدولة الأموية وتفككها، ومقدمات قيام الدولة العباسية، والظروف التي استفاد منها العباسيون لتحقيق رغباتهم وأهدافهم، مستغلين شعار الدعوة إلى الرضى من آل محمد عليهم السلام.

ومنذ طفولته عليه السلام وهو يتحمّل مسؤوليات الأهداف الرسالية، فلم يكن يلهو ولا يلعب.

عن صفوان الجمال قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صاحب هذا الأمر؟

فقال: إن صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب، وأقبل أبو الحسن موسى - وهو صغير ومعه عناق مكيّة<sup>[٣]</sup> - وهو يقول لها: اسجدي لرّبك.

فأخذ أبو عبد الله عليه السلام وضمّه إليه، وقال: بأبي وأمي من لا يلهو ولا يلعب»<sup>[٤]</sup>.

[١]- م.ن، ص ١٢.

[٢]- الطهراني، محمد محسن (الشهير بأغا بزرك)، الدرعية إلى تصانيف الشيعة، ج ٦، ص ٣٠١ وما بعد.

[٣]- العناق: الأنثى من أولاد المعيز والغنم من حين الولادة إلى تمام حول.

[٤]- الكليني، الكافي، م.س، ج ١، ص ٣١١.

ومنذ الصغر مارس الكاظم عليه السلام في حياة أبيه دورًا فاعلاً في الحياة العامة، والترويج للخطّ الجعفريّ.

عن صفوان بن يحيى، عن عيسى شلقان قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن أبي الخطاب. فقال لي مبتدئاً قبل أن أجلس: يا عيسى ما منعك أن تلقى ابني [موسى الكاظم عليه السلام] فتسأله عن جميع ما تريد؟

قال عيسى: فذهبت إلى العبد الصالح عليه السلام، وهو قاعد في الكتاب، وعلى شفثيه أثر المداد، فقال لي [الكاظم] مبتدئاً: يا عيسى، إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيّن على النبوة، فلم يتحوّلوا عنها أبداً، وأخذ ميثاق الوصيّن على الوصيّة فلم يتحوّلوا عنها أبداً، وأعار قومًا الإيمان زماناً، ثمّ يسلبهم إيّاه، وإنّ أبا الخطاب ممن أعير الإيمان ثمّ سلبه الله تعالى.

فضممته [أيّ عيسى شلقان ضمّ الكاظم عليه السلام] إليّ وقبّلت بين عينيه، ثمّ قلت: بأبي أنت وأمي ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم.

ثمّ رجعت إلى أبي عبد الله عليه السلام. فقال لي: ما صنعت يا عيسى؟

قلت له: بأبي أنت وأمي، أتيتّه فأخبرني مبتدئاً من غير أن أسأله عن جميع ما أردت أن أسأله عنه، فعلمت والله عند ذلك أنّه صاحب هذا الأمر.

فقال [الصادق عليه السلام]: يا عيسى، إنّ ابني هذا الذي رأيت، لو سألته عمّا بين دفتي المصحف لأجابك فيه بعلم، ثمّ أخرجّه ذلك اليوم من الكتاب، فعلمت ذلك اليوم أنّه صاحب هذا الأمر»<sup>[١]</sup>.

فهذه النصوص تفيد أنّ الكاظم عليه السلام منذ الطفولة والصغر كان يارس دورًا قياديًا في خطّ إمامة أبيه الصادق عليه السلام، وكان الإمام الصادق عليه السلام يُرجع إليه، من باب تهيئة البيئة الحاضنة لإمامته وأنّه صاحب الأمر من بعده - وسنعرّج على معالجة هذه

[١]- الحميريّ القميّ، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، ص ٣٣٥.

النقطة-، وأن أجوبة الكاظم عليه السلام تدلّ على مدى غزارة علمه ومعرفته، فضلاً عن توظيف القدرات الغيبية في تحقيق الأهداف الرسالية - كما سيأتي أيضاً-.

ومن النصوص التي تدلّ على منزلة الإمام الكاظم عليه السلام ودوره في حياة أبيه، ما ورد عن الصادق عليه السلام من روايات بحق شخصية الكاظم عليه السلام وعلمه ومكانته، مضافاً إلى ما تقدّم، منها:

عن الصادق عليه السلام: «فيه علم الحكم، والفهم، والسخاء، والمعرفة فيما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم، وفيه حسن الخلق، وحسن الجوار، وهو باب من أبواب الله عزّ وجلّ»<sup>[١]</sup>.

وعن الرضا عليه السلام: «أن موسى بن جعفر عليه السلام تكلم يوماً بين يدي أبيه عليه السلام، فأحسن له: يا بني، الحمد لله الذي جعلك خلفاً من الآباء، وسروراً من الأبناء وعوضاً عن الأصدقاء»<sup>[٢]</sup>.

وثمة حادثة مهمّة وقعت بين الإمام الكاظم وبين أبي حنيفة، تؤشّر أيضاً إلى موقعيّة الإمام الكاظم في حياة أبيه الصادق عليه السلام<sup>[٣]</sup>.

وفي تحليل مضمون هذه النصوص، يمكن الخروج ببعض الاستنتاجات والخلاصات:

[١]- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٤٨، ص ١٢.

[٢]- الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٣٥.

[٣]- المفيد، محمد بن محمد، الفصول المختارة، ص ٧٢-٧٣. وفي رواية الاحتجاج: «دخل أبو حنيفة المدينة ومعه عبد الله بن مسلم فقال له: يا أبا حنيفة، إن ههنا جعفر بن محمد من علماء آل محمد عليه السلام، فأذهب بنا إليه، نقبَس منه علماً. فلما أتيا إذا هما بجماعة من شيعته ينظرون خروجه أو دخولهم عليه، فبينما هم كذلك إذ خرج غلام حدث، فقام الناس هيبة له، فالتفت أبو حنيفة فقال: يا بن مسلم من هذا؟ قال هذا موسى ابنه. قال -أبو حنيفة-: والله لأجبهنه بين يدي شيعته. قال: مه! لن تقدر على ذلك. قال: والله لأفعله. ثم التفت إلى موسى عليه السلام فقال: يا غلام أين يضع الغريب حاجته في بلدتك هذه؟ قال عليه السلام: يتوارى خلف الجدار، ويتوقى أعين الجار، وشطوط الأنهار، ومسقط الثمار، ولا يستقبل القبلة ولا يستديرها، فحينئذ يضع حيث شاء. ثم قال -أبو حنيفة-: يا غلام ممن المعصية؟ قال عليه السلام: يا شيخ، لا تخلو من ثلاث؛ إمّا أن تكون من الله وليس من العبد شيء فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله، وإمّا أن تكون من العبد ومن الله والله أفوى الشريكين فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه، وإمّا أن تكون من العبد وليس من الله شيء فإن شاء عفا وإن شاء عاقب. قال: فأصابنا أبا حنيفة سكتة كأنما ألقم فوه الحجر. قال -عبد الله بن مسلم-: فقلت له: ألم أقل لك لا تعرّض لأولاد رسول الله صلى الله عليه وآله؟! «الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، ج ٢، ص ١٥٨-١٥٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، م، ج ٥، ص ٢٧.

- أولاً: أن جامعة الإمام الصادق عليه السلام كانت مقصودة من كبار العلماء والفقهاء من مختلف الاتجاهات لاقتباس العلوم والمعارف.

- ثانياً: أن موسى الكاظم عليه السلام كانت له موقعية خاصة في عيون الناس والعلماء، وكان مشهوراً بموقعه الرسالي والعلمي، كما تفيد عبارات مثل: «والله لأجبهته بين يدي شيعته»، «فقام الناس هيبة له».

- ثالثاً: أن العلماء كأبي حنيفة وغيره، عندما كانوا يلتمسون علم الكاظم عليه السلام، يظهرون التواضع أمامه.

- رابعاً: أن الكاظم عليه السلام كان يمارس دوراً عقائدياً مهماً قبل فعلية إمامته في حياة أبيه، كما يشير جوابه لعيسى شلقان، وكذلك إجابته عليه السلام عن سؤال أبي حنيفة: ممن المعصية؟ والذي أراد به أبو حنيفة إحراج الكاظم أمام شيعته لصعوبة الجواب عن هذا السؤال من وجهة نظره، وإلا لما اختاره من ضمن الأسئلة الكثيرة التي يمكن أن ترد على ذهنه ليطرحة على الكاظم بهدف إحراجه أمام شيعته.

### ٣. دور الإمام الصادق في تحضير البيئة الحاضنة للإمام الكاظم عليه السلام

من أهم الإنجازات التي حققها الإمام الصادق عليه السلام فيما يرتبط بالدور التأسيسي للإمام الكاظم في مسيرة الأمة والتشيع، هو تهيئة البيئة الحاضنة لإمامة الكاظم عليه السلام من بعده، فقد اتخذ الإمام مجموعة من الإجراءات التي تُفضي إلى تهيئة عقول جماعة الشيعة لقبول إمامة الكاظم، وتحضير المناخ الذي يُمكن الكاظم من ممارسة دوره والقيام بمهامه في المستقبل. واستثمر الصادق عليه السلام في المناسبات المختلفة لبيان قوة شخصية الكاظم وإبراز قابليّاته المعرفية والدينية والأخلاقية، ومؤهلاته لقيادة الناس، وكونه معياراً عند الاختلاف، وقد تقدّم ما يدلّ على ذلك، وثمة روايات كثيرة في هذا المجال لسنا في صدد استقراءها وعرضها، بل نكتفي بالاستشهاد ببعضها.

ونشير بداية، إلى أن النصوص على إمامة أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام على نحوين:

١. نصوص مباشرة من الإمام السابق على الإمام الذي يليه من أبنائه تخضع لظروف معينة تؤثر في طبيعة النص ومناسبته وأسلوبه ودلالته من حيث التصريح والتلميح.

٢. نصوص بالواسطة - إن صحّ التعبير - صدرت عن الرسول الأكرم ﷺ ومن تلاه من أوصيائه تنصّ بالاسم على إمامة كل الأئمة عليهم السلام أو على إمامة إمام بعينه.

وسنركّز على النصوص من النوع الأوّل، متجاوزين النوع الثاني.

منذ اللحظة الأولى التي فتح موسى بن جعفر فيها عينيه على هذه الدنيا، استقبله الإمام الصادق بالتبشير بإمامته والإشارة إلى أنّه هو البقيّة التي سترث خطّ الإمامة.

عن أبي بصير، قال: «كنت مع أبي عبد الله عليه السلام في السنة التي ولد فيها ابنه موسى عليه السلام، فلما نزلنا الأبواء، وضع لنا أبو عبد الله عليه السلام الغذاء ولأصحابه، وكان عليه السلام إذا وضع الطعام لأصحابه أكثره وأطابه، فبينما نحن نتغدّى، إذ أتاه رسول حميدة: إنّ الطلق قد ضربني، وقد أمرتني أن لا أسبقك بابنك هذا.

فقام أبو عبد الله عليه السلام فرحاً مسروراً، فلم يلبث أن عاد إلينا حاسراً عن ذراعيه ضاحكاً سنّه، فقلنا: أضحكك الله سنك، وأقرّ عينك ما صنعت حميدة؟

فقال عليه السلام: وهب الله لي غلاماً، وهو خير من برأ الله، ولقد خبرتني بأمر كنت أعلم به منها.

قلت: جعلت فداك وما خبرتك عنه حميدة؟

قال: ذكرت أنّه لما وقع من بطنها وقع واضعاً يديه على الأرض، رافعاً رأسه إلى السماء. فأخبرتني أنّ تلك أمارة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمارة الإمام من بعده...»<sup>[١]</sup>.

ففي هذا النص دلالة واضحة على إمامة الكاظم خلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد استمرت هذه النصوص التي تؤكد على إمامة الكاظم بعد أبيه إلى قبيل استشهاد

[١]- الكليني، الكافي، م، س، ج ١، ص ٣٨٦.

الصادق، حيث ترك وصية جعل فيها الكاظم أحد خمسة، ساعدت القرائن والمؤشرات القطعية على حصرها عملياً بالكاظم، ولكن الضرورات الموضوعية وقساوة الظروف المحيطة وشدتها فرضت على الصادق عليه السلام اتخاذ هذا الإجراء تقيّة.

عن أبي أيوب النحويّ قال: «بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جوف الليل، فأتيته، فدخلت عليه وهو جالس على كرسيّ، وبين يديه شمعة، وفي يده كتاب، قال: فلما سلّمت عليه رمى بالكتاب إليّ وهو بيكي، فقال لي: هذا كتاب محمد بن سليمان يخبرنا أنّ جعفر بن محمد قد مات، فإنّا لله وإنا إليه راجعون - ثلاثاً - وأين مثل جعفر؟ ثمّ قال لي: اكتب قال: فكتبت صدر الكتاب، ثمّ قال: اكتب إن كان أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدمه واضرب عنقه، قال: فرجع إليه الجواب أنّه قد أوصى إلى خمسة وأحدهم أبو جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وعبد الله وموسى وحيدة»<sup>[١]</sup>.

وعن داود بن كثير الرقيّ، قال: «وفد من خراسان وافد يكتنّى أبا جعفر، اجتمع إليه جماعة من أهل خراسان، فسألوه أن يحمل لهم أموالاً ومتاعاً ومسائلهم في الفتاوى والمشاورة، فورد الكوفة ونزل وزار قبر أمير المؤمنين عليه السلام، ورأى في ناحية المسجد رجلاً حوله جماعة. فلما فرغ من زيارته قصدهم، فوجدهم شيعة فقهاء يسمعون من الشيخ، فقالوا: هو أبو حمزة الثمالي.

قال: فبينما نحن جلوس إذ أقبل أعرابيّ، فقال: جئت من المدينة، وقد مات جعفر بن محمد عليه السلام فشوق أبو حمزة ثمّ ضرب بيده الأرض، ثمّ سأل الأعرابي: هل سمعت له بوصية؟

قال: أوصى إلى ابنه عبد الله وإلى ابنه موسى، وإلى المنصور.

فقال: الحمد لله الذي لم يضلّنا، دلّ على الصغير ويبيّن على الكبير، وستر الأمر العظيم. ووثب إلى قبر أمير المؤمنين عليه السلام فصلى وصلىنا.

ثم أقبلت عليه وقلت له: فسّر لي ما قلته؟

قال: بين أنّ الكبير ذو عاهة، ودلّ على الصغير أن أدخل يده مع الكبير، وستر الأمر العظيم بالمنصور، حتى إذا سأل المنصور: من وصيّه؟ قيل: أنت»<sup>[١]</sup>.

ومن يتابع نصوص الإمام الصادق عليه السلام على إمامة موسى الكاظم عليه السلام يلاحظ أنّ لها تسلسلاً تاريخياً خاصاً يحتاج إلى دراسة مستقلة من حيث الدلالات والأساليب والظروف والملازمات، التي ترتبط بطبيعة الواقع السياسي والثقافي للأمة في تلك المرحلة، ليست موضع نظرنا في هذا البحث.

#### ٤. ملازمات قضيتة إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام

يقول الشيخ المفيد: «كان إسماعيل أكبر إخوته، وكان أبو عبد الله عليه السلام شديد المحبة له، والبرّ به والإشفاق عليه وكان قوم من الشيعة يظنون أنّه القائم بعد أبيه، والخليفة له من بعده، إذ كان أكبر إخوته سنّاً، ولميل أبيه إليه، وإكرامه له»<sup>[٢]</sup>.

يفيد هذا النص أنّ بعض الشيعة كان يعتقد بإمامة إسماعيل بعد الصادق في حياته عليه السلام لكونه الولد الأكبر ولأسلوب تعامل الصادق عليه السلام معه. وكان هذا الأمر يشكّل تحدياً أمام التمهيد لإمامة الكاظم عليه السلام.

ومن الشواهد، ما روي عن مفضل بن مرثد قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إسماعيل ابنك جعل الله له علينا من الطاعة ما جعل لأبائه؟ - وإسماعيل يومئذ حيٌّ - فقال عليه السلام: يكفي ذلك، فظننت أنّه اتقاني، فما لبث أن مات إسماعيل»<sup>[٣]</sup>.

وكان الصادق عليه السلام يعمل على مواجهة هذه العقيدة بتأكيد بواحدة النصوص المتقدمة على إمامة الكاظم، مع إشارته عليه السلام إلى ضرورة عدم جفاء إسماعيل، لا بعنوان كونه الإمام

[١]- قطب الدين الرواندي، سعيد بن عبد الله، الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٣٢٨؛ انظر: القمي، عباس، الأنوار البهية في تاريخ الحجج الإلهية، ص ١٧٤.

[٢]- المفيد، الإرشاد، م.س، ج ٢، ص ٢٠٩.

[٣]- قطب الدين الرواندي، الخرائج والجرائح، م.س، ص ٢٠٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٤٧، ص ٢٥٠-٢٥١.

بعده، بل لكونه من أهل التقوى والصلاح، بقريئة سياق المقابلة الوارد في الرواية أدناه.

عن المفضل بن عمر قال: «ذكر أبو عبد الله عليه السلام أبا الحسن عليه السلام - وهو يومئذ غلام - فقال: هذا المولود الذي لم يولد فينا مولود أعظم بركة على شيعتنا منه، ثم قال لي: لا تجفوا إسماعيل»<sup>[١]</sup>.

وقد تحرّك الإمام الصادق عليه السلام بقوة لقطع الطريق على هذه التيارات التي تطرح نفسها كبديل عن إمامة الكاظم عليه السلام، ومن إجراءاته أنّه عندما توفي إسماعيل أحضر عليه السلام جماعة من الشيعة وأطلعهم على موت إسماعيل كي لا يقوم أحد بتوظيف موته في خدمة أهدافه بحرف الأنظار عن إمامة الكاظم عليه السلام وتمزيق وحدة الصف الشيعي.

وفي رواية أنّ الصادق عليه السلام أمر المفضل بن عمر فجمع له جماعة من أصحابه حتّى صاروا ثلاثين، وفيهم أبو بصير وحران بن أعين وداود الرقي، فقال عليه السلام لداود: اكشف عن وجهه، فكشف داود عن وجه إسماعيل.

فقال: تأمله يا داود فانظره حيّ هو أم ميّت؟

فقال: بل هو ميّت.

فجعل يعرض على رجل رجل حتّى أتى على آخرهم.

فقال عليه السلام: اللهم اشهد، ثم أمر بغسله وتجهيزه. ثم قال: يا مفضل احسر عن وجهه، فحسر عن وجهه، فقال: حيّ هو أم ميّت؟ انظروه جميعكم.

فقالوا: بل هو يا سيّدنا ميّت.

فقال: شهدتم بذلك وتحققتموه؟

قالوا: نعم، وقد تعجّبوا من فعله.

[١]- الكليني، الكافي، م، ج ١، ص ٣٠٩.

فقال عليه السلام: اللهم اشهد عليهم.

ثم حُمل إلى قبره فلما وُضع في لحدّه، قال عليه السلام: يا مفضّل اكشف عن وجهه، فكشف فقال للجماعة: انظروا أحْيّ هو أم ميّت؟ فقالوا: بل ميّت يا وليّ الله.

فقال: اللهم اشهد، ثم أعاد عليهم القول في ذلك بعد دفنه، فقال لهم: الميّت المكفّن المحنّط المدفون في هذا اللحد من هو؟

فقالوا: إسماعيل ولدك، فقال اللهم اشهد؛ فإنّه سيرتاب المبطلون، يريدون إطفاء نور الله، ثمّ أومى إلى موسى عليه السلام، ولما أن دُفن إسماعيل وأشهدهم أخذ بيد موسى فقال: هو حقّ والحقّ معه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها»<sup>[١]</sup>.

في هذا السياق، يقول الشيخ المفيد: «روي أنّ أبا عبد الله عليه السلام جزع على إسماعيل جزعاً شديداً، وحزن عليه حزناً عظيماً، وتقدّم سريره بغير حذاء ولا رداء، وأمر بوضع سريره على الأرض مراراً كثيرة، وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه، يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظّاتين خلافته له من بعده، وإزالة الشبهة عنه في حياته، ولما مات إسماعيل رحمة الله عليه انصرف عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظن ذلك ويعتقده من أصحاب أبيه عليه السلام وأقام على حياته شزيمة لم تكن من خاصّة أبيه ولا من الرواة عنه، وكانوا من الأبعد والأطراف، فلما مات الصادق عليه السلام انتقل فريق منهم إلى القول بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام بعد أبيه، وافترق الباقر فرقتين: فريق منهم رجعوا على حياة إسماعيل وقالوا: بإمامة ابنه محمّد بن إسماعيل لظنّهم أنّ الإمامة كانت في أبيه وأنّ الابن أحقّ بمقام الإمامة من الأخ، وفريق ثبتوا على حياة إسماعيل، وهم اليوم شدّاذ لا يُعرف منهم أحد يوماً إليه، وهذان الفريقان يسمّيان بالإسماعيلية، والمعروف منهم الآن من يزعم أنّ الإمامة بعد إسماعيل في ولده وولد ولده إلى آخر الزمان»<sup>[٢]</sup>.

[١]- المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج٤٧، ص٢٥١.

[٢]- المفيد، الإرشاد، م.س، ج٢، ص٢١٠.

## ثانياً: المرحلة الثانية من حياة الإمام الكاظم: الإمامة الفعلية

### ١. بدايات إمامة الكاظم عليه السلام والظروف التي أحاطت بها

نُحِلنا الإجراءات التي قام بها الإمام الصادق عليه السلام لتثبيت إمامة الكاظم عليه السلام وتأكيداً وتثبيتاً البيئتين الحاضنة لقبول إمامته، وكذلك النصوص المتقدمة، خصوصاً النص الأخير عن الشيخ المفيد، إلى البحث عن التحديات التي واجهها الإمام الكاظم عليه السلام فيما يتعلق بقيادته وإمامته، ومن جملة هذه التحديات استمرار القائمين بإمامة إسماعيل وولده من بعده، ومن جملة فرقة الفطحية، ومن جملة ظروف التقية والقمع التي ألبست على كثيرين من المقرّبين تشخيص إمامة الكاظم عليه السلام من حيث المصادق.

بعد قيام المنصور باغتيال الإمام الصادق عليه السلام، ثبت على سياسته القمعية بحق العلويين، بالرغم من قضائه على ثوراتهم، فاستمرت حالة القلق والخوف تسيطر عليه، فاضطهد العلويين، واعتقلهم، وزجّهم في السجون، وهدمها عليهم، ودفن بعضهم أحياء في اسطوانات البناء، ونشر الجواسيس والعيون لكي تنقل إليه الأخبار وترصد تحركات المنتمين إلى الخطّ الجعفريّ.

من النصوص التاريخية التي تكشف عن ذلك ما ذكره الطبري: «لما عزم المنصور على الحجّ دعا ريطة بنت أبي العباس امرأة المهديّ وكان المهديّ بالريّ قبل شخوص أبي جعفر، فأوصاها بما أراد، وعهد إليها ودفع إليها مفاتيح الخزان، وتقدّم إليها وأحلفها ووكد الأيمان أن لا تفتح بعض تلك الخزائن، ولا تطلع عليها أحدًا إلاّ المهديّ، ولا هي إلاّ أن يصحّ عندها موته، فإذا صحّ ذلك اجتمعت هي والمهديّ وليس معها ثالث حتى يفتح الخزانة، فلما قدم المهديّ من الريّ إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته أنّه تقدّم إليها أن لا تفتحه ولا تطلع عليه أحدًا حتى يصحّ عندها موته، فلما انتهى إلى المهديّ موت المنصور وولي الخلافة فتح الباب ومعه ريطة، فإذا أزج كبير فيه جماعة من

قتلى الطالبين، وفي أذانهم رفاع فيها أنسابهم وإذا فيهم أطفال، ورجال شباب، ومشايخ عدة كثيرة، فلما رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها، وعمل عليهم دكّانًا»<sup>[١]</sup>.

لعب هذا المناخ دورًا مهمًا في طبيعة وصية الإمام الصادق للإمام من بعده، حيث يُبرز لنا أسلوب المنصور تجاه الإمام وشيعته وكلّ العلويين. وفي السياق ذاته، ثمة نصّ يمثّل وثيقة تاريخية مهمة حول مدى تشدّد السلطات من جهة، وخفاء أمر الإمامة من حيث تشخيص المصداق حتى على أصحاب الأئمة المقربين.

يقول هشام بن سالم: «كنا في المدينة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام، وأنا ومؤمن الطاق، والناس مجتمعون على أنّ عبد الله (الأفطح) صاحب (أي هو الإمام) بعد أبيه، فدخلنا عليه أنا وصاحب الطاق، والناس مجتمعون عند عبد الله وذلك أنّهم رووا عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّ الأمر في الكبير ما لم يكن به عاهة، فدخلنا نسأله عمّا كنا نسأل عنه أباه، فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟ قال: في مئتين خمسة، قلنا: ففي مئة؟ قال: درهمان ونصف درهم.

قلنا له: والله ما تقول المرجئة هذا، فرفع (الأفطح) يده إلى السماء، فقال: لا، والله ما أدري ما تقول المرجئة»<sup>[٢]</sup>!

قال: فخرجنا من عنده ضلّالًا، لا ندري إلى أين نتوجّه أنا وأبو جعفر الأحول، فقعدنا في بعض أزقة المدينة باكين حيارى لا ندري إلى من نقصد وإلى أين نتوجّه؟! نقول: إلى المرجئة؟ إلى القدرية؟ إلى الزيدية؟ إلى المعتزلة؟ إلى الخوارج؟ قال: فنحن كذلك إذ رأيت رجلًا شيخًا لا أعرفه يومئذٍ إليّ بيده، فخفت أن يكون عينًا (جاسوسًا)

[١]- الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، ج٦، ص٣٤٣-٣٤٤.

[٢]- يظهر من النصوص التاريخية أنّ فرقة المرجئة كان لها قوّة حضور في زمان الصادق عليه السلام، ومما يدلّ على ذلك ما روي عن الصادق عليه السلام قال: «بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة». الكليني، الكافي، م.س، ج٦، ص٤٧. وعن محمّد بن عبيدة قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: «يا محمّد أنتم أشدّ تقليدًا أم المرجئة؟ قال: قلت قلّدنا وقلّدوا، فقال: لم أسألك عن هذا، فلم يكن عندي جواب أكثر من الجواب الأوّل، فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ المرجئة نصبت رجالًا لم تفرض طاعته وقلّدوه وأنتم نصبتهم رجالًا وفرضتم طاعته، ثمّ لم تقلّدوه فهم أشدّ منكم تقليدًا». الكليني، الكافي، م.س، ج١، ص٥٣.

من عيون أبي جعفر (الدوانقيي). وذلك أنّه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على من اتفق شيعة جعفر فيضربون عنقه، فخفت أن يكون (الرجل الشيخ) منهم. فقلت لأبي جعفر (أي مؤمن الطاق): تنحّ فإني خائف على نفسي وعليك، وإنّما يريدني (الشيخ) ليس يريدك، فتنحّ عني، لا تهلك وتعين على نفسك. فتنحّى غير بعيد، وتبعته الشيخ، وذلك أنّي ظننت أنّي لا أقدر على التخلّص منه، فما زلت أتبعه حتى ورد بي على باب أبي الحسن موسى عليه السلام ثمّ خلّاني ومضى، فإذا خادم بالباب فقال لي: أدخل، رحمك الله. قال: فدخلت فإذا أبو الحسن عليه السلام فقال لي ابتداءً: لا إلى المرجئة، ولا إلى القدرية، ولا إلى الزيدية، ولا إلى الخوارج، إليّ إليّ إليّ.

قال (هشام): فقلت له: جعلت فداك مضى أبوك؟ قال: نعم.

قلت: جعلت فداك مضى في موت؟ قال: نعم، قلت: جعلت فداك فمن لنا بعده؟ فقال: إن شاء الله يهديك هداك.

قلت: جعلت فداك، إنّ عبد الله (الأفطح) يزعم أنّه من بعد أبيه فقال: يريد عبد الله الأفطح أن لا يعبد الله.

قال: قلت له: جعلت فداك، فمن لنا بعده؟ فقال: إن شاء الله أن يهديك هداك أيضًا.

قلت: جعلت فداك، أنت هو؟ قال: ما أقول ذلك.

قلت - في نفسي - لم أصب طريق المسألة.

قال (هشام): قلت: جعلت فداك، عليك إمام؟ قال: لا، فدخلني شيء لا يعلمه إلا الله إعظامًا له وهيبه، أكثر ما كان يحلّ بي من أبيه إذا دخلت عليه.

قلت: جعلت فداك، أسألك عمّا كان يُسأل أبوك؟ قال: سل تُخبر، ولا تُدع فإن أذعت فهو الذبح.

قال (هشام): فسألته فإذا هو بحر!.

قال (هشام): قلت جعلت فداك، شيعتك وشيعة أبيك ضلالاً، فالقي إليهم وأدعوهم إليك؟ فقد أخذت عليّ بالكتان.

فقال (الإمام): من أنست منهم رشداً، فألق عليهم وخذ عليهم بالكتان، فإن أذاعوا فهو الذبح وأشار بيده إلى حلقة»<sup>[١]</sup>.

يكشف هذا النص عن مسائل عدّة:

أولاً: طبيعة المناخ الإرهابي الحاكم على المجتمع، من انتشار العيون، والخوف وعدم الشعور بالأمان...

ثانياً: استلزم المناخ السابق خفاء أمر إمامة الكاظم عليه السلام بالشخص حتى على علماء العقيدة والكلام عند الشيعة الإمامية في ذلك الوقت.

ثالثاً: أنّ وسيلة اكتشاف الإمام كانت بالاختبار المعرفي.

رابعاً: اعتماد الإمام الكاظم عليه السلام أسلوب الإعجاز أو الكرامة بالإخبار عن الغيب، كما تفيد عبارة: «لا إلى المرجئة... إلى إلى إلى»، كآية على إمامته.

وخامساً: كثرة التيارات والفرق الناشطة، كما يدلّ عليه: «إلى المرجئة؟ إلى القدرية؟ إلى الزيدية؟ إلى المعتزلة؟ إلى الخوارج؟».

## ٢. مواجهة الإمام الكاظم عليه السلام للفرق المنحرفة

تتميّز المرحلة التي عاشها الإمام الكاظم عليه السلام، وخصوصاً أنّها امتداد للمراحل السابقة التي عاشها باقي الأئمة عليهم السلام، بكثرة انتشار الاتجاهات الفكرية والتيارات العقائدية المنحرفة عن خطّ أهل البيت عليهم السلام، كالزنادقة، والغلاة، والجبرية، والمرجئة، والناووسية، والإسماعيلية، والزيدية، والخوارج، والمعتزلة، والفتحية، والحشوية، والمجسّمة... وكان لهذه التيارات قوّة حضور في المناخ الإسلامي العام، وقد ساهمت

[١]- الطوسي، محمّد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، ج٢، ص ٥٦٥.

سياسات الحكومات الأموية والعباسية في نموها وحرية حركتها.

فثمة قراءة<sup>[١]</sup> ترى «كل هذه العقائد والأفكار وأصحابها أنها تخدم السلطة كل واحدة بطريقتها، حيث تبرر للحكام تصرفاتهم البعيدة عن الإسلام بأفكار وأحكام اعتقادية وتهدئ الجمهور الإسلامي حين توجهه بهذه الأفكار.

من هنا ندرك السبب الذي جعل من الحكام أن يسمحوا بالانتشار لهذه التيارات الناشئة من أفكار منحرفة جاء بها اليهود وغيرهم إلى العالم الإسلامي»<sup>[٢]</sup>.

ومن أخطر هذه الفرق التي كانت حاضرة بقوة في زمن الإمام الصادق وامتد حضورها في زمن الكاظم عليه السلام: الغلاة الذين يعتقدون بألوهية الأئمة عليهم السلام وألوهية الإمام جعفر الصادق، وقد تبرأ منهم الصادق ولعنهم وهدر منهم وكافحهم بمختلف الوسائل الممكنة<sup>[٣]</sup>.

وكذلك المرجئة الذي يؤمنون بأنه لا تضر مع الإيمان معصية، فحقيقة الإيمان عند هذه الفرقة متقومة بالقلب دون العمل، فالله ينظر إلى القلوب لا الأعمال<sup>[٤]</sup>.

وقد جاهد الإمام الكاظم عليه السلام هذه الفرق وواجهها بتأكيد مرجعية أهل البيت عليهم السلام وضرورة التمسك بها في مواجهة هذه التيارات والشخصيات التي تصدّت لموقع الزعامة أو الإمامة الدينية للأمة، خصوصاً تلك الشخصيات التي تلقت دعماً من السلطة ووجدت عندها المساندة لتوظيفها في خدمة مشروعها في مواجهة القيادة الشرعية للإمام الكاظم عليه السلام.

عن يونس بن عبد الرحمن: «قلت: لأبي الحسن الأول (وهو الإمام الكاظم عليه السلام):  
بِمَ أُوْحِدَ اللهُ؟

[١]- هذه القراءة من الإمكانية بمكان، وثمة قرائن وشواهد تؤيدها، لكنها تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتحقيق وتجميع القرائن التي تفيد النتيجة المذكورة، وهي ليست موضع عنايتنا في هذا البحث.

[٢]- المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية، م.س، ص ٥٣.

[٣]- عن الإمام الصادق عليه السلام: احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم، فإن الغلاة شر خلق الله، يصغرون عظمة الله، ويدعون الربوبية لعباد الله، والله إن الغلاة شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا». الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ص ٦٥٠.

[٤]- عن الصادق عليه السلام قال: «بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة». الكليني، الكافي، م.س، ج ٦، ص ٤٧.

فقال عليه السلام: يا يونس لا تكونن مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيّه ضلّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه كفر»<sup>[١]</sup>.

وفي حوار بين أبي يوسف القاضي مع أبي الحسن موسى عليه السلام بمحضر المهدي، سأل أبا يوسف عن مسألة ليس فيها عنده شيء، فقال لأبي الحسن موسى عليه السلام: إني أريد أن أسألك عن شيء.

قال عليه السلام: هات.

فقال: ما تقول في التظليل للمحرم؟

قال: لا يصلح.

قال فيضرب الحباء في الأرض فيدخل فيه؟

قال: نعم.

قال: فما فرق بين هذا وذلك؟

قال أبو الحسن موسى عليه السلام: ما تقول في الطامث تقضي الصلاة؟

قال: لا.

قال: تقضي الصوم؟

قال: نعم.

قال: ولم؟

قال: إن هذا كذا جاء.

قال أبو الحسن عليه السلام: وكذلك هذا.

[١]- الكليني، الكافي، م، س، ج، ١، ص ٥٦.

قال المهديّ لأبي يوسف: ما أراك صنعت شيئاً.

قال: يا أمير المؤمنين رمانى بحجّة<sup>[١]</sup>.

وعن محمد الرافعي أنّه قال: «كان لي ابن عم يقال له (الحسن بن عبد الله) وكان زاهداً وكان من أعبد أهل زمانه، وكان يلقاه السلطان، وربّما استقبله بالكلام الصعب يعظه ويأمر بالمعروف، وكان السلطان يحتمل له ذلك لصلاحه.

فلم يزل على هذه الحالة، حتى كان يوماً دخل أبو الحسن موسى عليه السلام المسجد فرآه فأدناه إليه، ثم قال له: يا أبا عليّ، ما أحبّ إليّ ما أنت فيه وأسرتني بك، إلاّ أنه ليست لك معرفة، فاذهب فاطلب المعرفة.

قال: جعلت فداك وما المعرفة؟

قال: اذهب وتفقّه واطلب الحديث.

قال: عمن؟

قال: عن مالك بن أنس وعن فقهاء أهل المدينة، ثم اعرض الحديث عليّ.

قال: فذهب فتكلّم معهم، ثمّ جاءه فقرأه عليه فأسقطه كلّهُ<sup>[٢]</sup>.

تفيد هذه النصوص مدى تشدّد الإمام الكاظم عليه السلام في أمرين:

الأول: مرجعيّة الإمام الكاظم عليه السلام العلميّة وضرورة التمسك بأهل البيت عليهم السلام.

والثاني: مكافحة ظاهرة التفسير بالرأي والقياس والاستحسان والفقهاء الذين يعتمدون هذه المناهج في مقابل ترك منهج أهل البيت عليهم السلام.

[١]- الطبرسي، الاحتجاج، م، س، ص ٣٩٤.

[٢]- الصقار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد، ص ٢٧٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، م، س، ج ٤٨، ص ٥٢.

## أ. قضية عبد الله الأفطح

ومن المشاكل التي أثرت في مطلع تسلّم الإمام موسى عليه السلام لمسؤولية الإمامة، والتي كانت تهدف إلى تمزيق وحدة الجماعة الشيعية وإثارة البلابل والقلقل والتخريب في صفوفها، هي التشكيك في مسألة القيادة، بأنها لمن تكون بعد الإمام الصادق عليه السلام بسبب ما ادّعاه التيار الإسماعيليّ كما تقدّم، وما ادّعاه أيضًا عبد الله الأفطح من أمر الإمامة، وهو أحد أبناء الإمام الصادق عليه السلام، وهو الولد الأكبر بعد أخيه إسماعيل، وقد ادّعى الإمامة لنفسه بعد استشهاد أبيه، وقد مثل هذا الادّعاء تحديًا داخليًا على الجماعة الشيعية لما فيه من كذب في التصديّ لمقام الإمامة مع ما يمثله هذا المقام في عقل الشيعة ووجدانهم وطبيعة حياتهم، هذا مع استغلال السلطة الحاكمة لمثل هذه الادعاءات وتغذيتها لمواجهة الإمام الكاظم وإيجاد حالة من اللااستقرار داخل المناخ الشيعي وإثارة الإلتباسات؛ لأنّ أجهزة المنصور العدوانية كانت تعدّ عليه الأنفاس وتشكّ في أيّ حركة تصدر منه<sup>[١]</sup>.

يقول الشيخ المفيد: «كان عبد الله بن جعفر أكبر إخوته بعد إسماعيل ولم يكن منزلته عند أبيه منزلة غيره من ولده في الإكرام، وكان متّهمًا بالخلاف على أبيه في الاعتقاد، فيقال إنّ كان يخالط الحشوية ويميل إلى مذاهب المرجئة، وادّعى بعد أبيه الإمامة واحتج بأنّه أكبر إخوته الباقيين، فتابعه على قوله جماعة من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، ثمّ رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة أخيه موسى عليه السلام لما تبيّنوا ضعف دعواه، وقوة أمر أبي الحسن، ودلالة حقيقته، وبراهين إمامته وأقام نفر يسير منهم على أمرهم ودانوا بإمامة عبد الله، وهم الطائفة الملقّبة بالفطحية، وإنّما لزمهم هذا اللقب لقولهم بإمامة عبد الله، وكان أفطح الرجلين، ويقال إنّهم لُقّبوا بذلك لأنّ داعيهم إلى إمامة عبد الله كان يُقال له عبد الله بن أفطح»<sup>[٢]</sup>.

وفي منهج تعامل الإمام الكاظم عليه السلام مع مشكلة أخيه عبد الله الأفطح، فقد عمل

[١]- انظر: الحسن، هاشم معروف، سيرة الأئمة الأثني عشر، ج ٢، ص ٣٢٥.

[٢]- المفيد، الإرشاد، م، س، ج ٢، ص ٢١٠.

الإمام الكاظم عليه السلام على مواجهة أمثال هذه التحديات وحلّ تلك المشكلات، بطريقته المميّزة، بحيث لم يتحرّك في ضوء ما يؤدّي إلى تفريق وحدة الصف الشيعي وإيجاد الانقسام بين مع وضدّ، «وإنّما عالج هذا الشرخ الجديد بأسلوب هادئ، وكفيل بعلاج هذه الأزمة. ويتّضح ذلك مما يلي:

- ترك للشيعة وعلمائها الحرّية في أن تكتشف بنفسها كفاءة هذا المدّعي وعلميّته أو تكتشف غيرها من الطاقات فيما إذا كان يمتلكها، عن طريق الفحص المباشر، أو المقارنة بينه وبين الإمام موسى عليه السلام، كما حدث مع مؤمن الطاق وهشام بن سالم، وقد تقدّم ذكرهما.

- أبقى الإمام عليه السلام علاقته مع أخيه وديّة، ولم يجعل من المشكلة سبباً للمقاطعة، بدليل أنّه دعاه للحضور في منزله كما تذكره الرواية التي سنذكرها بعد قليل.

- استخدم الإمام عليه السلام أسلوب المعجزة التي تميّزه عن عبد الله باعتباره عليه السلام إماماً مفترض الطاعة، فقام عليه السلام بإثبات ذلك أمام جمع من خواصّ الشيعة<sup>[١]</sup>.

وقد آتت هذه الأساليب أكلها في تحقيق الهدف المطلوب، حيث يسجّل التاريخ رجوع كثير من المعتقدين بإمامة الأفضح إلى القول بإمامة الكاظم عليه السلام عندما لمسوا براهين ومؤشّرات إمامته عليه السلام من العلم والكرامات الغيبية والأخلاق الإلهية...

يقول المفصّل بن عمر: «لما قضى الصادق عليه السلام كانت وصيّته في الإمامة إلى موسى، فادّعى أخوه عبد الله الإمامة وكان أكبر ولد جعفر في وقته ذلك هو المعروف بالأفضح فأمر موسى عليه السلام بجمع حطب كثير فيوسط داره فأرسل إلى أخيه عبد الله يسأله أن يصير إليه، فلمّا صار عنده ومع موسى عليه السلام جماعة من وجوه الإمامية وجلس إليه أخوه عبد الله، أمر موسى عليه السلام أن يجعل النار في ذلك الحطب كلّه فأحترق كلّه، ولا يعلم الناس السبب فيه، حتّى صار الحطب كلّه جمراً، ثمّ قام موسى عليه السلام بشيابه في وسط النار وأقبل يحدّث الناس ساعة، ثمّ قام فنفض ثوبه ورجع إلى المجلس، فقال لأخيه عبد الله:

[١]- المعجم العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية، م، ص، ٨٢.

إن كنت تزعم أنك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس، فقالوا: رأينا عبد الله قد تغير لونه، فقام يجير رداءه حتى خرج من دار موسى عليه السلام»<sup>[١]</sup>.

### ب. بعض الفرق الشيعية المنحرفة المعاصرة للإمام الكاظم عليه السلام

نشأت في أخريات عهد الإمام الصادق عليه السلام، واستمرت في عصر الكاظم عليه السلام مجموعة من الفرق الشيعية التي انحرفت عن خط مدرسة أهل البيت، منهم: الناوسية، والمباركية، والقرامطة، والإسماعيلية... وثمة نص للشيخ المفيد يعطينا صورة واضحة عن الفرق التي كانت معاصرة للإمام الكاظم عليه السلام وتبين لنا طبيعة التحديات العقائدية التي كان الكاظم عليه السلام يعايشها ويعمل على مواجهتها، نكتفي بعرضه لجامعيته للمطلوب.

قال الشيخ المفيد: «لم تزل الإمامية على القول بنظام الإمامة حتى افترت كلماتها بعد وفاة أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام. فقالت فرقة منها إن أبا عبد الله عليه السلام حي لم يموت ولا يموت حتى يظهر فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً لأنه القائم المهدي. وتعلقوا بحديث رواه رجل يُقال له عَبْسَةُ بْنُ مُصْعَبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «إِنْ جَاءَكُمْ مَنْ يُخْبِرُكُمْ عَنِّي بِأَنَّهُ غَسَلَنِي وَكَفَّنَنِي وَدَفَنَنِي فَلَا تُصَدِّقُوهُ».

وهذه الفرقة تسمى الناوسية، وإنما سميت بذلك لأن رئيسهم في هذه المقالة رجل من أهل البصرة يُقال له عبد الله بن ناووس.

وقالت فرقة أخرى إن أبا عبد الله عليه السلام توفي ونص على ابنه إسماعيل بن جعفر عليه السلام، وأنه الإمام بعده، وأنه القائم المنتظر، وأنكروا وفاة إسماعيل في حياة أبي عبد الله عليه السلام، وقالوا إنه لم يموت وإنما لبس على الناس في أمره لأمر رآه أبوه.

وقال فريق منهم إن إسماعيل قد كان توفي على الحقيقة في زمن أبيه عليه السلام غير أنه قبل وفاته نص على ابنه محمد، فكان الإمام بعده.

[١]- المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج٤٧، ص٢٥١.

وهؤلاء هم القرامطة، وهم المباركية، ونسبهم إلى القرامطة برجل من أهل السواد يقال له قرمطويه، ونسبهم إلى المباركية برجل يسمّى المبارك مولى إسماعيل بن جعفر، والقرامطة أخلاف المباركية والمباركية سلفهم.

وقال فريق من هؤلاء إنّ الذي نصّ على محمد بن إسماعيل هو الصادق عليه السلام دون إسماعيل، وكان ذلك الواجب عليه؛ لأنّه أحقّ بالأمر بعد أبيه من غيره، ولأنّ الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام.

وهؤلاء الفرق الثلاث هم الإسماعيلية، وإنّما سمّوا بذلك لادّعائهم إمامة إسماعيل. وأمّا علّتهم في النصّ على إسماعيل، فهي أن قالوا كان إسماعيل أكبر ولد جعفر، وليس يجوز أن ينصّ على غير الأكبر. قالوا وقد أجمع من خالفنا على أن أبا عبد الله عليه السلام نصّ على إسماعيل غير أنّهم ادّعوا أنّه بدا لله فيه وهذا قول لا نقبله منهم.

وقالت فرقة أخرى إنّ أبا عبد الله توفّي، وكان الإمام بعده محمد بن جعفر، واعتلّوا في ذلك بحديث تعلّقوا به، وهو أن أبا عبد الله عليه السلام على ما زعموا كان في داره جالساً فدخّل عليه محمد وهو صبيّ صغير فعدا إليه فكبا في قميصه، ووقع لوجهه، فقام إليه أبو عبد الله عليه السلام فقبله ومسح التراب عن وجهه وضمّه إلى صدره وقال سمعت أبي يقول إذا ولد لك ولد يشبهني فسمّه باسمي، وهذا الولد شبيهي وشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى سنته وشبيه علي عليه السلام.

وهذه الفرقة تسمّى الشمطية بنسبتها إلى رجل يقال له يحيى بن أبي الشمط<sup>[١]</sup>.

### ٣. بيان الحقائق العقائدية أمام سلاطين بني العباس

تقدّم الحديث عن بعض الظروف القاسية والصعبة التي كانت تُحيط بالإمام الكاظم عليه السلام من حكام بني العباس، وثمة مؤشرات عديدة على أن سلاطين بني العباس كانوا يعرفون أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام، كالصادق والكاظم عليهما السلام، أحقّ بالقيادة

[١]- المفيد، الفصول المختارة، م، ص، ٣٠٥-٣٠٦. وقد عقب الشيخ المفيد بعد هذا العرض بمناقشة.

الدينيّة والخلافة عن رسول الله، فينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: ١٤)، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ (البقرة: ٨٩).

مثلاً، يخبرنا المأمون - في حديث طويل - عن دخول الإمام الكاظم على هارون الرشيد: «... فلما خلا المجلس قلت: يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي عظّمته وأجلّته، وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته، وأقعدته في صدر المجلس، وجلست دونه، ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟! »

قال: هذا إمام الناس، وحجّة الله على خلقه، وخليفته على عباده.

فقلت: يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات كلّها لك وفيك؟! »

فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حقّ.

والله يا بنيّ إنه لأحقّ بمقام رسول الله ﷺ مني ومن الخلق جميعاً، والله لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عينك فإنّ الملك عقيم»<sup>[١]</sup>.

ورغم كلّ الظروف الصّعبة والمناخات القاسية التي كانت تحيط بالإمام والتي تفرض عليه استعمال سياسة التقيّة، إلا أنّ ثمة بعض المحطّات التي كان يُظهر فيها الحقائق العقائديّة أمام سلاطين بني أميّة.

نقدّم نموذجاً على ذلك: عن الإمام موسى عليه السلام يقول: «لما أدخلت على الرشيد سلّمت عليه فردّ عليّ السلام ثم قال: يا موسى بن جعفر خليفين يُجبي إليهما الخراج؟! » فقلت: يا أمير المؤمنين، أعيدك بالله أن تبوء بإثمي وإثمك، وتقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت أنه قد كُذّب علينا منذ قبض رسول الله ﷺ بما علّم ذلك عندك، فإن رأيت بقرابتك من رسول الله ﷺ أن تأذن لي أحدثك بحديث أخبرني به أبي، عن آبائه، عن جدّي رسول الله ﷺ؟! »

[١]- الصدوق، عيون أخبار الرضا، م، ج ١، ص ٨٨.



الله ﷺ وقد توفي أبو طالب قبله، والعبّاس عمّه حيّ؟

فقلت له: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من هذه المسألة ويسألني عن كلّ باب  
سواه يريد.

فقال: لا أو تحيب.

فقلت: فأمني؟

قال: قد آمنتك قبل الكلام.

فقلت: إن في قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام إذن ليس مع ولد الصّلب ذكرًا كان  
أو أنثى لأحد سهم إلاّ للأبوين والزوج والزوجة، ولم يثبت للعم مع ولد الصّلب  
ميراث، ولم ينطق به الكتاب، إلاّ أنّ تيمًا وعديًا وبني أمية قالوا: العم والد رأيًا منهم بلا  
حقيقة، ولا أثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله. ومن قال بقول عليّ عليه السلام من العلماء قضاياهم خلاف  
قضايا هؤلاء، هذا نوح بن درّاج يقول في هذه المسألة بقول عليّ عليه السلام وقد حكم به،  
وقد ولاه أمير المؤمنين المصريين الكوفة والبصرة، وقد قضى به فأنهى إلى أمير المؤمنين  
فأمر بإحضاره وإحضار من يقول بخلاف قوله منهم سفيان الثوريّ، وإبراهيم المدني  
والفضيل بن عيّاض، فشهدوا أنّه قول عليّ عليه السلام في هذه المسألة، فقال لهم - فيما أبلغني  
بعض العلماء من أهل الحجاز -: فلم لا تفتون به وقد قضى به نوح بن درّاج؟ فقالوا جسر  
نوح وجبنا وقد أمضى أمير المؤمنين قضيته بقول قدماء العامة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: عليّ  
أفضاكم، وكذلك قال عمر بن الخطاب: عليّ أفضانا، وهو اسم جامع لأنّ جميع ما مدح  
به النبيّ صلى الله عليه وآله أصحابه من القراءة والفرائض والعلم داخل في القضاء.

قال: زدني يا موسى.

قلت: المجالس بالأمانات وخاصّة مجلسك؟

فقال: لا بأس عليك.

فقلت: إن النبي صلى الله عليه وآله لم يورث من لم يهاجر، ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر.

فقال: ما حججتك فيه؟

قلت: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ (الأنفال: ٧٢) وإن عمي العباس لم يهاجر.

فقال لي: أسألك يا موسى هل أفتيت بذلك أحدًا من أعدائنا؟ أم أخبرت أحدًا من الفقهاء في هذه المسألة بشيء؟

فقلت: اللهم لا، وما سألتني عنها إلا أمير المؤمنين.

ثم قال: لم جوزتم للعامة والخاصة أن ينسبواكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون لكم: يا بني رسول الله، وأنتم بنو عليٍّ وإنما ينسب المرء إلى أبيه وفاطمة إنهما هي وعاء، والنبي صلى الله عليه وآله جدكم من قبل أمكم؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أن النبي صلى الله عليه وآله نُشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه؟

فقال: سبحان الله ولم لا أجيبه؟! بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك.

فقلت: لكنّه صلى الله عليه وآله لا يخطب إليّ ولا أزوجه.

فقال: ولم؟

فقلت: لأنّه ولدني ولم يلدك.

فقال: أحسنت يا موسى.

ثم قال: كيف قلت إننا ذرية النبي، والنبي صلى الله عليه وآله لم يعقب؟ وإنما العقب للذكر لا للإناث، وأنتم ولد الابنة، ولا يكون لها عقب؟

فقلت: أسألك بحق القرابة والقبر ومن فيه إلا ما أعفيتني عن هذه المسألة.

فقال: لا أو تخبرني بحججتكم فيه يا ولد عليٍّ، وأنت يا موسى يعسوبهم، وإمام زمانهم،

كذا أنهي إليّ، ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه، حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب الله، فأنتم تدعون معشر ولد عليّ أنه لا يسقط عنكم منه شيء (ألف ولا واو) إلا وتأويله عندكم، واحتججتم بقوله عزّ وجلّ: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨) وقد استغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم.

فقلت: تأذن لي في الجواب؟

قال: هات.

فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَرَكَرِيًّا وَيَحْيَى وَعِيسَى...﴾ (الأنعام: ٦١-٦٢) من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟

فقال: ليس لعيسى أب.

فقلت: إنّها ألحقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام، وكذلك ألحقنا بذراري النبي صلى الله عليه وآله من قبل أمنا فاطمة عليها السلام. أزيدك يا أمير المؤمنين؟

قال: هات.

قلت: قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١) ولم يدع أحد أنه أدخل النبي صلى الله عليه وآله تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلاّ علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فكان تأويل قوله عزّ وجلّ أبناءنا: الحسن والحسين، ونساءنا: فاطمة، وأنفسنا: علي بن أبي طالب.

إنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ جبرئيل قال يوم أحد: يا محمد، إنّ هذه هي المواساة من عليّ قال: لأنّه مني وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله، ثم قال: لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ، فكان كما مدح الله عزّ وجلّ به خليفته عليه السلام إذ يقول: ﴿فَتَى

يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ» (الأنبيا: ٦٠) إِنَّا مَعَشَرُ بَنِي عَمِّكَ نَفْتَخِرُ بِقَوْلِ جَبْرِئِيلَ أَنَّهُ مِنَّا.

فقال: أحسنت يا موسى ارفع إلينا حوائجك.

فقلت له: أوّل حاجة أن تأذن لابن عمك أن يرجع إلى حرم جدّه عليه السلام وإلى عياله.

فقال: ننظر إن شاء الله»<sup>[١]</sup>.

تفيد النصوص السابقة أموراً عدّة:

**الأوّل:** معرفة هارون الرشيد بأحقية الكاظم بالإمامة خلافة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، واعترافه بذلك وأنه هو - أي هارون - إمام بالغلبة والقهر، فالمنع عن تسليم القيادة لأهلها هو حبّ الدنيا والملك والسلطة، كما صرّح بذلك بقوله: «والله يا بنيّ، إنّه لأحقّ بمقام رسول الله صلّى الله عليه وآله منّي ومن الخلق جميعاً، والله لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك؛ فإنّ الملك عقيم».

**الثاني:** اطلاع هارون على عقيدة الشيعة بأنّ الإمام الكاظم عليه السلام يعلم بتأويل الكتاب وأنّه مستغن عن آراء العلماء وقياساتهم، ولذا طالبه هارون بالاستدلال بالقرآن بهذا التبرير.

**الثالث:** معرفة هارون الرشيد بفضل أهل بيت النبوة على بني العباس، كما يفيدته قوله: «أخبرني لم فضّلتهم علينا ونحن وأنتم من شجرة واحدة وبنو عبد المطلب ونحن

[١]- الصدوق، عيون أخبار الرضا، م.س، ج ١، ص ٨١؛ الطبرسي، الاحتجاج، م.س، ص ٢١١. النموذج الثاني: إنّ هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر عليه السلام: «حدّ فديكاً حتى أردّها إليك، فيأبى حتى ألخّ عليه. فقال عليه السلام: لا آخذها إلاّ بحدودها. قال: وما حدودها؟ قال عليه السلام: إن حدّدتها لم تردّها. قال: بحقّ جدّك إلاّ فعلت. قال عليه السلام: أمّا الحدّ الأوّل فعدن. فتغيّر وجه الرشيد وقال: إيها. قال عليه السلام: والحدّ الثاني سمرقند. فأريد وجهه. قال عليه السلام: والحدّ الثالث أفريقية. فأسوّد وجهه وقال: هيّه. قال عليه السلام: والرابع سيف البحر مما يلي الجزر وأرمينية. قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء، فتحوّل إلى مجلسي! قال موسى عليه السلام: قد أعلمتك أنّي أن حدّدتها لم تردّها. فعند ذلك عزم على قتله». ابن شهر آشوب، أبي جعفر محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٢٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٢٩، ص ٢٠٠؛ ج ٤٨، ص ١٤٤.

النموذج الثالث: «لمّا دخل هارون الرشيد المدينة توجّه لزيارة النبي صلّى الله عليه وآله ومعه الناس، فتقدّم الرشيد إلى قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال: السلام عليك يا رسول الله يا ابن عمّ، مفتخرًا بذلك على غيره. فتقدّم أبو الحسن عليه السلام فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبه. فتغيّر وجه الرشيد وتبيّن الغيظ فيه». الطبرسي، الاحتجاج، م.س، ص ٢١٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٩٣، ص ٢٣٩؛ ج ٤٨، ص ١٠٣.

وأنتم واحد، أنا بنو العباس وأنتم ولد أبي طالب، وهما عمّا رسول الله ﷺ وقرابتها منه سواء».

الرابع: أنّ القضايا التي كانت تشغل عقل هارون تتعلق بانتساب الكاظم عليه السلام بالنبوة إلى رسول الله ﷺ، وأفضليّة أهل البيت، وأحقّيتهم بالخلافة والإمامة، وقضيّة فدك مع ما تمثله في حركة الإمامة والخلافة...

الخامس: قوّة حجّة الإمام الكاظم باستدلّاله بالآيات القرآنيّة والمباني العامّة حول هذه القضايا كلّها، كما هو واضح في نصّ الرواية.

وحاول حكّام بني العباس مرارًا الافتراء على الإمام الكاظم عليه السلام، وألصقوا به التّهم التي تشير إلى انحراف في العقيدة؛ لتشويه صورته، وتخطيم هيئته، وخلق الذرائع لممارساتهم القمعيّة ضدّه عليه السلام، ولكن الكاظم كان يردّ على هذه الافتراءات والاتهامات بأسلوبه القائم على الحجّة البالغة والأدلة القويّة، التي يصدق عليها قوله تعالى - كما صرّح الكاظم عليه السلام فيما سيأتي - ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨).

ومن النماذج على ذلك، ما رُوي عن هارون الرشيد - في حديث - أنّه قال للإمام الكاظم عليه السلام: «بقي مسألة تخبرني بها ولا تضجر».

فقال له الإمام عليه السلام: سل.

فقال: خبروني أنّكم تقولون إنّ جميع المسلمين عبيدنا، وجوارينا، وأنّكم تقولون: من يكون لنا عليه حقّ ولا يوصله إلينا فليس بمسلم.

فقال له موسى عليه السلام: كذب الذين زعموا أنّنا نقول ذلك، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يصحّ البيع والشراء عليهم ونحن نشترى عبيدًا وجواري ونقعد معهم ونأكل معهم ونشترى المملوك ونقول له: يا بنيّ، وللجارية: يا بنتي، ونقعدهم يأكلون معنا

تقرباً إلى الله سبحانه، فلو أنهم عبيدنا وجوارينا ما صحَّ البيع والشراء...»<sup>[١]</sup>.

#### ٤. حركة التغيير العقائدي بدعم الثورات المسلّحة (ثورة فخ)

لم يكتفِ الإمام الكاظم عليه السلام بقوة المنطق في بيان الحقائق العقائدية في محضر هارون الرشيد، بل قام بدعم منطق القوة عند بعض الحركات الثورية في مواجهة العقائدية كثورة فخ، ولا نريد أن نخوض الحديث حول طبيعة ثورة فخ وأسبابها ونتائجها، إننا التركيز على نقطة ترتبط بموضوع بحثنا، وهي أن الكاظم عليه السلام حافظ في الصورة العامة على نهج أبيه في سياسة الحياد لفقدان الشروط الموضوعية التي تمكّنه من القيام والنهوض المسلّح ضدّ السلطة العباسية، وقد ظهر موقفه هذا في الحادثة التي وقعت مع المهديّ العباسي.

فعن الفضل بن الربيع أنّه أخبر عن أبيه أنّ المهديّ لما حبس موسى بن جعفر ففي بعض الليالي رأى المهديّ في منامه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول له: «يا محمد، فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ» (محمد: ٢٢).

قال الربيع: فأرسل إليّ ليلاً فراعني، وخفت من ذلك وجئت إليه، وإذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتاً. فقال: عليّ الآن بموسى بن جعفر! فجئت به فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال: يا أبا الحسن، رأيت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في النوم، فقرأ عليّ كذا فتؤمّني أن تخرج عليّ أو على أحد من ولدي.

فقال موسى بن جعفر عليه السلام: والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأنى...»<sup>[٢]</sup>.

مع ذلك، النقطة المهمة في ثورة فخ هي تعاطف الإمام معها ودعمها لها كونها تمثّل مواجهة مع الاتجاه الذي يمثّل الفسق والشرك والنفاق، وهذا يندرج في عموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - خصوصاً أنّ هذه الفريضة في اعتقادنا لا تختصّ بالعمليات

[١]- ابن طاووس، علي بن موسى، فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، ص ١٠٩.

[٢]- الأربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، م، س، ج ٣، ص ٣.

بل تشمل الاعتقادات أيضًا- حيث قام الإمام عليه السلام بدعم الثورة المسلحة في حركة المواجهة الفكرية والعقائدية.

وهذا ما نلاحظه بشكل جليّ في ما روي عنه عليه السلام من قوله لصاحب الثورة الحسين بن عليّ بن الحسن المثلث ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «إنك مقتول فأحد الضراب فإنّ القوم فساق يظهرون إيماناً ويضمرون نفاقاً وشرّاً، فإنّا لله وإنا إليه راجعون وعند الله أحسبكم من عُصبة»<sup>[١]</sup>. وكذلك في النصّ الذي روي عنه عندما سمع بمقتل الحسين صاحب الثورة ورأى رأسه، حيث قال: «إنّا لله وإنا إليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً، صوّماً قوّاماً، أمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله»<sup>[٢]</sup>.

### ٥. سجن الإمام الكاظم عليه السلام ودوره القياديّ

ثمّة مؤسّرات عديدة إلى أنّ خلفاء بني العباس المعاصرين للكاظم عليه السلام كانوا يعرفون في باطنهم أنّ القيادة الدينية هي من حقّ الكاظم عليه السلام، بل يصرّحون بذلك أحياناً، وقد قام الإمام عليه السلام بدوره القياديّ في الأُمَّة، بحيث اتسع نطاق أنصار خطّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام بفعل قوّة حضوره وحرّكته عليه السلام وامتداد تأثيرها في الأُمَّة، وتناقل الناس أفكاره ومعارفه وعلومه وأخلاقه... وهذان الأمران -أي أحقيّة الكاظم بالإمامة مع سيطرة بني العباس عليها بالقهر والغلبة وقوّة تأثير الإمام عليه السلام بما يشكّل تهديداً لبني العباس في التفاف الأُمَّة حول الإمام- كافيان في توليد الشعور بالخوف عند خلفاء بني العباس من ثقل حضور الكاظم عليه السلام، مما دفع الرشيد إلى التخطيط لمحاصرة الإمام ومنع نشاطه وإن اقتضى الأمر اعتقاله وسجنه.

ومما يؤسّر إلى ذلك، بشكل واضح، ما رُوي عن إبراهيم بن أبي البلاد قال: «كان يعقوب بن داود يخبرني أنّه قد قال بالإمامة، فدخلت عليه بالمدينة في الليلة التي أخذ

[١]- أبو الفرج الأصفهانيّ، علي بن الحسين بن محمد، مقاتل الطالبين، ص ٢٩٨.

[٢]- م، ن، ص ٣٠٢.

فيها موسى بن جعفر عليه السلام في صبيحتها، فقال لي: كنت عند الوزير الساعة -يعني يحيى بن خالد- فحدثني أنه سمع الرشيد يقول عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله كالمخاطب له: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، إنّي أعتذر إليك من أمر قد عزمت عليه، فإني أريد أن آخذ موسى بن جعفر فأحبسه؛ لأنّي قد خشيت أن يلقي بين أمّتك حرباً تُسفك فيها دماءهم، وأنا أحسب أنه سيأخذه غداً، فلما كان من الغد أرسل إليه الفضل الربيع وهو قائم يصلي في مقام رسول الله صلى الله عليه وآله فأمر بالقبض عليه وحبسه»<sup>[١]</sup>.

فبعد زيارة الرشيد قبر الرسول صلى الله عليه وآله، أمر بالقبض على الإمام، وقد اعتقل عليه السلام، فشكا في تلك اللحظات لجده رسول الله صلى الله عليه وآله: «إليك أشكو يا رسول الله»<sup>[٢]</sup>.

وكان حسان السرويّ هو المأمور بحراسة الإمام عليه السلام أثناء الطريق من المدينة إلى البصرة، وقبل أن يصل إلى البصرة تشرف بالمشول بين يديه عبد الله بن مرحوم الأزدي، فكان الإمام وهو في الحال هذه يعيش همّ الإمامة، ويمارس دوره القياديّ في تهيئة البيئة الحاضنة لإمامة الرضا عليه السلام، فدفع لعبد الله الأزديّ كتباً وأمره بإيصالها إلى وليّ عهده الإمام الرضا وعرفه بأنّه الإمام من بعده. وسارت القافلة حتى وصلت البصرة، وأخذ حسان الإمام ودفعه إلى عيسى بن أبي جعفر، فحبسه في بيت من بيوت المحبس، وأقفل عليه أبواب السجن، فكان لا يفتحها إلاّ في حالتين: إحداهما في خروجه للظهور، والأخرى لإدخال الطعام له عليه السلام.

وقد انقطع الإمام عليه السلام داخل السجن لعبادة الله تعالى، وكان يقول في دعائه: «اللهم إنك تعلم أنّي كنت أسألك أن تفرّغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت، فلك الحمد»<sup>[٣]</sup>.

ولمّا شاع خبر اعتقال الإمام في البصرة وعلم الناس بمكانه هبّ إليه العلماء وغيرهم لغرض الاتّصال به من طريق خفيّ فاتصل به ياسين الزيات الضرير البصريّ وروى عنه<sup>[٤]</sup>.

[١]- الصدوق، عيون أخبار الرضا، م، س، ج ٢، ص ٧٣.

[٢]- أبو الفرج الأصفهانيّ، مناقب آل أبي طالب، م، س، ج ٣، ص ٤٤٠.

[٣]- المفيد، الإرشاد، م، س، ج ٢، ص ٢٤٠.

[٤]- النجاشتيّ، فهرس أسماء مصتفي الشيعة المشتهر بـ«رجال النجاشتيّ»، ص ٤٥٣، رقم ١٢٢٧.

ثم نُقل الإمام إلى سجن بغداد، ثم أُطلق سراحه بدعاء منه عليه السلام، وبقي في بغداد، ولما خاف الرشيد من نشاط الإمام اعتقله ثانية وأودعه في بيت الفضل بن يحيى. ولما رأى الفضل عبادة الإمام عليه السلام عظم في عينه، ولم يضيّق عليه، ولما أوعز الرشيد للفضل باغتيال الإمام عليه السلام لم يجبه إلى ذلك، وخاف من الله؛ لأنّه كان ممن يذهب إلى الإمامة ويدين بها، وهذا هو الذي سبب تنكيل الرشيد بالفضل واتّهام البرامكة بالتشيّع<sup>[١]</sup>.

ثم نقل الإمام إلى سجن السنديّ بن شاهك، وكان يعامله بكل قسوة، ووكل بشّارًا مولاه، وكان من أشدّ الناس بغضًا لآل أبي طالب، ولكنّه لم يلبث أن تغير حاله وآب إلى طريق الحقّ، وذلك لما رآه من كرامات الإمام عليه السلام ومعاجزه، وقام ببعض الخدمات له<sup>[٢]</sup>.

وهذه الحوادث تدلّ على أنّ الإمام كان يمارس دوره القياديّ في حركة التغيير العقائديّ في السجن بواسطة سلوكه العباديّ وأخلاقه الطاهرة. ومن المؤثّرات أيضًا، أنّ أخت الجلاد السنديّ بن شاهك تحدّثنا عمّا رآته من إقبال الإمام وطاعته لله والتي أثّرت في نفسها وأصبحت فيما بعد من الصالحات، فكانت تعطف على الإمام عليه السلام وتقوم بخدمته وإذا نظرت إليه أرسلت ما في عينها من دموع وهي تقول: «خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل»<sup>[٣]</sup>.

ولم ينقطع اتصال العلماء بالإمام في خلال فترة سجنه كما أشرنا، بل كانوا يتصلون به عن طريق خفيّ ليستفيدوا من علومه عليه السلام، فمثلاً سمح السنديّ بن شاهد لموسى بن إبراهيم المروزيّ، بالاتصال بالإمام؛ لأنّه كان معلّمًا لولده، وقد ألف موسى بن إبراهيم كتابًا مما سمعه من الإمام<sup>[٤]</sup>.

[١]- انظر: المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، أعلام الهداية، م.س، ص ١٣٢؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، م.س، ص ٥٠٣.

[٢]- المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، أعلام الهداية، م.س؛ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، م.س، ص ٤٣٨، ح ٨٢٧.

[٣]- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٣، ص ٣١.

[٤]- النجاشي، رجال النجاشي، م.س، ص ٤٠٧، رقم ١٠٨٢.

كما كانت بعض الأقاليم الإسلامية التي تدين بالإمامة ترسل عنها مبعوثاً خاصاً للإمام عليه السلام حينما كان في سجن السندي، فتزوده بالرسائل، وكان عليه السلام يجيبهم عنها، ومن اتصل به عليه السلام علي بن سويد، وسلّم إليه الكتب فأجابه عليه السلام [١].

ومن ضمن الأساليب التي اعتمدها الإمام هو نظام الوكالة، حيث عين الإمام عليه السلام جماعة من تلامذته وأصحابه، فجعلهم وكلاء له في بعض البلاد الإسلامية، وأرجع إليهم شيعته لأخذ الأحكام الإسلامية منهم، كما وكلهم في قبض الحقوق الشرعية، لصرّفاً على الفقراء والبتائين من الشيعة وإنفاقها في وجوه البر والخير، فقد نصب المفضل بن عمر وكليلاً له في قبض الحقوق وأذن له في صرفها على مستحقّيها [٢].

ومن هنا بدأت ظاهرة الوكالة في تخطيط أهل البيت عليهم السلام لإدارة الجماعة الصالحة، وتطوّرت فيما بعد بمرور الزمن في حياة الإمام الجواد والهادي والعسكري والإمام المهدي عليهم السلام.

## ٦. الحياة العلميّة في عصر الإمام الكاظم عليه السلام

لا تنفصل الحياة العلميّة لأيّ إمام من أئمّة أهل البيت عليهم السلام عن النشاط العلميّ والحركة الفكرية لمن سبقه منهم، بل هي حلقة في سلسلة جامعة أهل البيت عليهم السلام، حيث يكمل اللاحق مسيرة السابق.

فقد «كان من أهمّ ما عنى به الإمام موسى الكاظم نشر الثقافة الإسلامية وإشاعة المعارف العامّة بين الناس، وقد عملت تعاليمه الرفيعة على تنمية العقول و تثقيف الأفكار وتقدّم المسلمين في الميادين العلميّة. لقد احتفّ بالإمام أثناء إقامته في يثرب جمع غفير من كبار العلماء ورواة الحديث ممّن تتلمذوا في جامعة أبيه الكبرى، التي أنارت العقل الإنسانيّ وأطلقت من عقل الجهل. وقد أفاض عليهم الإمام الشيء الكثير من علومه ومعارفه التي هي ممتدة من علم جدّه الرسول كما زوّد الفقه الإسلاميّ بطاقات كبيرة من آرائه الحصيفة، ورواياته عن آبائه... ونظرًا لمركزه العلميّ الخطير فقد شاع ذكره

[١]- المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية، م.س.

[٢]- م.ن.

في البلاد الإسلاميّة، وتحدث الركبان بوفرة مواهبه ومقدرته العلميّة، وقد دان شطر كبير من المسلمين بإمامته، وجعلوا مودّته والأخذ بقوله فرضاً من فروض الدين... لقد اضطر العلماء أثناء حبس الإمام في البصرة وفي بغداد أن يتصلوا به، ويأخذوا من علومه، ولكن كان ذلك مع تسرّ وخوف بالغين من السلطة التي لم تكن تهتم بالتقدّم العلميّ لشعوبها»<sup>[١]</sup>.

وقد تمثل العطاء العلميّ والفكريّ للإمام الكاظم عليه السلام في مجالات:

١ - الرواية

٢ - التدريس

٣ - المناظرة

٤ - التّأليف<sup>[٢]</sup>.

وأثرت عن الإمام الكاظم عليه السلام مجموعات روائية عدّة، مثل: مسائل عليّ بن جعفر والأشعثيات، وقام الشيخ عزيز الله العطارديّ بجمع ما روي عن الإمام الكاظم عليه السلام من المراجع والمصادر المتوّعة والمختلفة، وتبويبه وتنظيمه، وسماه بـ «مسند الإمام الكاظم أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام»، وقد بلغ المسند ثلاث مجلّدات تجاوزت الألف صفحة<sup>[٣]</sup>، مقسّمة إلى كتب وأبواب، تغطّي المجالات الثلاثة الأساسيّة: العقائد، الأخلاق، الفقه والقانون.

[١]- القرشي، باقر شريف، حياة الإمام موسى بن جعفر دراسة وتحليل، ج ١، ص ٣٦-٣٧.

[٢]- المجموع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية، م.س، ص ١٥٣.

[٣]- يشتمل الجزء الأوّل من هذا المسند على الأبواب التالية: العقل والعلم (في ١٠ أبواب)، التوحيد (في ١٤ باباً)، تاريخ الأنبياء والأئمّة (في ١٤ باباً)، والنبوة والإمامة (في ٢٢ باباً)، والتعريف بالصحابة (في ٤١ باباً)، والتعريف برواة الإمام الكاظم (في ٦٣٨ باباً)، وأبواب الإيمان والكفر (في ٤٢ باباً)، والأخلاق والعشرة (في ١٥٢ باباً).

والجزء الثاني: كتاب القرآن بأبوابه الـ (٥١ باباً)، وكتاب الأدعاء (في ٥١ باباً)، والاحتجاجات (في ٨ أبواب) ومعظم كتب الفقه، فكتاب الطهارة (في ٧٣ باباً)، وكتاب الصلاة (في ٤١ باباً)، وكتاب الصوم (في ٢٥ باباً)، وكتاب الزكاة (في ٢٨ باباً)، وكتاب المعيشة (في ٥٩ باباً)، وكتاب السفر (في ٨ أبواب)، وكتاب الحج (في ٦٨ باباً)، وكتاب الزيارة (في ٧ أبواب)، وكتاب الجهاد (في ٥ أبواب)، وكتاب النكاح (في ٤٠ باباً)، وكتاب الطلاق (في ٣٠ باباً).

والجزء الثالث: كتاب الأولاد (في ١٢ باباً)، وكتاب التجمّل والزينة (في ٤٣ باباً)، وكتاب الرواتب (في ١٢ باباً)، وكتاب الأطعمة (في ٦٨ باباً)، وكتاب الأشربة (في ١٣ باباً)، وكتاب العتق (في ١٢ باباً)، وكتاب الأيمان والنذور (في ٩ أبواب)، وكتاب الحدود (في ١٨ باباً)، وكتاب الدّيّات (في ١٦ باباً)، وكتاب الوصية (في ١٥ باباً)، وكتاب الإرث (في ١١ باباً)، وكتاب الجنائز (في ٢٩ باباً)، وكتاب الحشر والمعاد والآداب والسنن.

كما «ترجم هذا المسند (٦٣٨) شخصاً من رواة الإمام الكاظم عليه السلام، وهو رقم كبير جداً بالنسبة للمدة الزمنية التي عرفناها والظروف التي وقفنا عليها. وقد اشتمل الفهرس على عدد نصوص كل باب من أبواب المعرفة. وتتراوح هذه النصوص بين نصوص مأثورة بواسطة الإمام الكاظم عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي تكشف عن مدى اهتمامه بسيرة وحديث جدّه صلى الله عليه وآله وبين نصوص لا يسندها إلى أحد مما يمكن أن نعتبرها من تراثه الخاص، كما نلاحظ ذلك في الرسالة الكبيرة التي أثرت عنه حول، العقل ولعلها الرسالة الوحيدة الجامعة لما يخصّ العقل من شؤون في الكتاب والسنة، وهي وتمثّل وحدها تراثاً جامعاً وأثراً خالداً يتضمّن المنهج المعرفي القرآني والحديثي لأهل البيت عليهم السلام...»<sup>[١]</sup>.

يؤشّر هذا التعدّد في الكتب والأبواب في مختلف مجالات العقيدة والشريعة إلى سعة تراث الإمام الكاظم عليه السلام، والدور الذي لعبه عليه السلام في استمرار خطّ جامعة أبيه الصادق وأبائه عليهم السلام، في سبيل تحقيق الأهداف الإلهية والحفاظ على الإسلام المحمّديّ.

اهتمّ الكاظم بعد أبيه الصادق عليه السلام بإدارة الجامعة التي أسسها الصادق عليه السلام، فأصبح قائد الحركة العلميّة والنهضة المعرفيّة في زمانه، وقد قصده العلماء والمتكلّمون والفقهاء والرواة... ليتلمذوا بين يديه ويستلهموا من علومه. وروي أنّه «كان جماعة من خاصّة أبي الحسن عليه السلام من أهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه، ومعهم في أكمهم ألواح ابنوس لطاف وأميال فإذا نطق أبو الحسن عليه السلام بكلمة أو أفتى في نازلة أثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك»<sup>[٢]</sup>.

فكانت جامعة الإمام الصادق عليه السلام تحوي في داخلها كبار علماء العقيدة والكلام أمثال مؤمن الطاق وهشام بن الحكم وغيرهما، وقد ورث الإمام الكاظم عليه السلام ما تركه أبوه عليه السلام من تراث جامعته، واستمرّ عليه السلام في تربية أصحاب أبيه وغيرهم وتعليمهم ورعايتهم والإشراف على حركتهم العلميّة وأنشطتهم، وإعطائهم التوجيهات

[١]- المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية، م.س، ص ١٨٣.

[٢]- المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٩١، ص ٣١٩.

والتعليقات التي تقتضيها طبيعة الظروف والملابسات والأحداث، مستفيداً من نهج أبيه وإرثه الفكري والعلمي في بناء الكادر القادر على تحمّل أعباء مسؤوليّة الدعوة إلى خطّ أهل البيت والدفاع عنه في مواجهة التيارات المنحرفة والأفكار الضالّة حتى ذكر له (٣١٩) صحابياً<sup>[١]</sup>.

قال في المناقب: «أخذ عنه العلماء ما لا يحصى كثرة وذكر عنه الخطيب في تاريخ بغداد والسمعاني في الرسالة القواميّة وأبو صالح أحمد المؤدّن في الأربعين وأبو عبد الله بن بطّة في الإبانة والثعلبي في الكشف والبيان. وكان أحمد بن حنبل إذا روى عنه قال: حدّثني موسى بن جعفر، حدّثني أبي جعفر بن محمّد، حدّثني أبي محمّد بن عليّ، حدّثني أبي عليّ بن الحسين، حدّثني أبي الحسين بن عليّ، حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ، ثم قال أحمد: وهذا إسناد لو قرأ على المجنون لأفاق»<sup>[٢]</sup>.

هذا مع الإشارة، إلى أنّ ما عاشه الإمام في السجن والاعتقال من جهة، وقسوة الظروف وشدّتها في عصره من جهة ثانية، أدّى إلى أن تقلّ الرواية عنه مقارنة بأبيه الصادق (عليه السلام)، ومع ذلك روي عنه الكثير في الميادين المعرفيّة المختلفة: العقيدة، الأخلاق، الفقه والشريعة، التاريخ، التفسير...

وقد كان أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام) من عظماء علماء الإماميّة ومحدّثيهم، ومنهم ستّة من الذين أقرّت الطائفة لهم بالفقه والعلم.

قال الشيخ الكشي: «تسمية الفقهاء من أصحاب أبي إبراهيم وأبي الحسن الرضا (عليهما السلام) أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصحّ عن هؤلاء وتصديقهم وأقرّوا لهم بالفقه والعلم: وهم ستّة نفر آخر دون الستّة نفر الذين ذكرناهم في أصحاب أبي عبد الله (عليه السلام)، منهم يونس بن عبد الرحمن، وصفوان بن يحيى بياح السابري، ومحمّد بن أبي عمير، وعبد الله بن المغيرة، والحسن بن محبوب، وأحمد بن محمّد بن أبي نصر»<sup>[٣]</sup>.

[١]- المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٢، ص ٢٢٣.

[٢]- نقلاً عن: الأمين، محسن، أعيان الشيعة، م.س، ج ١، ص ١٠٠.

[٣]- الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج ٢، ص ٨٣٠.

## ٧. أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام

وسنعرض في هذا المبحث بعض أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وستقتصر منهم على من كان من خصوص أصحابه دون من سبقه من آباءه كالباقر والصادق عليهما السلام،<sup>[١]</sup> أي خصوص من ابتدأت صحبته مع الكاظم عليه السلام، وإن استمرت مع أبنائه الرضا والجواد عليهما السلام،<sup>[٢]</sup> مضافاً إلى أن له كتاباً في علم الكلام والأبحاث العقائدية.

[١]- مثلاً من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام المتمكّنين في علم الكلام وفنّ المناظرة والجدل، هشام بن الحكم، كان من كبار المتكلمين الذين هم على اتصال وثيق بالإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، فتعلّم منهما، وأخذ عنهما، مما مكّنه أن يكون مدافعاً عن خطّ جامعة أهل البيت عليهم السلام بكلّ ما توفّر لديه من قابليّات ومهارات، فكان من المجاهدين في الخطوط الأمامية في ساحة المعركة العقائدية. «ونظراً لاختصاصه في هذا الفنّ فقد زين يحيى بن خالد البرمكي مجلسه به وجعله قيماً لمجالس كلامه. وخاض هشام مع علماء الأديان والمذاهب مستنداً على صحّة مبدأه وبتلّان أفكارهم. ونظراً لخطورة استدلاله وقوّة حجّته كان الرشيد يحضر من وراء الستار، فيصغي إليها ويعجب بها، ولقد خاض في عدّة مناظرات مع زعيم المعتزلة الروحيّ عمرو بن عبيد» (أعلام الهداية، ص ١٥٦).

ومن مناظرات هشام التي حصلت في زمن الإمام الكاظم عليه السلام:

سأل يحيى بن خالد البرمكي هشام بن الحكم بحضرة الرشيد قائلاً له: أخبرني يا هشام عن الحقّ هل يكون في جهتين مختلفتين؟ فقال هشام: لا.

قال: فخيرني عن نفسين اختصما في حكم الدين وتنازعا واختلفا هل يخلوان من أن يكونا محقّين أو مبطلين أو يكون أحدهما مبطلاً والآخر محقّقاً؟

فقال هشام: لا يخلوان من ذلك، وليس يجوز أن يكونا محقّين على ما قدّمت من الجواب. فقال: له يحيى بن خالد: فخيرني عن عليّ والعبّاس لما اختصما إلى أبي بكر في الميراث أيهما كان المحقّق من المبطل؟ إذ كنت لا تقول: إنهما كانا محقّين ولا مبطلين.

فقال هشام: فنظرت إذا إنّي إن قلت: إنّ عليّاً عليه السلام كان مبطلاً كفرت وخرجت عن مذهبي، وإن قلت: إنّ العبّاس كان مبطلاً ضربت عنقي، ووردت عليّ مسألة لم أكن سئلت عنها قبل ذلك الوقت، ولا أعددت لها جواباً، فذكرت قول أبي عبد الله عليه السلام وهو يقول لي: يا هشام لا تزال مؤيِّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك، فعلمت أنّي لا أخذل، وعنّ لي الجواب في الحال.

فقلت له: لم يكن من أحدهما خطأ وكانا جميعاً محقّين، ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصة داود عليه السلام، حيث يقول الله جلّ اسمه: (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب) إلى قوله تعالى: (خصمان بغى بعضنا على بعض) فأبى الملكين كان مخطئاً؟ وأيها كان مصيباً؟ أم تقول: إنهما كانا مخطئين؟ فجوابك في ذلك جوابي بعينه.

فقال يحيى: لست أقول: إنّ الملكين أخطأ، بل أقول: إنهما أصابا، وذلك أنّهما لم يختصما في الحقيقة ولا اختلفا في الحكم، وإنّما أظهرنا ذلك لينبذها داود عليه السلام على الخطيئة، ويعرّفاه الحكم ويوقفاه عليه.

قال: فقلت له: كذلك عليّ والعبّاس لم يختلفا في الحكم ولم يختصما في الحقيقة، وإنّما أظهرنا الاختلاف والخصومة لينبذها أبو بكر على غلظه، ويوقفاه على خطيئته، ويدلّاه على ظلمه لهما في الميراث، ولم يكونا في ريب من أمرهما، وإنّما كان ذلك منهما على حدّ ما كان من الملكين. فلم يحر جواباً واستحسن ذلك الرشيد». الفصول المختارة، مصدر سابق، ص ٥٠. وحول حياة هشام ابن الحكم، انظر: نعمة، عبد الله، هشام بن الحكم رائد الحركة الكلامية في الإسلام وأستاذ القرن الثاني في الكلام والمناظرة، دار الفكر اللبناني، الطبعة الثانية، ١٤٠٥-١٩٨٥م.

أ. أحمد بن الإمام الكاظم عليه السلام<sup>[١]</sup>

العلويّ، المدنيّ، المشهور بـ «شاه چراغ» وسيّد السادات. من كبار محدّثي أهل البيت عليهم السلام وعلماهم الأجلّاء، ومن أصحاب الكرامات الباهرة. كان كريماً ورعاً، حتّى إنّه أعتق ألف عبدٍ وأمةٍ في سبيل الله، وكتب ألف مصحف بيده. وكان جليلاً شجاعاً، وأوثق أولاد الإمام الكاظم عليه السلام بعد أخيه عليّ الرضا سلام الله عليه. وكان الكاظم عليه السلام يحبه ويقدمه، وقد وهب له ضيعته المعروفة بـ «اليسيرة».

خرج مع جماعة من بني هاشم من المدينة المنورة قاصدين «طوس» للقاء بالإمام الرضا عليه السلام بخراسان، فلمّا وصل إلى شيراز علم بشهادة أخيه الرضا عليه السلام، فأراد مواصلة السفر إلى طوس، لكنّ حاكم شيراز من قبل المأمون (قتلغ شاه) منعه بأمر المأمون من القدوم على طوس، ممّا أدّى إلى وقوع معركة بين السيّد أحمد ومُرافقيه من جهة وأصحاب حاكم شيراز من جهة أخرى، انتهت بشهادته وشهادة من كان معه، وذلك بعد سنة ٢٠٣ هـ.

وقد دُفن السيّد أحمد بشيراز، وقبره مزار يستقبل محبّي أهل البيت عليهم السلام وطلاب الحوائج والمتبرّكين بحفيد رسول الله صلّى الله عليه وآله.

ب. إسماعيل بن الإمام الكاظم عليه السلام

القرشيّ الهاشميّ العلويّ، أحد أبناء البيت النبويّ الشريف. كان عالماً جليلاً، ومحدّثاً فاضلاً، ومؤلفاً بارعاً. صحب أباه الكاظم عليه السلام، ثمّ صحب أخاه الرضا عليه السلام وروى عنه أيضاً، وعن إسماعيل هذا روى ابنه موسى بن إسماعيل.

ألف مجموعة كبيرة من الكتب، منها: الطهارة، والصلاة، والحجّ، والصوم، والزكاة، والطلاق، والجنائز، والنكاح، والحدود، والرؤيا، والدعاء، والآداب والسنن.. وغيرها.

[١]- انظر حول أبناء الإمام الكاظم عليه السلام: الخفاف، إسماعيل الحاج عبد الرحيم، الإمام الكاظم وذراريه في التراث الشعريّ والتاريخيّ والفقهيّ، راجعه وحقّق نصوصه: المؤرّخ الدكتور حميد مجيدهو، ط ١، الكاظميّة، قسم الثقافة والإعلام في العتبة الكاظميّة المقدّسة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

ويطلق على جميعها «الأشعثيات»، وقيل: «الجعفريات»، أو «العلويات». سكن مصر وكان له وُلد فيها، وتولّى الأوقاف من قبل أبيه الكاظم عليه السلام. تُوفّي بعد سنة ٢١٠ هـ.

### ت. الحسين بن الإمام الكاظم عليه السلام

الهاشمي العلوي، من سلالة الشرف والمجد والعلی، وكان فاضلاً محدّثاً. روى عن أبيه الكاظم والإمام الجواد عليهما السلام، ويروي عنه: إبراهيم بن إسحاق الأحمر، وإسحاق بن محمد البصريّ كان على قيد الحياة قبل سنة ٢١٩ هجرية.

### ث. القاسم بن موسى الكاظم عليه السلام

المتّصل نسبه بأمر المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.. كان عالماً جليل القدر عظيم المنزلة، وقد ولّاه أبوه الإمام الكاظم عليه السلام على صدقاته، كما كان يحبّه ويرأف به. عاش غريباً، متنكراً عن السلطة العباسية الظالمة، حتّى تُوفّي بالقرب من مدينة الحلة بالعراق، ودُفن هناك فعُرفت المنطقة بـ «القاسم». وقبره يُزار، وقد ظهرت عنده كرامات كثيرة وعجيبة.

### ج. محمد بن موسى الكاظم عليه السلام

أحد أحفاد رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأحد أبناء الإمام الكاظم عليه السلام الفضلاء الصلحاء، ومن محدّثي وعلماء بني هاشم الممدوحين، عُرف بكثرة العبادة وشدة الورع وطول التهجد. هرب من ظلم حكّام الجور العباسيين إلى شيراز واستوطنها، ولم يزل بها حتّى تُوفّي بها ودُفن فيها قبل سنة ١٨٣ هجرية.

## ح. أحمد بن محمد البنظي

الكوفي، أبو علي. محدث إمامي ثقة جليل القدر، فقيه فاضل، ومن جملة مَنْ أجمع العلماء على تصحيح ما يصح عنه وأقرّوا له بالفقه.

جاء اسمه في متون جملة من الروايات بلغت ٧٨٨ موردًا، رويًا عنه أكثر من ٤٦ من الرواة، أمثال: أحمد بن محمد البرقي، والحسن بن موسى الخشاب، ويحيى بن سعيد الأهوازي، وغيرهم.

والبنظي من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، يروي عنه وعن الإمامين: الرضا والجواد عليهما السلام. وله من التأليف: كتاب الجامع، والنوادر، وكتاب آخر باسم النوادر أيضًا.

صار واقفيًا فترة، ثم لم يلبث أن رجع إلى الحق وقال بإمامة الرضا عليه السلام ومن بعده من الأئمة عليهم السلام. توفي سنة ٢٢١ هـ.

## خ. الحسن بن علي بن فضال

أبو محمد الكوفي المعروف بـ «ابن فضال».. من ثقات الإمامية ومحدثيهم وعلمائهم، وكان فقيهاً جليل القدر رفيع المنزلة، زاهداً، عارفاً بالتفسير، وأحد أصحاب الإجماع.

ومن مؤلفات ابن فضال: الزيارات، والبشارات، والنوادر، والرّد على الغالية، والشواهد، والمتعة، والناسخ والمنسوخ، والملاحم، والصلاة، والزهد، والديات، والتفسير، والطب.. وغيرها.

جاء اسمه في ٢٩٧ موردًا في أسناد الروايات، رويًا عن الإمام الرضا عليه السلام ومختصًا به، بعد أن روى عن أبيه الكاظم عليه السلام وصحبه، فيما روى عن ابن فضال أكثر من ٥٥ رويًا.. منهم: علي بن أسباط، وعلي بن مهزيار، والحسن بن علي الوشاء.. وغيرهم.

كان أوّل أمر ابن فضال فطحيًا يقول بإمامة عبدالله بن جعفر الصادق عليه السلام المعروف

ب «الأفطح»، ثم استبصر عائداً إلى الحق ليقول بإمامة موسى الكاظم عليه السلام، حتى تُوفي سنة ٢١١ أو ٢٢٤ هجرية.

#### د. سعيد بن جناح

الكوفي، البغدادي.. من ثقات محدثي الشيعة الإمامية، وكان عالماً فقيهاً مؤلفاً، من كتبه: قبض روح المؤمن والكافر، وصفة الجنة والنار.

جاء اسم سعيد في ١٩ مورداً في أسناد الروايات، رويًا عن الأئمة: الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام، وعنه روى: عبدالله بن محمد بن خالد، وسندي بن الربيع، وأحمد بن محمد بن عيسى.. وغيرهم. كان سعيد بن جناح حياً قبل سنة ٢٢٠ هجرية.

#### ذ. صفوان بن يحيى البجلي

الكوفي، يباع السابري.. من فقهاء ومحدثي الإمامية الثقات، وكان جليل القدر ممدوحاً، ومن أوثق أهل عصره عند أصحاب الحديث وأعبدهم وأزهدهم، وأحد أصحاب الإجماع المشار إليهم بالبنان، وله جملة من التأليف تروى على ٣٠ كتاباً، منها: الوضوء، والحج، والشراء والبيع، والزكاة، والنكاح، والوصايا، والطلاق.. وغيرها.

جاء اسم صفوان في أسناد الروايات في ١١٨١ مورداً يروي فيها عن الأئمة: الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام، وكان وكيلًا للرضا والجواد سلام الله عليهما، وقد روى النص على إمامة الجواد عليه السلام من أبيه الرضا عليه السلام.

وعن صفوان هذا روى أكثر من ٦٠ رويًا، منهم: إسماعيل بن مهران، والحسن بن عليّ الوشاء، والفضل بن شاذان النيسابوري.. وغيرهم.

تُوفي صفوان بن يحيى في المدينة المنورة سنة ٢١٠ هجرية.

## ر. محمد بن أبي عمير

الأزدبي، البغدادي، أبو أحمد.. من ثقات محدثي الإمامية، ومن وجهاء الشيعة في زمانه، وكان عالماً جليل القدر، فقيهاً رفيع المنزلة، ناسكاً ورعاً، قاضياً مؤلفاً. من مؤلفاته الكثيرة التي تجاوزت التسعين: المغازي، والكفر والإيمان، وفضائل الحج، والبداء، والملاحم، والاستطاعة، والمعارف، والرضاع، والطلاق، والتوحيد وغيرها.

أدرك الإمام الكاظم عليه السلام وتشرف بلقائه وعاصر الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام وروى عنهما، حتى جاء اسمه في ٥٣٦٠ مورداً من موارد أسناد الروايات، وعن ابن عمير يروى أكثر من ٧٠ من الرواة، منهم: إبراهيم بن هاشم، ويونس بن عبد الرحمن، والحسن بن علي بن فضال.. وغيرهم.

عذبه هارون العباسي وحبسه، وسُجن في أيام المأمون ثم أطلق سراحه ووُي القضاء ببعض الأمصار. وتوفي سنة ٢١٧ هجرية.

ثالثاً: النصوص الكلامية للإمام الكاظم عليه السلام - دراسة وتحليل

إذ اردنا نصوص النبي وأئمة أهل البيت عليهم السلام نجده يفيض بالمعارف الإلهية والعقائد التوحيدية والأبحاث التي تدور حول أصول الدين والصفات الإلهية والقضاء والقدر والجبر والاختيار والنبوة والإمامة والمعاد... فجدور التفكير الكلامي عند الإمامية ومبانيه وقضاياه موجودة في كلام أهل بيت النبوة والوحي والرسالة، وتميزت الشيعة الإمامية عن غيرها من الفرق الإسلامية في تفكيرها الكلامي بسبب اعتمادها على المباني والقضايا التي نطق بها أهل البيت عليهم السلام في نصوصهم وكلماتهم، فليس الاعتقاد بالتوحيد الخالص عن شوائب الجسمانية والمادة والآلات والأدوات، أو الاعتقاد بعصمة الأنبياء أو الاعتقاد بأنه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين إلا باستلزام ذلك من نصوص أئمة أهل البيت، وليس الاعتقاد بالتقية والبداء والبرزخ والمهدوية والرجعة... من عنديات العقل الشيعي، بل لأخذه ذلك من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فأهل البيت عليهم السلام لهم طريقهم الخاصّ وأسلوبهم الفريد في استدلالهم على القضايا العقائديّة، ولهم معجم اصطلاحاتهم ومفرداتهم ولغتهم الخاصّة في التعبير عن المسائل الكلاميّة، لم يتعلّموا تلك الطرائق واللغة من بشر مثلهم، وإنّما بالعلم الوراثيّ انتهاء إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولذلك تراهم عندما ترصد نصوصهم يصدرون عن منبع واحد، فيستخدمون أساليب الاستدلال والمصطلحات ذاتها في بيان الحقائق العقائديّة.

وستتوقف في هذا المبحث عند بعض النصوص التي رُويت عن الإمام الكاظم عليه السلام في الحقل الكلاميّ، ونقوم بدراسة بعضها وتحليله واستخراج الخلاصات والنتائج منه بشكل شديد الاختصار، فالتحليل سيّطال بعض نصوص الكاظم عليه السلام، كمنادج وشواهد على طبيعة التفكير الكلاميّ عنده عليه السلام، أمّا دراسة النصوص الكلاميّة للكاظم بشكل وافٍ، فيحتاج إلى كتب وموسوعات ولا يمكن اختزاله في بحث مختصر.

### ١. موقف الإمام الكاظم عليه السلام من العقل

ثمّة نصّ مسهب عن الإمام الكاظم عليه السلام يبيّن فيه موقفه من العقل، يتضمّن العديد من النقاط التي تحتاج إلى دراسة مستقلّة، نقتصر على نقل بعض فقراته:

عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام: «... يَا هِشَامُ، إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَكْمَلَ لِلنَّاسِ الْحُجَجَ بِالْعُقُولِ، وَنَصَرَ النَّبِيِّينَ بِالْبَيَانِ، وَكَذَهُمَ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ بِالْأَدِلَّةِ، فَقَالَ: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤).

يَا هِشَامُ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِأَنَّ هُمْ مُدَبَّرًا، فَقَالَ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل: ١٢)...

يَا هِشَامُ، ثُمَّ وَعَظَ أَهْلَ الْعَقْلِ، وَرَغَّبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهَلْوٌ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: ٣٢).

يَا هِشَامُ، ثُمَّ خَوَّفَ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ عِقَابَهُ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخِرِينَ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الصفات: ١٣٧)...

يَا هِشَامُ، إِنَّ الْعَقْلَ مَعَ الْعِلْمِ، فَقَالَ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣).

يَا هِشَامُ، ثُمَّ ذَمَّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ، فَقَالَ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠)...

يَا هِشَامُ، إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيلًا، وَدَلِيلُ الْعَقْلِ التَّفَكُّرُ، وَدَلِيلُ التَّفَكُّرِ الصَّمْتُ؛ وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيئَةٌ، وَمَطِيئَةُ الْعَقْلِ التَّوَاضُعُ؛ وَكَفَى بِكَ جَهْلًا أَنْ تَرَكَبَ مَا مُهِيتَ عَنْهُ.

يَا هِشَامُ، مَا بَعَثَ اللَّهُ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ إِلَى عِبَادِهِ إِلَّا لِيَعْقِلُوا عَنِ اللَّهِ، فَأَحْسَنُهُمْ اسْتِجَابَةً أَحْسَنُهُمْ مَعْرِفَةً، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ عَقْلًا، وَأَكْمَلُهُمْ عَقْلًا أَرْفَعُهُمْ دَرَجَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

يَا هِشَامُ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ: حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ، وَحُجَّةٌ بَاطِنَةٌ، فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَلِيَّةُ، وَأَمَّا البَاطِنَةُ فَالْعُقُولُ.

يَا هِشَامُ، إِنَّ الْعَاقِلَ، الَّذِي لَا يَشْغُلُ الْحَلَالَ شُكْرَهُ، وَلَا يَغْلِبُ الْحَرَامَ صَبْرَهُ.

يَا هِشَامُ، مَنْ سَلَطَ ثَلَاثًا عَلَى ثَلَاثٍ، فَكَأَنَّمَا أَعَانَ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ: مَنْ أَظْلَمَ نُورَ تَفَكُّرِهِ بِطُولِ أَمَلِهِ، وَمَحَا طَرَائِفَ حِكْمَتِهِ بِفُضُولِ كَلَامِهِ، وَأَطْفَأَ نُورَ عِبْرَتِهِ بِشَهَوَاتِ نَفْسِهِ، فَكَأَنَّمَا أَعَانَ هَوَاهُ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ، وَمَنْ هَدَمَ عَقْلَهُ، أَفْسَدَ عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ.

يَا هِشَامُ، كَيْفَ يَرْكُوعًا عِنْدَ اللَّهِ عَمَلُكَ، وَأَنْتَ قَدْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ عَنْ أَمْرِ رَبِّكَ، وَأَطَعْتَ

هُوَكَ عَلَى غَلْبَةِ عَقْلِكَ؟! ...

يَا هِشَامُ، كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ...<sup>[١]</sup>.

دراسة وتحليل النص:

يمكن استخراج مجموعة من النتائج من النص المذكور، نذكر بعضها بشكل مختصر:

أ. يؤكد الإمام الكاظم عليه السلام على أن العقل هو حجة الله تعالى على عبادة، ومعنى كون العقل حجة أنه مصدر يصلح الاعتماد عليه في بناء المعرفة الدينية، لأن الحجة هي ما يكون بها الغلبة عند الخصومة، فمعنى كون العقل حجة أي أن الله تعالى يحتج على العباد يوم القيامة بما منحهم من هذه القدرة على التفكير والمعرفة والكشف عن الحقيقة والفهم والتحليل...

ب. يؤكد الإمام الكاظم عليه السلام على أن توظيف العقل يوصل إلى الله تعالى من خلال الكشف الإني، أي أن العلامات والإشارات والآيات المنتشرة في الأنفس والآفاق هي دليل على وجود الخالق والصانع الحكيم، فكأن الله تعالى يخاطب العقل بواسطة الفعل ليستكشف العقل صفات الله تعالى في آياته، «قَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِأَنَّ هُمْ مُدَبَّرًا».

ت. أن بعثة الأنبياء والرسل تهدف إلى تحريك العقل وتنشيطه ليستجيب لدعوة الأنبياء، فلا يكتفي الإنسان بالعقل عن الأنبياء، كما لا يكتفي بالوحي عن العقل، فالعقل والوحي متآزران متعاضان في الوصول إلى الهدف الوجودي الذي رسمه الله تعالى للإنسان. «مَا بَعَثَ اللَّهُ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ إِلَّا لِيَعْقِلُوا عَنِ اللَّهِ، فَأَحْسَنُهُمْ اسْتِجَابَةً أَحْسَنُهُمْ مَعْرِفَةً، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ عَقْلًا...».

«إِنَّ اللَّهَ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ: حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ، وَحُجَّةٌ بَاطِنَةٌ، فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأُئِمَّةُ، وَأَمَّا البَاطِنَةُ فَالعُقُولُ».

[١]- الكليني، الكافي، م، ج ١، ص ١٣ وما بعد.

ث. يلاحظ في هذا النص - وغيره من النصوص كما تقدّم وسيأتي - قوّة حضور المنطق القرآني والاستشهاد بالآيات على القضايا العقائديّة المطلوب إثباتها.

ج. من النقاط المهمّة في مدرسة أهل البيت في التربية العقائديّة هي الربط بين العقل والأخلاق، أي أنّ حقيقة العقل ليست متقوّمه بالمعرفة والعلم فقط، بل بتحويل العلم إلى ملكات أخلاقيّة وسلوك عمليّ، فمن لا يدفعه عقله إلى الالتزام الأخلاقيّ فليس بعاقل.

«إِنَّ الْعَاقِلَ، الَّذِي لَا يَشْغُلُ الْحَلَالَ شُكْرَهُ، وَلَا يَغْلِبُ الْحَرَامُ صَبْرَهُ»<sup>[١]</sup>.

«مَنْ أَظْلَمَ نُورَ تَفَكُّرِهِ بِطُولِ أَمَلِهِ، وَحَا طَرَائِفَ حِكْمَتِهِ بِفُضُولِ كَلَامِهِ، وَأَطْفَأَ نُورَ عِبْرَتِهِ بِشَهَوَاتِ نَفْسِهِ، فَكَأَنَّهَا أَعَانَ هَوَاهُ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ، وَمَنْ هَدَمَ عَقْلَهُ، أَفْسَدَ عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ»<sup>[٢]</sup>.

## ٢. تقسيم العلم ومصادر المعرفة

أ. عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «وجدت علم الناس في أربع، أوّلها: أن تعرف ربّك، والثانية: أن تعرف ما صنع بك، والثالثة: أن تعرف ما أراد منك، والرابعة: أن تعرف ما يخرجك من دينك»<sup>[٣]</sup>.

ب. عن محمّد بن أبي عمير، قال: دخلت على سيّدي موسى بن جعفر عليه السلام، فقلت له: يا ابن رسول الله، علّمني التوحيد فقال: «يا أبا أحمد، لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك...»<sup>[٤]</sup>.

ت. عن سماعه، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: قلت له: «أكل شيء في كتاب الله

[١] الكليني، الكافي، م، س، ج، ١، ص ١٦.

[٢] م، ن، ج، ١، ص ١٧.

[٣] - الأربلي، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، م، س، ج، ٣، ص ٤٥.

[٤] - الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، ص ٧٦.

وسنة نبيه صلى الله عليه وآله؟ أو تقولون فيه؟ قال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله» [١].

ث. عن يونس بن عبد الرحمن، قال: قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: «بما أوحى الله؟ فقال: يا يونس لا تكونن مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله ضلّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر» [٢].

ج. عن سماعة، عن العبد الصالح قال: سألته فقلت: «إن أناساً من أصحابنا قد لقوا أباك وجدك وسمعوا منها الحديث، فربما كان شيء يتلى به بعض أصحابنا وليس في ذلك عندهم شيء يفتيه وعندهم ما يشبهه، يسعهم أن يأخذوا بالقياس؟ فقال: لا، إنما هلك من كان قبلكم بالقياس، فقلت له: لم لا يقبل ذلك؟ فقال: لأنه ليس من شيء إلا وجاء في الكتاب والسنة» [٣].

### دراسة النصوص وتحليلها:

نستطيع أن نستخرج من هذه النصوص أموراً نذكر بعضها:

- تقسيم العلوم على أساس محورية الله تعالى إلى أربعة أقسام: معرفة الله، معرفة الإنسان، معرفة الطريق والنبوة والرسالة، معرفة الشبهات والإشكالات الدينية، كما يفيد الحديث الأول (أ).

- محورية الوحي (القرآن والنبى وأهل البيت عليهم السلام) في بناء المعارف التوحيدية والعقائد الدينية، كما تفيد الأحاديث: ب-ت-ث..

- رفض منطق القياس والتفسير بالرأي والاستحسان في بناء العقيدة التوحيدية، كما يفيد الحديث الخامس (ج).

[١]- الكليني، الكافي، م، ج ١، ص ٦٢.

[٢]- الكليني، الكافي، م، ج ١، ص ٥٦.

[٣]- المفيد، محمد بن النعمان، الاختصاص، ص ٢٨١.

٣. التوحيد في كلام الإمام الكاظم عليه السلام

أ. عن محمد بن أبي عمير، قال: دخلت على سيدي موسى بن جعفر عليه السلام، فقلت له: يا ابن رسول الله علمني التوحيد فقال: «يا أبا أحمد، لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك. واعلم أن الله تعالى واحد، أحد، صمد، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ولا شريكًا، وأنه الحي الذي لا يموت، والقادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا يغلب، والحليم الذي لا يعجل، والدائم الذي لا يبيد، والباقي الذي لا يفنى، والثابت الذي لا يزول، والغني الذي لا يفقر، والعزيز الذي لا يذل. والعالم الذي لا يجهل، والعدل الذي لا يجور، والجواد الذي لا يبخل، وأنه لا تقدره العقول، ولا تقع عليه الأوهام، ولا تحيط به الأقطار، ولا يحويه مكان، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير. ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ (المجادلة:٧) وهو الأول الذي لا شيء قبله، والآخر الذي لا شيء بعده، وهو القديم وما سواه مخلوق محدث، تعالى عن صفات المخلوقين علوًا كبيرًا»<sup>[١]</sup>.

ب. عن فتح بن عبد الله مولى بني هاشم قال: «كُتِبْتُ إِلَى أَبِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ التَّوْحِيدِ؟ فَكُتِبَ إِلَيَّ بِخَطِّهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِيهِمْ عِبَادَهُ حَمْدَهُ - وَذَكَرَ مِثْلَ مَا رَوَاهُ سَهْلُ بْنُ زِيَادٍ إِلَى قَوْلِهِ: وَقَمَعَ وَجُودُهُ جَوَائِلَ الْأَوْهَامِ<sup>[٢]</sup> - ثُمَّ زَادَ فِيهِ: أَوَّلَ الدِّيَانَةِ بِهِ مَعْرِفَتُهُ

[١]- الصدوق، التوحيد، م، س، ص ٧٦.

[٢]- علي بن محمد عن سهل بن زياد عن شباب الصيرفي وأسمه محمد بن الوليد عن علي بن سيف بن عميرة قال حدثني إسماعيل بن فضالة قال: دخلت أنا وعيسى شلقان على أبي عبد الله عليه السلام فابتدأنا فقال عجبًا لأقوام يدعون على أمير المؤمنين عليه السلام ما لم يتكلم به قط فخطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بالكوفة فقال الحمد لله الملهم عباده حمده وقاطرهم على معرفة ربوبيته الدال على وجوده وخلقهم وخذوث خلقه على أزله وابتناهم على أن لا شبه له المستشهد بأياته على قدرته الممتنعة من الصفات ذاته ومن الأبصار رؤيته ومن الأوهام الإحاطة به لا أمد لكونه ولا غاية لبقائه لا تشمله المشاعر ولا تحجبها الحجب الحجاب بينه وبين خلقه خلقه إياهم لامتناعه مما يمكن في ذواتهم ولإمكان مما يستع منه ولافتراق الصانع من المصنوع والحاد من المحدث والرب من المرئوب الواحد بلا تأويل عدد والخالق لا بمعنى حركة والبصير لا بأداة السميع لا بتفريق الله والشاهد لا بمماسة والباطن لا باجتان والظاهر البائن لا بتراخي مسافة أزله نهيًا لمجاول الأفكار ودوامه ردة لطامحات العقول قد حسرت كنهه نوافذ الأبصار وقمع وجوده جوائل الأوهام...»

وَكَمَالَ مَعْرِفَتِهِ تَوْحِيدُهُ وَكَمَالَ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ بِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمُوصُوفِ وَشَهَادَةِ الْمُوصُوفِ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ وَشَهَادَتِهِمَا جَمِيعًا بِالتَّشْبِيهِ الْمُمْتَنِعِ مِنْهُ الْأَزْلُ فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ فَقَدْ حَدَّهُ وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزْلَهُ وَمَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ وَمَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ وَمَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ جَهَلَهُ وَمَنْ قَالَ أَيْنَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ وَمَنْ قَالَ مَا هُوَ فَقَدْ نَعَتَهُ وَمَنْ قَالَ إِلَامَ فَقَدْ غَايَاهُ عَالِمًا إِذْ لَا مَعْلُومَ وَخَالِقًا إِذْ لَا مَخْلُوقَ وَرَبًّا إِذْ لَا مَرْبُوبَ وَكَذَلِكَ يُوصَفُ رَبَّنَا وَفَوْقَ مَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ»<sup>[١]</sup>.

ت. عن يعقوب بن جعفر الجعفري، عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمان ولا مكان وهو الآن كما كان، لا يخلو منه مكان ولا يشغل به مكان، ولا يجلّ في مكان، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا، ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، لا إله إلا هو الكبير المتعال»<sup>[٢]</sup>.

ث. عن العبد الصالح موسى بن جعفر عليه السلام قال: «إن الله - لا إله إلا هو - كان حيًّا بلا كيف ولا أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا ابتدع لمكانه مكانًا ولا قوي بعد ما كوّن الأشياء، ولا يشبهه شيء يكوّن، ولا كان خلواً من القدرة على الملك قبل إنشائه، ولا يكون خلواً من القدرة بعد ذهابه، كان عزّ وجلّ إلهًا حيًّا بلا حياة حادثه، ملكًا قبل أن ينشئ شيئًا ومالكًا بعد إنشائه، وليس لله حدّ، ولا يعرف بشيء يشبهه، ولا يهرم»<sup>[٣]</sup>.

ج. عن يونس ابن عبد الرحمن، قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: لأبي علة عرج الله بنبيّه عليه السلام إلى السماء، ومنها إلى سدرة المنتهى، ومنها إلى حجب النور، وخاطبه

[١]- الكليني، الكافي، م، ج ١، ص ١٣٩. يراجع حول شرح هذا النص بالتفصيل، كونه قد روي ما يقاربه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: الطباطبائي، محمد حسين، عليّ والفلسفة الإلهية، ص ٤٣-٤٩.

[٢]- الصدوق، التوحيد، م، ص ١٧٩.

[٣]- م، ن، ص ١٤١.

ونجاه هناك والله لا يوصف بمكان. فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ولا يجري عليه زمان، ولكنه عز وجل أراد أن يشرف به ملائكته وسكان سماواته، ويكرمهم بمشاهدته، ويريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه، وليس ذلك على ما يقول المشبهون، سبحانه الله وتعالى عما يشركون»<sup>[١]</sup>.

ح. عن يعقوب بن جعفر، قال: سمعت أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام وهو يكلم راهباً من النصارى، فقال له في بعض ما ناظره: إن الله تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يحد يد أو رجل أو حركة أو سكون، أو يوصف بطول أو قصر، أو تبلغه الأوهام، أو تحيط به صفة العقول أنزل مواعظه ووعده ووعيده، أمر بلا شفة ولا لسان، ولكن كما شاء أن يقول له كن فكان خبراً كما أراد في اللوح»<sup>[٢]</sup>.

خ. عن محمد بن حكيم قال: كتب أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام إلى أبي: «أن الله أعلى وأجل وأعظم من أن يبلغ كنه صفته. فصفوه بما وصف به نفسه، وكفوا عما سوى ذلك»<sup>[٣]</sup>.

د. وعنه عليه السلام: «إن الله تعالى لا يشبهه شيء، أي فحش أو خنى أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة أو بخلقة أو بتحديد وأعضاء، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»<sup>[٤]</sup>.

ذ. عن يعقوب بن جعفر الجعفري، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: «ذكر عنده قوم يزعمون أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا، فقال: إن الله لا ينزل ولا يحتاج إلى أن ينزل، إننا منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتاج إلى شيء بل يحتاج إليه، وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

أمّا قول الواصفين: إنّه ينزل تبارك وتعالى فإنّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو

[١]- الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، ج ١، ص ١٣٢.

[٢]- الصدوق، التوحيد، م.س، ص ٧٥.

[٣]- الكليني، الكافي، م.س، ج ١، ص ١٠٢.

[٤]- م.ن، ج ١، ص ١٠٥.

زيادة، وكلّ متحرّك محتاج إلى من يحركه أو يتحرّك به، فمن ظنّ بالله الظنون هلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدّ تحدّونه بنقص أو زيادة، أو تحريك أو تحرّك، أو زوال أو استنزال، أو نهوض أو قعود، فإن الله جلّ وعزّ عن صفة الواصفين، ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين؛ وتوكّل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلّبك في الساجدين»<sup>[١]</sup>.

### تحليل النصوص ودراستها:

هذه النصوص عن الإمام الكاظم تؤكّد العقيدة التوحيدية كما قدّمها المنطق القرآنيّ وأئمة أهل البيت عليهم السلام خصوصاً نصوص أمير المؤمنين عليه السلام، حيث ركّز على مجموعة قضايا كلامية نعرض بعضها:

- التأكيد على التوحيد في ضوء المنطق القرآنيّ وعلى وصف الله تعالى بها وصف به نفسه وعدم تجاوز ذلك.

- إثبات صفات الكمال كالحيّة والقدرة والعلم والعدل والجود والغنى والقدم...

- نفي الصفات السلبية كالموت والعجز والجهل والجور والبخل والفقر والحدوث...

- الله سبحانه وتعالى فوق أن تدركه العقول والحواس والأوهام، وتبلغ كنه صفاته فضلاً عن ذاته عزّ وجلّ، وبالتالي فإنّ المعرفة الكنهية بالله تعالى ممتنعة، فلا يعلم ما هو إلّا هو، أمّا المعرفة الممكنة فهي معرفة الله بالوجه بواسطة آثاره الدالة عليه وآياته المشيرة إلى صفاته.

- تنزيه الله تعالى عن الجسمانية والمادّة وصفاتها كالأعضاء والمكانيّة والحدوث وإمكانيّة الإدراك بالبصر... إلخ، ومواجهة عقائد المشبهة والمجسّمة والحشويّة...

[١]- الكلينيّ، الكافي، م، ج ١، ص ١٢٥.

#### ٤ . العلم الإلهي في كلام الإمام الكاظم عليه السلام

عن أيوب بن نوح «أنه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عز وجل أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكونها أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها، فعلم ما خلق عندما خلق وما كوّن عندما كوّن؟

فوقع بخطه: لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء»<sup>[١]</sup>.

#### دراسة النص وتحليله

قد حارت عقول الفلاسفة وعلماء الكلام في تفسير العلم الإلهي، خصوصاً علم الله تعالى بالأشياء بعد الإيجاد، على نظريات كثيرة ذكرت في الكتب المطوّلة، وهذا النص عن الإمام الكاظم يحدّد موقف مدرسة أهل البيت عليهم السلام من العلم الإلهي بعد الإيجاد، بأن علم الله تعالى يتميّز بخصائص عدّة:

- أنه علم أزليّ قديم وليس حادثاً نشأ مع خلق الخلق وإيجاد الكائنات وتكوينها.
- أنه علم ثابت لا يتغيّر ولا يتحوّل ولا يتبدّل عمّا كان عليه قبل الإيجاد، فعلمه بعد الإيجاد هو عينه علمه بالأشياء قبل الإيجاد.
- أن علم الله تعالى حضوريّ وليس حصوليّاً؛ لأنّ الثبات صفة العلم الحضوريّ بالأشياء.
- أن علم الله تعالى لا يحيط بالكلّيات فقط، بل يشمل الجزئيات، لشمول كلمة الأشياء واستغراقها للكلّيات والجزئيات.

[١]- الصدوق، التوحيد، م.س، ص ١٤٥.

## ٥. القضاء والقدر في كلام الإمام الكاظم عليه السلام

عن عليّ بن إبراهيم الهاشمي قال: «سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: لا يكون شيء إلا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى.

قلت: ما معنى شاء؟

قال: ابتداء الفعل.

قلت: ما معنى قدّر؟

قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه.

قلت: ما معنى قضى؟

قال: إذا قضى أمضاء، فذلك الذي لا مردّ له»<sup>[١]</sup>.

عن محمد بن إسحاق قال: «قال أبو الحسن عليه السلام ليونس مولى عليّ بن يقطين: يا يونس لا تتكلّم بالقدر.

قال: إنّي لا أتكلّم بالقدر؛ ولكنّي أقول: لا يكون إلا ما أراد الله وشاء وقضى وقدّر.

فقال عليه السلام: ليس هكذا أقول؛ ولكنّي أقول: لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدّر

وقضى. ثمّ قال: أتدري ما المشيئة؟

فقال: لا.

فقال: همّه بالشيء، أو تدري ما أراد؟

قال: لا.

[١]- الكليني، الكافي، م، ج ١، ص ١٥٠.

قال: إتمامه على المشيئة، فقال: أو تدري ما قدر؟

قال: لا.

قال: هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء، ثم قال: إن الله إذا شاء شيئاً أرادته، وإذا أرادته قدره، وإذا قدره قضاه، وإذا قضاه أمضاه. يا يونس، إن القدرية لم يقولوا بقول الله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (التكوير: ٢٩)، ولا قالوا بقول أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (الأعراف: ٤٣)، ولا قالوا بقول أهل النار: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (المؤمنون: ١٠٦)، ولا قالوا بقول إبليس: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ (الحجر: ٣٩)، ولا قالوا بقول نوح: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (هود: ٣٤).

ثم قال: قال الله: «يا بن آدم، بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء، وبقوتي أدت إلي فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، وجعلتك سميعاً بصيراً قوياً؛ فما أصابك من حسنة فمني، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذلك لأني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون». ثم قال: قد نظمت لك كل شيء تريده»<sup>[١]</sup>.

## ٦. الإرادة الإلهية والإنسانية في كلام الإمام الكاظم عليه السلام

أ. عن صفوان بن يحيى قال: «قلت لأبي الحسن عليه السلام، أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق؟

قال: فقال: الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل، وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنه لا يروى ولا يهّم ولا يتفكر، وهذه الصفات منفية عنه، وهي صفات الخلق، فإرادة الله، الفعل؛ لا غير ذلك يقول له: كن فيكون بلا لفظ

[١]- الصدوق، التوحيد، م.س، ص ٣٣٨.

ولا نطق بلسان ولا همّة ولا تفكّر ولا كيف لذلك، كما أنّه لا كيف له»<sup>[١]</sup>.

ب. عن صفوان بن يحيى عن أبي الحسن عليه السلام قال: «قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم بمشيّتي كنت أنت الذي تشأ وتقول، وبقوّتي أدّيت إليّ فريضتي، وبنعمتي قويت على معصيتي، ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (النساء: ٧٩)، وذلك أنّي أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك منّي، وذلك أنّي لا أسأل عمّا أفعل وهم يسألون»<sup>[٢]</sup>.

وقد تقدّمت سابقاً رواية سؤال أبي حنيفة للإمام الكاظم عليه السلام: ممّن المعصية؟ وفيها تحديد قاعدة عامّة في الإرادة الإنسانيّة وموقف الإمام من الاختيار البشريّ.

#### ٧. حول النبوة والإمامة في كلام الإمام الكاظم عليه السلام

عيسى الضيرير: «... سألت موسى (يعني الكاظم عليه السلام) وقلت: إنّ الناس قد أكثروا في أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله أمر أبا بكر أن يصليّ بالناس، ثمّ عمر.

فأطرق عني طويلاً، ثمّ قال: ليس كما ذكروا، ولكنك يا عيسى كثير البحث عن الأمور، ولا ترضى عنها إلّا بكشفها.

فقلت: بأبي أنت وأمّي إنّما أسأل عما أنتفع به في ديني وأتفقّه مخافة أن أضلّ، وأنا لا أدري، ولكن متى أجد مثلك يكشفها لي.

فقال عليه السلام: إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله لما ثقل في مرضه دعا عليّاً فوضع رأسه في حجره، وأغمي عليه وحضرت الصلاة فأوذّن بها، فخرجت عائشة، فقالت: يا عمر اخرج فصلّ بالناس فقال: أبوك أولى بها، فقالت: صدقت، ولكنه رجل لئين، وأكره أن يواثبه القوم فصلّ أنت.

فقال لها عمر: بل يصليّ هو وأنا أكفيه إن وثب واثب أو تحرك متحرك، مع أنّ محمداً صلّى الله عليه وآله مغمى عليه لا أراه يفيق منها، والرجل مشغول به لا يقدر أن يفارقه، يريد

[١]- الكليني، الكافي، م.س، ج١، ص١٠٩.

[٢]- م.ن، ج١، ص١٥٢.

عليّاً عليه السلام فبادره بالصلاة قبل أن يفيق، فإنه إن أفاق خفت أن يأمر عليّاً بالصلاة، فقد سمعت مناجاته منذ الليلة، وفي آخر كلامه: الصلاة الصلاة قال: فخرج أبو بكر ليصليّ بالناس فأنكر القوم ذلك.

ثمّ ظنّوا أنّه بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يكبر حتى أفاق صلى الله عليه وآله وقال: أدعو إليّ العباس، فدعي فحمله هو وعليّ، فأخرجاه حتى صلى بالناس، وإنّه لقاعد، ثمّ حمل فوضع على منبره، فلم يجلس بعد ذلك على المنبر، واجتمع له جميع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار حتى برزت العواتق من خدورهنّ، فبين بالكِ وصائحٍ وصارخٍ ومسترجعٍ، والنبويّ صلى الله عليه وآله يخطب ساعة، ويسكت ساعة، وكان مما ذكر في خطبته أن قال:

يا معشر المهاجرين والأنصار ومن حضرني في يومي هذا وفي ساعتني هذه من الجنّ والإنس، فليبلغ شاهدكم الغائب، ألا قد خلّفت فيكم كتاب الله، فيه النور والهدى والبيان، ما فرط الله فيه من شيء، حجّة الله لي عليكم، وخلّفت فيكم العلم الأكبر علم الدين ونور الهدى وصيّي عليّ بن أبي طالب، ألا هو حبل الله فاعتصموا به جميعاً ولا تفرّقوا عنه، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً.

أيها الناس هذا عليّ بن أبي طالب كنز الله اليوم وما بعد اليوم، من أحبّه وتولّاه اليوم وما بعد اليوم فقد أوفى بما عاهد عليه الله، وأدّى ما وجب عليه، ومن عاداه اليوم وما بعد اليوم جاء يوم القيامة أعمى وأصمّ، لا حجّة له عند الله، أيها الناس لا تأتوني غداً بالدنيا تزفونها زفاً، ويأتي أهل بيتي شعثاً غبراً مقهورين مظلومين، تسيل دماؤهم أمامكم وبيعات الضلالة والشورى للجهالة.

ألا وإنّ هذا الأمر له أصحاب وآيات قد سّاهم الله في كتابه، وعرفّتكم وبلّغتم ما أرسلت به إليكم ولكنّي أراكم قومًا تجهلون، لا ترجعون بعدي كفارًا مرتدين متأولين للكتاب على غير معرفة، وتبتدعون السنّة بالهوى، لأنّ كلّ سنّة وحدث وكلام خالف القرآن فهو ردّ وباطل.

القرآن إمام هدى، وله قائد يهدي إليه ويدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة وليّ الأمر بعدي وليّه، ووارث علمي وحكمتي وسريّ وعلائيتي، وما ورثه النبيون من قبلي، وأنا وارث ومورث فلا تكذبنكم أنفسكم.

أيها الناس! الله الله في أهل بيتي، فإنهم أركان الدين، ومصايح الظلم، ومعدن العلم، عليّ أخي ووارثي، ووزيرني وأميني والقائم بأمرني والموفي بعهدي على سنتي.

أول الناس بي إيماناً، وآخرهم عهداً عند الموت، وأوسطهم لي لقاء يوم القيامة، فليبلغ شاهدكم غائبكم، ألا ومن أمّ قومًا إمامة عمياء وفي الأمة من هو أعلم منه فقد كفر، أيها الناس ومن كانت له قبلي تبعة فهذا أنا، ومن كانت له عدة فليات فيها عليّ بن أبي طالب، فإنه ضامن لذلك كله حتى لا يبقى لأحد عليّ تباعة»<sup>[١]</sup>.

### أ. ضرورة الإمامة في كل زمان

- عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام قال: «ولاية عليّ عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلاّ بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله ووصية عليّ عليه السلام»<sup>[٢]</sup>.

- عن داود الرقيّ، عن العبد الصالح عليه السلام قال: «إنّ الحجّة لا تقوم لله على خلقه إلاّ بإمام حيّ يُعرف»<sup>[٣]</sup>.

- عن صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن الأوّل - يعني موسى بن جعفر عليه السلام - قال: «ما ترك الله عزّ وجلّ الأرض بغير إمام قطّ منذ قبض آدم عليه السلام يهتدى به إلى الله عزّ وجلّ وهو الحجّة على العباد، من تركه ضلّ ومن لزمه نجا حقاً على الله عزّ وجلّ»<sup>[٤]</sup>.

- حدّثنا عبد الله بن قدامة الترمذيّ، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: «من شكّ في أربعة فقد كفر بجميع ما أنزل الله تبارك وتعالى أحدها: معرفة الإمام في كلّ زمان وأوان بشخصه ونعته»<sup>[٥]</sup>.

[١]- المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٢٢، ص ٤٨٧.

[٢]- الصفار، بصائر الدرجات، م.س، ص ٩٢.

[٣]- الكلينيّ، الكافي، ج ١، م.س، ص ١٧٧.

[٤]- الصدوق، علل الشرائع، م.س، ج ١، ص ١٩٧.

[٥]- الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٤١.

- عن عمر بن يزيد، عن أبي الحسن الأول عليه السلام، قال: سمعته يقول: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهليّة، إمام حيّ يعرفه. فقلت: لم أسمع أباك يذكر هذا - يعني إماماً حياً - فقال: قد والله قال ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس له إمام يسمع له ويطيع مات ميتة جاهليّة»<sup>[١]</sup>.

ومن باب تعيين المصداق، التصريح والإشارة إلى كونه هو عليه السلام الإمام الحق.

- عن أبي عليّ بن راشد، قال: قال أبو الحسن عليه السلام: «إنّ الأرض لا تخلو من حجة وأنا والله ذلك الحجة»<sup>[٢]</sup>.

### ب. معايير الإمامة عند الإمام الكاظم عليه السلام

عن أبي بصير عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: «دخلت عليه فقلت له: جعلت فداك بم يُعرف الإمام؟ فقال: بخصال: أمّا أولهن فشيء تقدّم من أبيه فيه، وعرفه الناس، ونصّبه لهم علماً، حتى يكون حجة عليهم؛ لأنّ رسول الله نصّب عليّاً عليه السلام علماً وعرفه الناس، وكذلك الأئمة يعرفونهم الناس وينصبونهم لهم حتى يعرفوه، ويسأل فيجيب، ويسكت عنه فيبتدي، ويخبر الناس بما في غد، ويكلّم الناس بكلّ لسان»<sup>[٣]</sup>.

في تحليل هذا النص، يتّضح أنّ الإمام عليه السلام وضع أربعة معايير لتميز الإمام والقيادة الشرعيّة ومعرفته وتشخيصه:

- المعيار الأوّل: النصّ من أبيه (الإمام) ونصبه من قبله.

- المعيار الثاني: الإحاطة العلميّة «يُسأل فيجيب»، أي ليس فيه جنبه جهل، بحيث إذا سئل لا يعرف الجواب، بل يملك من العلوم كلّ ما يحتاجه الناس.

- المعيار الثالث: الإخبار عن الغيب.

[١]- المفيد، الاختصاص، م، س، ص ٢٦٨.

[٢]- الكليني، الكافي، م، س، ج ١، ص ٧٩.

[٣]- الحميري القمي، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، م، س، ص ١٩٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، م، س، ج ٤٨، ص ٤٧.

- المعيار الرابع: التكلم بلغات عدّة.

ت. علم الإمام وأعلميته بتفسير القرآن

- عن محمد بن حكيم، قال: «سألت أبا الحسن عليه السلام عن الإمام هل يسأل عن شيء من الحلال والحرام والذي يحتاج الناس ولا يكون فيه شيء؟»

قال: لا، ولكن يكون عنده ولا يجيب ذلك إليه إن شاء أجاب وإن شاء لم يجب»<sup>[١]</sup>.

- عن الحسين بن عليّ بن يقطين عن أبيه، قال: «سألت أبا الحسن عليه السلام عن شيء من أمر العالم؟»

فقال: نكت في القلب ونقر في الأسماع وقد يكونان معاً»<sup>[٢]</sup>.

عن معاوية عن إسحاق قال: «كنت عند أبي الحسن عليه السلام ودخل عليه رجل فقال له أبو الحسن عليه السلام: يا فلان، إنك تموت إلى شهر. قال: فأضمرت في نفسي: كأنه يعلم آجال شيعته؟!»

فقال عليه السلام: يا إسحاق وما تنكرون من ذلك! وقد كان رشيد الهجري مستضعفاً وكان يعلم علم المنايا والبلايا فالإمام أولى بذلك.

ثم قال عليه السلام: يا إسحاق تموت إلى سنتين ويشتت أهلك وولدك وعيالك وأهل بيتك ويفلسون إفلاساً شديداً»<sup>[٣]</sup>.

يعقوب بن جعفر، قال: «كنت مع أبي الحسن عليه السلام بمكة فقال له رجل: إنك لتفسر من كتاب الله ما لم نسمع به!!»

فقال أبو الحسن عليه السلام: علينا نزل قبل الناس ولنا فسرّ قبل أن يفسر في الناس، فنحن

[١]- الصقار، بصائر الدرجات، م.س، ص ٦٤.

[٢]- م.ن، ص ٣٣٧.

[٣]- م.ن، ص ٢٨٥.

نعرف حلاله وحراره وناسخه ومنسوخه وسفريه وحضره، وفي أي ليلة نزلت كم من آية وفيمن نزلت وفيما نزلت، فنحن حكماء الله في أرضه وشهداؤه على خلقه، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف: ١٩) فالشهادة لنا والمسألة للمشهود عليه، فهذا علم ما قد أنهيته إليك وأدّيته إليك ما لزمني، فإن قبلت فاشكر، وإن تركت فإن الله على كل شيء شهيد<sup>[١]</sup>.

### ث. التمهيد لإمامة الرضا عليه السلام

من أهمّ المسؤوليات العقائدية والأدوار التي قام بها الإمام الكاظم عليه السلام هي التمهيد لإمامة ابنه عليّ الرضا عليه السلام، وذلك من خلال أمرين:

#### الأول: النصّ على إمامة الرضا عليه السلام.

الثاني: مواجهة الواقعة<sup>[٢]</sup>، حيث إنّ الإمام الكاظم عليه السلام نتيجة معرفته بواقع الشيعة، واختباره ما اختبر آباؤه من قبله كالناوسية مثلاً، وشدة خفاء أمر الإمامة بفعل عنصر التقيّة، استشرّف المستقبل بإمكانية ولادة فرقة تقول بالوقف عليه أو تنحرف عن استمرار الإمامة في الرضا عليه السلام كإمام شرعيّ على الأئمة، فكانت نصوصه على إمامة الرضا قطعاً للطريق على التيارات المنحرفة، خصوصاً أنّ الذين تأثروا بالوقف هم أشخاص لهم ثقل علميّ في الوسط الشيعيّ، أمثال: جميل بن درّاج الذي كان في أوّل أمره من الواقعة ثمّ عرف الحقّ واستبصر وأصبح من محدّثي الإمامية وثقاتهم، وكذلك حمّاد بن عيسى كان في أوّل أمره من الواقعة ثمّ رجع إلى الحقّ...

ومن النصوص على ذلك:

- عن الحسين بن نعيم الصحّاف قال: «كنت أنا وهشام بن الحكم وعليّ بن يقطين

[١]- الصّفار، بصائر الدرجات، م.س، ص ٥٤.

[٢]- الواقعة: جماعة من الشيعة الإمامية توقّفوا في الاعتقاد بالأئمة على الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ولم يعتقدوا باستمرار الإمامة في ولده عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، وقالوا إنّ الكاظم عليه السلام حيّ يرزق وأنه القائم من آل محمد عليه السلام. وسيتمّ تسليط الضوء بالتفصيل على الواقعة في المبحث الخاصّ بحياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام.

ببغداد، فقال عليّ بن يقطين: كنت عند العبد الصالح جالسًا فدخل عليه ابنه عليّ، فقال لي: يا عليّ بن يقطين هذا عليّ سيّد وُلدي. أما إنّي قد نحلته كنيّتي. فضرب هشام بن الحكم براحته جبّهته، ثمّ قال: ويحك كيف قلت؟ فقال عليّ بن يقطين: سمعت والله منه كما قلت. فقال هشام: أخبرك أنّ الأمر فيه من بعده»<sup>[١]</sup>.

- عن نعيم القابوسيّ عن أبي الحسن، أنّه قال: «إنّ ابني عليًّا أكبر ولدي وأبرّهم عندي وأحبّهم إليّ، وهو ينظر معي في الجفر ولم ينظر فيه إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ»<sup>[٢]</sup>.

- عن داود الرقيّ، قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: «جعلت فداك إنّي قد كبر سنّي فخذ بيدي من النار؟

قال: فأشار إلى ابنه أبي الحسن عليه السلام فقال: هذا صاحبكم من بعدي»<sup>[٣]</sup>.

### ج. المهدويّة في كلام الإمام الكاظم عليه السلام

تشغل المهدوية حيزًا مهمًّا في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فهي تشكّل محورًا في المنظومة العقائديّة لهذه المدرسة، وقد بدأت إثارة مسألة المهدويّة منذ عصر النبيّ محمد صلى الله عليه وآله، حيث وردت عنه مئات الأحاديث عن المهديّ، واستمرّت هذه القضية مع أئمة أهل البيت إمامًا إمامًا، يؤكّدون على حتميّة ظهور المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، وعلى الظروف التي تحيط بغيبية المهديّ، وشخصه، والعلامات، وطبيعة الانتظار، ووظيفة المهديّ والأهداف والإنجازات التي يحقّقها... إلخ.

- عن عليّ بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر بن محمد عليهم السلام، قال: لا يكون القائم إلاّ إمام ابن إمام ووصيّ ابن وصيّ»<sup>[٤]</sup>.

[١]- الكلينيّ، الكافي، م، س، ج، ١، ص ٣١١.

[٢]- الطوسي، محمّد بن الحسن، الغيبة، ج، ١، ص ٦٠.

[٣]- الكلينيّ، الكافي، م، س، ج، ١، ص ٣١٢.

[٤]- الصدوق، عيون أخبار الرضا، م، س، ج، ١، ص ١٣٩.

- عن محمد بن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام، قال: «إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم، لا يزيلنكم عنها، فإنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محنة من الله يمتحن الله بها خلقه، ولو علم أبائكم وأجدادكم ديناً أصح من هذا الدين لا تبعوه...»<sup>[١]</sup>.

- عن يونس بن عبد الرحمن، قال: دخلت على موسى بن جعفر عليه السلام، فقلت له: يا ابن رسول الله، أنت القائم بالحق؟

فقال: أنا القائم بالحق ولكن القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله عز وجل ويملاها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً هو الخامس من ولدي له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون.

ثم قال عليه السلام: طوبى لشيعتنا، المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة، فطوبى لهم، ثم طوبى لهم، وهم والله معنا في درجاتنا يوم القيامة<sup>[٢]</sup>.

### ح. مبدأ التقيّة

من القضايا العقائديّة المهمّة التي تميّز بها الشيعة الإماميّة، وكان لها الدور الأبرز في حفظ امتداد هويّة هذا المذهب وبقائه، هي التقيّة، وقد تقدّم أنّ طبيعة الظروف التي كان يعيشها الإمام الكاظم عليه السلام فرضت عليه أن يمارس سياسة التقيّة، وقد أكد عليه السلام على مبدأ التقيّة، وكان يحث أتباع أهل البيت على الاعتماد على هذا المبدأ مقابل القيام والثورة المسلّحة على الولاة.

ومن الشواهد على ذلك:

روى معمر بن خلاد قال: سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن القيام للولاة، فقال عليه السلام: «قال أبو جعفر عليه السلام: التقيّة ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقيّة له»<sup>[٣]</sup>.

[١]- النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة، ج ١، ص ١٥٤.

[٢]- الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، م.س، ص ٣٨٩.

[٣]- الكليني، الكافي، م.س، ج ٢، ص ٢١٩.

دُرست بن أبي منصور، قال: «كنت عند أبي الحسن موسى عليه السلام وعنده الكميت بن زيد، فقال له الإمام عليه السلام: أنت الذي تقول:

فالآن صرت إلى أمية والأمر إلى مصائر

فقال الكميت: قد قلت ذلك، والله ما رجعت عن إيماني، وإني لكم لموال ولعدوكم لقال، ولكن قد قلته على التقيّة فقال عليه السلام: إن التقيّة لتجوز على شرب الخمر»<sup>[١]</sup>.

### خ. الإيمان والكفر

- عن الفضيل، قال: «قلت لأبي الحسن عليه السلام: أي شيء أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله فيما افترض عليهم؟

فقال: أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله طاعة الله وطاعة رسوله، وحبّ الله وحبّ رسوله عليه السلام وأولي الأمر، وكان أبو جعفر عليه السلام يقول: حبنا إيمان وبغضنا كفر»<sup>[٢]</sup>.

- إبراهيم بن أبي بكر قال: «سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول: إن علياً عليه السلام بابّ من أبواب الهدى، فمن دخل من باب عليّ كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً، ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة الذين لله فيهم المشيئة»<sup>[٣]</sup>.

- عن بكر بن موسى الواسطيّ، قال: «سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن الكفر والشرك أيهما أقدم؟

فقال: ما عهدي بك تخاصم الناس، قلت: أمرني هشام بن الحكم أن أسألك عن ذلك فقال لي: الكفر أقدم وهو الجحود قال لإبليس: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤)<sup>[٤]</sup>.

[١]- الطوسي، اختيار معرفة الرجال، م.س، ج ٢، ص ٤٦٥.

[٢]- البرقيّ، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن، ج ١، ص ١٥٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٢٧، ص ٩١.

[٣]- الكليني، الكافي، م.س، ج ٢، ص ٣٨٨.

[٤]- م.ن، ج ٢، ص ٣٨٥.

## خاتمة: خلاصات ونتائج

تشكّل حياة الإمام الكاظم عليه السلام حلقةً في سلسلة مدرسة أهل البيت، التي تحرّكت في ضوء خطةٍ تهدف إلى تحقيق الغايات الإلهية على الأرض، وأهمّها بناء الإنسان الصالح، والسعي في إزالة كلّ ما يمكن أن يشكّل مشكلة في طريق الوصول إلى الهدف.

وقد نشأ موسى بن جعفر في بيت القيادة والمعرفة والفضيلة تحت رعاية أبيه الصادق عليه السلام، فبدأ بممارسة دوره في الترويج لخطة مدرسة أهل البيت عليهم السلام منذ طفولته المبكرة، كما شاهدنا في بعض النماذج (عيسى شلقان، أبو حنيفة...) وتمتّع منذ تلك المرحلة بمكانة علمية خاصة واحترام الشيعة.

وفي سبيل تحقيق الأهداف الإلهية ونشر المعارف التوحيدية في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي تستلهم قضاياها الكلامية والعقائدية من المنطق القرآني والوحي النبوي، تحرّك الإمام الكاظم عليه السلام ضمن خطّين:

الأول: الخطّ البنائي والتأسيسي.

والثاني: الخطّ الدفاعي والمواجهة.

ومن أهمّ الأدوار البنائية التي قام بها الإمام الكاظم عليه السلام:

التصدّي للإمامة الدينية وتأكيد مرجعية أهل البيت عليهم السلام الكلامية في أخذ المعارف التوحيدية، وأصول الدين وفروعه.

الاستمرار في إدارة شؤون جامعة أهل البيت التي أسّسها الإمام الصادق عليه السلام والتدريس والتعليم فيها.

إحياء المنطق القرآني في الاستدلال على القضايا العقائدية والكلامية وغيرها.

تنشيط حضور الحديث النبوي في الحياة الثقافية العامة للأمم.

بناء الكادر التخصصي في الميادين المعرفية والدينية المختلفة.

الحفاظ على وحدة وتماسك الجماعة الشيعية.

وقد تمكن من نشر المعارف التوحيدية الأصيلة بين الناس، فاحتف به عليه السلام جماعة من كبار العلماء ورواة الحديث الذين كان لهم دور كبير في الترويج لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

أمّا في الخطّ الثاني، فقد واجه الكاظم عليه السلام تحديات كثيرة نتيجة الظروف الصعبة والقاسية التي أنتجت طبيعة عقلية خلفاء بني العباس وطريقة تعاملهم معه عليه السلام ومع الجماعة الشيعية المحبّة لأهل البيت عليهم السلام، والتي تعتقد بكونهم الأحقّ بخلافة رسول الله لما يتمتّعون به من مميزات وخصائص معرفية وأخلاقية وروحية وسلوكية...

وأهمّ تلك التحديات التي واجهها الكاظم تكمن في أمرين:

الأول: مؤامرات السلطة الحاكمة، ولكنه عليه السلام تمكن من القيام بدوره في القيادة والإمامة وتحقيق الأهداف رغم كل ألوان الحصار والسجن والاعتقال والتضييق. ورغم ما عاشه الإمام في السجن، وقسوة الظروف وشدتها، روي عنه الكثير في الميادين المعرفية المختلفة: العقيدة، الأخلاق، الفقه والشريعة، التاريخ، التفسير...

الثاني: الفرق والتيارات والاتجاهات المنحرفة التي كان يعايشها الإمام سواء داخل المناخ الشيعي العام، كالإسماعيلية والناوسية والقرامطة والغلاة والزيدية... أو تلك التي تتحرّك داخل الفضاء الإسلامي، كالمعتزلة والمجسّمة والحنفية...

واعتمد الإمام الكاظم عليه السلام أساليب مختلفة في مواجهة الأمرين السابقين، من أهمّها:

بيان الحقائق العقائدية أمام سلاطين بني العباس.

توظيف القدرات الغيبية في بيان العقيدة الحقّة.

الحوار والمناظرة مع أصحاب الاتجاهات الضالّة والمنحرفة وإحراجهم وغلبتهم.

دعم الثورات المسلحة (ثورة فخّ نموذجًا).

ومن خلال نشاط الإمام الكاظم عليه السلام وحركته، أثر عنه عشرات بل مئات النصوص التوحيدية والعقائدية، والتي تحتاج إلى دراسة تحليلية مستقلة، تتوقف عند معالجة كل القضايا الكلامية الواردة في رواياته من ناحيتين: التأسيسية والدفاعية، وتصنيفها وتبويبها وشرحها وتحليلها واستخراج المباني والأصول الكلامية منها فضلاً عن القضايا الفرعية.

ومما يؤسف له، أن النصوص الكلامية للإمام الكاظم عليه السلام - ويشمل هذا الكلام باقي أئمة أهل البيت عليهم السلام أيضاً - لم تحظَ بالدراسة والتحليل كما ينبغي، وهذا يضع الباحثين والمحققين والمهتمين في مجال البحث الكلامي أمام مسؤولية العمل على تلك النصوص والروايات في سبيل إظهار قوة المنطق الكلامي لمدرسة أهل البيت وسبقهم في مجال المعارف التوحيدية والإلهية.

## قائمة المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم
٢. ابن طاووس، علي بن موسى، فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، ط ١، قم، دار الذخائر، ١٣٦٨هـ.
٣. ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، لا.ط، القاهرة، مؤسّسة الحلبيّ وشركاه، ١٩٦٧.
٤. أبو الفرج الأصفهانيّ، علي بن الحسين بن محمد، مقاتل الطالبين، تقديم: كاظم المظفر، ط ٢، قم، مؤسّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، منشورات المكتبة الحيدريّة في النجف، ١٩٦٥م.
٥. إسماعيل، الحاج عبد الرحيم، الإمام الكاظم عليه السلام وذواربه في التراث الشعريّ والتأريخيّ والفقهيّ، راجعه وحقّق نصوصه: المؤرّخ الدكتور حميد مجيدهدو، ط ١، الكاظميّة، قسم الثقافة والإعلام في العتبة الكاظميّة المقدّسة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٦. الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، ط ٢، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٧. الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، لا.ط، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، د.ت.
٨. البرقيّ، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن، تصحيح وتعليق: السيّد جلال الدين الحسينيّ، دار الكتب الإسلاميّة.
٩. الحسينيّ، هاشم معروف، سيرة الأئمّة الأثني عشر، لا.ط، بيروت، دار القلم، د.ت.
١٠. الحميريّ القميّ، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت

- لإحياء التراث، ط ١، بيروت، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٣ هـ.
١١. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر، لا.ط، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
١٢. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيّد كيلاني، لا.ط، بيروت، دار المعرفة.
١٣. الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، تصحيح وتعليق: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، لا.ط، قم، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة في قم المقدّسة، د.ت.
١٤. الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، تقديم: محمد صادق بحر العلوم، لا.ط، النجف، منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها في النجف، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م.
١٥. الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، ط ١، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
١٦. الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، لا.ط، إيران، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، ١٤٠٥ هـ.
١٧. الصفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد، تقديم وتعليق: الحجّ ميرزا محسن كوجه باغي، لا.ط، طهران، منشورات الأعلمي، ١٤٠٤ هـ.
١٨. الطباطبائي، محمد حسين، عليّ والفلسفة الإلهيّة، لا.ط، طهران، الدار الإسلاميّة.
١٩. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، تعليقات: السيّد محمد باقر الخراسان، لا.ط، النجف الأشرف، منشورات دار النعمان للطباعة والنشر، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

٢٠. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، راجعه وصحّحه نخبة من العلماء، لا.ط، بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت.
٢١. الطهراني، محمّد محسن (الشهير بأغا بزرك)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط ١، تهران، چاپخانه بانك ملي إيران، ١٣٦٥هـ.
٢٢. الطوسي، محمّد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، تصحيح وتعليق: الميرداماد، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام.
٢٣. الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسّسة البعثة، ط ١، قم، دار الثقافة، ١٤١٤هـ.
٢٤. الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة، تحقيق: عباد الله الطهراني وعلي أحمد ناصح، ط ١، قم، مؤسّسة المعارف الإسلامية، ١٤١١هـ.
٢٥. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام موسى بن جعفر دراسة وتحليل، تحقيق: مهدي باقر القرشي، قسم الثقافة والإعلام في العتبة الكاظمية المقدّسة.
٢٦. القمي، عباس، الأنوار البهية في تاريخ الحجج الإلهية، ط ١، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين بقم المشرفة، ١٤١٧هـ.
٢٧. الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط ٣، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٨هـ.
٢٨. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، ط ٢، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مؤسّسة الوفاء.
٢٩. المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية في حياة المعصومين، لا.ط، لا.م، العتبة العباسية المقدّسة، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، الكتاب الثاني، الجزء التاسع، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

٣٠. المفيد، محمد بن النعمان، الاختصاص، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، لا.ط، قم، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة في قم المقدّسة، د.ت.
٣١. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٣٢. المفيد، محمد بن محمد، الفصول المختارة، تحقيق: السيّد علي مير شريف، ط٢، بيروت، دار المفيد للطباعة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٣٣. النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، تحقيق: السيد موسى الشيرازي الزنجاني، لا.ط، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة.
٣٤. النجاشي، أحمد بن علي، فهرس أسماء مصنّفي الشيعة المشتهر بـ «رجال النجاشي»، ط٥، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، ١٤١٦ هـ.
٣٥. النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة، ط١، إيران، منشورات أنوار الهدى، ١٤٢٢ هـ.
٣٦. قطب الدين الرواندي، سعيد بن عبد الله، الخرائج والجرائح، ط١، قم، مؤسسة الإمام المهدي، ١٤٠٩ هـ.
٣٧. نعمة، عبد الله، هشام بن الحكم رائد الحركة الكلاميّة في الإسلام وأستاذ القرن الثاني في الكلام والمناظرة، ط٢، بيروت، دار الفكر اللبناني، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

# أدوار الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في التأسيس الكلامي

د. علي الحاج حسن (\*)

## مقدمة

علم الكلام الإسلامي علمٌ يأخذ على عاتقه توضيح تعاليم الدين، والاستدلال عليها، والدفاع عنها في مقابل الإشكالات التي توجه إليها. وهو من العلوم الإسلامية الأولى نشأةً وتطوراً؛ حيث بذل العلماء والمفكرون جهوداً جبارةً في إيجاده والتأسيس لمبادئه وقواعده. لقد أبدى أئمة أهل البيت عليهم السلام اهتماماً بعلم الكلام، فقدّموا الكثير والكثير من المطالب الكلامية في الدفاع عن الدين وتبيين العقيدة الصحيحة، عدا عن تربية طلاب برعوا في المهمة الموكلة لعلم الكلام. وإلى جانب الأئمة المعصومين عليهم السلام، اهتم كبار علماء الشعية (من أمثال: الشيخ المفيد، الشريف المرتضى، الشيخ الطوسي، الخاجة نصير الدين الطوسي، العلامة الحليّ، و...) بعلم الكلام بالتأليف والكتابة.

تسعى هذه الدراسة إلى تقديم موجزٍ عن علم الكلام وتطوره في عهد الإمام الرضا عليه السلام، باعتبار أنه أحدُ العصور التي شاع فيها البحث والنقاش الكلامي، معتمدين في ذلك على منهجي الوصف والتحليل اللذين يُتيحان استقصاء الأجواء الفكرية والكلامية وتقديم صورةٍ مجملّةٍ عنها.

يُشار إلى أنّ الكتابات التي دوّنت علم الكلام وتطوره، وكذلك كتب السير، لم تُفرد بحثاً خاصاً حول تطوّر الفكر الكلامي في عصر الأئمة، وعلى وجه الخصوص في زمن الإمام الرضا عليه السلام، بل طغى عليها السرد التاريخي للوقائع والأحداث والأفكار التي راجت في تلك الحقبة من الزمن؛ لذلك كانت هذه المحاولة لجمع وتصنيف وتبويب

(\*)- باحث، وأستاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية.

وتحليل ما يتعلّق بعلم الكلام في تلك المرحلة الزمانيّة المهمّة، ما يُمهّد للمزيد من التعمّق فيها.

وبناء عليه، فقد توزّعت الدراسة على ثلاثة مطالب: عالج المطلب الأوّل منها الأجواء العامّة التي عاش فيها الإمام الرضا عليه السلام، في حين أضاء المطلب الثاني على الفرق الكلاميّة التي سادت تلك الحقبة الزمانيّة ودور الإمام الرضا عليه السلام في معالجتها والردّ على شبهاتها عبر المناظرات. وأمّا المطلب الثالث، فقد سلّط الضوء على الأفكار الكلاميّة عند الإمام الرضا عليه السلام.

## أوّلاً: الأجواء العامّة التي عاش فيها الإمام عليه السلام

### ١. حياة الإمام عليه السلام والأجواء العامّة

ولد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة (١٤٨ هـ) في المدينة المنوّرة، وكانت شهادته بالسّم في شهر صفر، سنة (٢٠٣ هـ)، وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة، ودفن في طوس. أبوه الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وأمّه أم ولد، ولها أسماء، منها: تُكتم، وسنّانة. وكان من ألقابه: الرضا، الصابر، الفاضل، الرضيّ، الوفيّ، قرّة أعين المؤمنين، غيظ الملحدّين. وأمّا كنيته: أبو الحسن الثاني.

عاصر الإمام الرضا عليه السلام خلال فترة إمامته المباركة التي استمرّت عشرين سنة عددًا من خلفاء بني العبّاس، وهم: هارون الرشيد لمُدّة عشر سنوات (١٨٣ - ١٩٣ هـ)، ومن بعده ولده الأمين والمأمون.

بعد استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام سنة ١٨٣ هـ وتسلم الإمام الرضا عليه السلام الإمامة، عانى الكثير من ظلم هارون، ولكن لم يظهر منه أيّ تصدّد علنيّ لمنصب الإمامة، ولم يسجّل له أيّ حضور في المجالس والمحافل العامّة؛ وذلك لأسباب متعدّدة، منها الوصيّة التي ركّز فيها الإمام الكاظم عليه السلام على أنّ إظهار ابنه الإمام عليه السلام للإمامة سيكون بعد أربع سنوات من استشهاده أي سنة ١٧٨ هـ؛ وذلك لإدراك الإمام الظروف القاسية التي ستمرّ بها الأمّة في ذلك الوقت.

تصدّى الإمام لمنصب الإمامة سنة ١٨٧ هـ علناً؛ ولذلك قال له محمد بن سنان: لقد شهرت بهذا الأمر [الإمامة] وجلست في مكان أريك بينما سيف هارون يقطر دمًا. فقال الإمام عليه السلام: «إنّ الذي جرّاني على هذا الفعل قول الرسول صلى الله عليه وآله: لو استطاع أبو جهل أن ينقص شعرة من رأسي، فاشهدوا بأنّي لست نبيًّا، وأنا أقول: لو استطاع هارون أن ينقص شعرة من رأسي فاشهدوا بأنّي لست إمامًا»<sup>[١]</sup>.

أمّا علاقة الإمام عليه السلام بالخليفة الأمين، فحكمتها الظروف السياسيّة في ذلك الوقت. فقد كان الأمين شخصيّة ضعيفة، مستهترّة، لا مبالية، وقد أورد بعض الكُتّاب عن أحواله: «قد كان قبيح السيرة ضعيف الرأي، سفّاكًا للدماء يركب هواه، ويهمل أمره، ويتكل في جليلات الأمور على غيره»<sup>[٢]</sup>. وعندما احتدم الصراع بين الأمين والمأمون، والذي أدّى في نهاية المطاف إلى الإطاحة بحكم الأمين وقلته، استغلّ الإمام عليه السلام هذه الأوضاع، وصبّ جهوده على بناء الجماعة الصالحة ونشر المفاهيم الإسلاميّة الصحيحة في المجتمع الذي عانى الكثير من المجون والفساد والانحراف الفكريّ.

حكمت علاقة الإمام عليه السلام بالمأمون العديد من المتغيّرات، فالمأمون من جهة كان صاحب شخصيّة قويّة ويتمتع بذكاء ممزوج بالدهاء؛ لذلك حاول التقرب من الإمام بإسناد منصب ولاية العهد إليه لأسباب ذكرها الباحثون، وبذل جهودًا من جهة ثانية للتصويب على الإمام عبر المناظرات واللقاءات والإشكاليّات التي كان يدفع الفرق المتعدّدة لطرحتها؛ بهدف إيجاد عثرة ونقص عند الإمام.

كان الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ملتفتًا ومنتبهًا لأعمال المأمون وخططه الخبيثة، ويسعى لإحباطها وإبطالها.

أسند المأمون ولاية العهد إلى الإمام عليه السلام سنة ٢٠١ هـ، وكان وراء هذا العمل أهداف عدّة، منها:

- تهدئة الأوضاع الداخليّة: بعد تسلّم المأمون الخلافة بسنة واحدة أي ١٩٩ هـ،

[١]- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٨، ص ٢٥٧.

[٢]- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والإشراف، ص ٣٠٢.

اندلعت ثورات عظيمة وحركات تمرد واسعة قادها العلويون، حيث خرج أبو السرايا السري بن منصور الشيباني بالعراق ومعه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الحسيني، فضرب الدراهم بالكوفة بغير سكة العباسيين، وسير جيوشه إلى البصرة؛ لذلك كان الهدف الأول من دعوة الإمام عليه السلام إلى خراسان تحويل ساحة المواجهة العنيفة والمتهبة إلى ساحة مواجهة سياسية هادئة.

- سلب القداسة والمظلومية عن الثورة: لم يعرف الشيعة التعب أو الملل في المواجهة، ولم تكن ثورتهم لتقف عند حد. وتحل الأمران في انتزاع الخلافة والاضطهاد والقتل الذي تعرض له أئمة أهل البيت عليهم السلام في كل الفترات السابقة. وكذلك في ابتعاد الإمام المعصوم عن أجهزة الحكم، وقيادة الناس وفقاً لمنهج الإسلام المحمدي الأصيل.

حاول المأمون العباسي من خلال ولاية العهد أن يسلب هذه القداسة والمظلومية، اللتين تشكّلان عامل النفوذ الثوري في المجتمع الإسلامي، لأن الإمام عندما يصبح ولي عهد سينضم، حسب تصوّر المأمون، إلى أجهزة الحكم وينفذ أوامر الملك في التصرف بالبلاد، إذا فهو لم يعد لا مظلوماً ولا مقدّساً<sup>[١]</sup>.

- إضفاء المشروعية على الخلافة العباسية: اعتقد المأمون أن مبايعة الإمام عليه السلام تعني حصول المأمون على اعتراف من العلويين، على أعلى مستوى، بشرعية الخلافة العباسية. وقد صرح هو بذلك: «فأردنا أن نجعله وليّ عهدنا، ليكون دعاؤه لنا، وليعترف بالملك والخلافة لنا»<sup>[٢]</sup>.

فالببيعة بالنسبة إلى المأمون تعني، أن الإمام قد أقر بأن الخلافة ليست له، ولا للعلويين، ولذلك فإن حصول المأمون على هذا الاعتراف ومن الإمام عليه السلام خاصة، يُعتبر أخطر على العلويين من الأسلوب الذي انتهجه أسلافه من أمويين وعباسيين ضدّهم، من قتلهم وتشريدهم، وسلب أموالهم<sup>[٣]</sup>.

وثمة أهداف كثيرة أخرى: كأن يكسب المأمون سمعةً معنويةً وصيتاً بالوقار والتقوى، وأن

[١]- المنظّمة العالمية للحوزات، تاريخ الإسلام، ج٣، صص ١٦٠-١٦١.

[٢]- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص ١٨١.

[٣]- مرتضى، جعفر، الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، صص ٢٣٨-٢٣٩.

يتحوّل الإمام إلى حام ومرشد للنظام، إلى غير ذلك من الأهداف. ولكن السؤال: لماذا وافق الإمام على البيعة وولاية العهد؟ السبب في ذلك يعود لأمر من أهمّها الإكراه على البيعة.

إنّ أوّل أمر قام به الإمام أنّه رفض البيعة بولاية العهد، وانتشر هذا الرفض في كلّ مكان، حتّى إنّ الفضل بن سهل صرّح في جمع من العاملين بهذا الأمر. وبين الإمام في كلّ فرصة أُتيحت له أنّه مجبرٌ على القيام بهذا الأمر، وهذا يُعتبر أيضًا إجراءً من قبل الإمام في مواجهة ولاية العهد من قبل المأمون. قال الريّان بن الصلت: «دخلت على عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، فقلت له: يا بن رسول الله الناس يقولون: إنّك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا، فقال عليه السلام: قد علم الله كراهتي لذلك، فلمّا خيّرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل، ويجهّم أما علموا أنّ يوسف عليه السلام كان نبيّاً ورسولاً فلمّا دفعته الضرورة إلى تولّي خزائن العزيز ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥) ودفعني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك، على أنّي ما دخلت في هذا الأمر إلّا دخول خارج منه، فإلى الله المشتكى وهو المستعان»<sup>[١]</sup>.

ومن جملة الإجراءات التي قام بها الإمام عليه السلام في مواجهة ما حصل:

- إعلان التهديد، والتصريح به.

- عدم التدخّل في الشؤون السياسيّة.

رغم كلّ التهديدات التي مورست على الإمام عليه السلام قبل ولاية العهد بشرط الموافقة على عدم تدخّله في أيّ شأن من شؤون الحكومة من حرب أو سلم، ومن عزل أو نصب الخ... فقد قال عليه السلام عندما هدّده المأمون: «فإنّي أجيبك إلى ما تريد من ولاية العهد على أنّي لا أمر ولا أنهي ولا أفتي ولا أقضي ولا أوّل ولا أعزل ولا أغير شيئاً ممّا هو قائم، فأجابه المأمون إلى ذلك كلّ»<sup>[٢]</sup>.

من جهة أخرى كانت لولاية العهد مجموعة من النتائج، من أبرزها:

[١]- الصدوق، عيون أخبار الرضا، م.س، ج ٢، ص ١٣٩.

[٢]- المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، الإرشاد، ص ٢٩٠.

- اعتراف المأمون بأحقية أهل البيت (عليهم السلام): ويكفي للتدليل على هذه الفكرة أن نطلع على بعض الكلمات التي صدرت عن الإمام (عليه السلام) في مراسم التعيين. فعندما طلب المأمون منه أن يخاطب أمام الناس خطباً موضحاً حقه: «أيها الناس إن لنا عليكم حقاً برسول الله ﷺ، ولكم علينا حقاً به، فإذا أدبتم إلينا ذلك وجب لكم علينا الحكم، والسلام».

ثم خطب المأمون فقال: «أيها الناس جاءكم بيعة علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، والله لو قرأت هذه الأسماء على الصم البكم لبرئوا بإذن الله عز وجل»<sup>[١]</sup>.

- توظيف الإعلام لصالح الإمام (عليه السلام): وقد تم ذلك من خلال خطوات عدة: شروع أئمة الجمعة بالدعاء للإمام (عليه السلام)، ضربت النقود باسم الإمام الرضا (عليه السلام) في جميع الأمصار، كثرت الخطب والأشعار المادحة للإمام وأهل البيت (عليهم السلام)، وغير ذلك من الأمور<sup>[٢]</sup>.

- حرية الإمام (عليه السلام) في المناظرة: ويكفي أن نعرف أن مناظرات الإمام كثيرة جداً مع كل المذاهب والأديان حتى لقب (عليه السلام) بـ «غيظ الملحدين». فقد جمع المأمون للإمام (عليه السلام) الجاثليق وهو رئيس الأساقفة، ورأس الجالوت عالم اليهود، ورؤساء الصابئين، وعطاء الهنود من أبناء المجوس، وأصحاب زرادشت، وعلماء الروم، والمتكلمين، فناظرهم بأجمعهم في مناظرات مشهورة، وتغلب عليهم بالحجة البيّنة والبراهين التامة، وأذعنوا لتمام فضله في العلم.

- نشر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومقاماتهم: وقد حصل الأمر من خلال حركة الإمام العلمية ومناظراته... وقد قيل إن المأمون أمر أن يُنادى: «برئت الذمة ممن يذكر معاوية بخير، وإن أفضل الخلائق بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب»<sup>[٣]</sup>.

- حقن دماء المسلمين: فقد أصدر المأمون العفو العام عن قادة الثورات.

[١]- الصدوق، عيون أخبار الرضا، م، س، ج ٢، ص ١٤٧.

[٢]- القرشي، باقر شريف، حياة الامام الرضا (عليه السلام)، ج ٢، ص ٢٤٩.

[٣]- السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، ص ٢٤٧.

## ٢- أشهر أصحابه

يُتَّضح من خلال قراءةٍ سريعةٍ لنشاط الإمام عليه السلام مدى اهتمامه بالبعد العلمي والثقافي، فاهتمّ كما سائر الأئمة الأطهار عليهم السلام بتربية مجموعة من العلماء والكوادر والخواصّ، ضمن ما يمكن أن يُطلق عليه الحركة الفكرية للإمام. وكانت له مجموعة مختارة من الأصحاب الثقات الذين يكونون في موضع الاهتمام والعناية الخاصة بهم؛ كي يكونوا من دعاة الإسلام ومبلّغي الرسالة وناشري علوم أهل البيت عليهم السلام.

من أبرز من تخرّج على أيدي الإمام عليه السلام:

أ. يونس بن عبد الرحمن (٢٠٨هـ): كان ليونس بن عبد الرحمن منزلة عظيمة عند الإمام الرضا عليه السلام حتى شبّهه الإمام بسلمان زمانه، فإنّ «يونس في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه»<sup>[١]</sup>. وقد نُسبت له بعض المؤلّفات من أبرزها: كتاب الأدب والدلالة على الخير، كتاب الإمامة، كتاب فضل القرآن و...<sup>[٢]</sup>.

ب. صفوان بن يحيى البجليّ (ت ٢١٠هـ): كان متميّزاً في علاقاته الاجتماعية وفي وعيه وثقافته، فقد روى عن الإمام الرضا عليه السلام ثمّ عن ابنه الإمام الجواد عليه السلام - يُنسب إليه بعض الكتب: كتاب الشراء والبيع، كتاب المحبّة والوظائف، كتاب الفرائض، كتاب الوصايا، و...<sup>[٣]</sup>.

ت. الحسين بن سعيد الأهوازيّ: كان للحسين بن سعيد الأهوازيّ وأخيه الحسن دورٌ مهمّ في نشر علوم أهل البيت عليهم السلام بين الناس. وقد شرعا في تربية الناس على ثقافة أهل البيت في الأهواز حتى أصبح سكّان تلك المنطقة من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام. يُنسب له بعض المؤلّفات من أبرزها: كتاب الوضوء، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، وكتاب الحجّ<sup>[٤]</sup>.

[١]- التستريّ، محمّد تقي، قاموس الرجال، ج ١١، ص ١٧٤.

[٢]- الشيخ الطوسيّ، رجال الكشي، ص ٥٣٨، رقم ٩١٣.

[٣]- التستريّ، محمّد تقي، قاموس الرجال، ج ١١، ص ١٨٢.

[٤]- فوزي، محمد، رجال حول أهل البيت، ج ٢، ص ١٩٠.

ث. دعبل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦ هـ): كان دعبل الخزاعي من أقرب الناس للإمام الرضا عليه السلام، وكان من شعراء أهل البيت، فقد نظم شعره في خدمة منهج أهل البيت، وبالرغم من كل الإغراءات الكثيرة التي قدمها العباسيون لإبعاده عنهم، إلا أنه فضّل الآخرة على الدنيا. سخر شعره الراقي في بيان فضائل أهل بيت النبوة، وتعداد المآسي التي تعرّضوا لها من قبل الحكّام الظلمة<sup>[١]</sup>.

ج. محمّد بن أبي عمير الكوفي البغدادي (ت ٢١٧ هـ): قال النجاشي: محمّد بن أبي عمير زياد بن عيسى، أبو أحمد الأزدي، من موالي المهلب بن أبي صفرة، وقيل مولى بني أمية، والأول أصح، بغدادي الأصل والمقام، لقي أبا الحسن موسى عليه السلام، وسمع منه أحاديث. نُسبت إليه بعض المؤلفات: كتاب الرضاع، كتاب الاستطاعة، كتاب الملاحم، كتاب الصلاة، و...<sup>[٢]</sup>

ح. أبو عثمان بكر بن محمد المازني النحوي البصري (ت ٢٤٩). قيل عنه: «كان إمامًا في العربية، متسعًا في الرواية، وكان لا يناظره أحد إلا قطعه لتدربه على الكلام»، وقال آخر: «لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان، وله تصانيف كثيرة تزيد على عشرة مصنفات». نُسبت إليه بعض المؤلفات: كتاب الألف واللام، كتاب التصريف، كتاب العروض، و...<sup>[٣]</sup>

قدّم الشيخ باقر شريف القرشي عرضًا تفصيليًا (ألفبائي) لأبرز تلامذة الإمام الرضا عليه السلام، وترجم لمعظمهم ترجمات جيّدة، وقد توصل في كتابه (حياة الإمام الرضا عليه السلام) من خلال البحث والتحقيق في كتب الرجال أنّ ثلاثمئة وسبعة وستين تلميذًا قد تتلمذوا على يد الإمام الرضا عليه السلام مباشرة، معتمداً في ذلك على أمّهات المصادر وأهمّ الوثائق والآثار التاريخية<sup>[٤]</sup>.

[١]- الخوئي، السيّد أبو القاسم، معجم رجال الحديث، ج ٨، صص ١٤٨-١٤٩، رقم ٤٤٦٥.

[٢]- م. ن. ج ١٥، صص ٢٩١-٢٩٢.

[٣]- الأبطحي، السيّد محمّد علي، تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي، ج ٤، ص ١٥٦.

[٤]- القرشي، باقر شريف، حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا، م. س، ج ٢، صص ٨٦-١٨٠.

### ٣- الأجواء الفكرية في زمن الإمام عليه السلام

لم تكن الاتجاهات الكلامية قد تبلورت بصورة حقيقية في القرن الهجري الأول. بل كانت المسائل المطروحة يغلب عليها الطابع الاجتماعي والأخلاقي والسياسي. والحقيقة أنّ الأبحاث الكلامية النظرية قد تشكلت في القرن الثالث الهجري. ومن جملة المسائل الأولى التي طُرحت في علم الكلام، والتي نجدتها في طبّات الروايات المنقولة عن الإمام الرضا عليه السلام، مسألة الإمامة، وكذلك مسألة الكفر والإيمان، خلق القرآن... وغيرها من القضايا الكلامية التي شكّلت في عهد الإمام باكورة الاهتمام الكلامي، باعتبار كثرة الفرق والمناظرات التي كانت تجري على الألسنة فيما بينها، حيث كانت للإمام مواقف واضحة منها. وإذا كانت الأجواء الفكرية يتنازعها اتجاهان: الأول هو الاتجاه المعتزلي العقلائي، والآخر أصحاب الحديث، فإنّ مواقف الإمام الرضا عليه السلام كانت تتسم بالوسطية والاعتدال.

ساهمت العديد من العوامل والأسباب في النشاط العلمي الذي ظهر في عهد الإمام الرضا عليه السلام، وفيما يلي نوردتها على سبيل الاختصار:

- دخول العديد من الشعوب والأمم الإسلام بعد أن اتسعت رقعة البلاد الإسلامية جغرافياً، مما حمل معه دخول الكثير من الأفكار والمعتقدات، وبالتالي بروز إشكالات فكرية وعقائدية.

- ظهور العديد من الفرق والتيارات الإسلامية، سواء الكلامية أو الفقهية أو... والتي كانت تطرح من جهتها الكثير من الأسئلة والاستفسارات.

- رواج الأفكار الكلامية والعقلية والفلسفية وانتشار العقلائية كمنهج في الاستدلالات التي قدّمتها بعض هذه الاتجاهات في مقابل تمسك بعضهم بالمناهج غير العقلية في الاستدلال، وقد اشتدّت النزاعات الكلامية بين المعتزلة والأشاعرة، مما ساعد في الارتقاء بالبحث الكلامي. وكانت للإمام الرضا عليه السلام مجالسه الكلامية الخاصة التي عمد فيها إلى توضيح الآراء الحقّة وتبيينها.

- يمكن القول إن الترجمة في عصر الإمام شهدت تطورًا لافتًا، فكانت الكتب تُترجم من لغاتٍ متعددة إلى العربية، وبطبيعة الحال فإن بعضها يشتمل على مطالب مفيدة، بينما كان بعضها الآخر على العكس من ذلك؛ إذ كانت تشتمل على مطالب خاطئة. وتأسس لذلك بيت الحكمة بدفع من العباسيين لنقل الأفكار الأخرى إلى العربية، ومن جملتها الآثار الفلسفية والكلامية اليونانية.

- من الأمور التي طبعت عصر الإمام، رواج المناظرات واللقاءات البحثية بالأخص، وأن بعض الخلفاء كانوا يحرصون على إقامتها لأهداف عديدة. فمن جهة، كانت المناظرات تُساهم في تطور الأفكار وتعميقها وتروج للبحث العلمي، إلا أنها من جهة أخرى كانت وسيلةً يعمد إليها السلاطين لإسقاط بعض الرموز عبر إثبات عدم قدراته العلمية. يعتقد بعض الباحثين أن من أبرز ما يدل على ما كان يخفيه المأمون على سبيل المثال من وراء المناظرات إيقافه لها بعد شهادة الإمام<sup>[١]</sup>.

- أما طريقة الإمام عليه السلام في مواجهة التحديات والشبهات الفكرية، فقد تجلّت في البُعدين العلمي والعملي. ففي البعد العلمي، كان الإمام يعمل على تقديم إجابات للشبهات العلمية والعقائدية عند الناس، وإقامة جلسات وحلقات علمية للطلاب والأصحاب، والمشاركة في المناظرات العلمية والكلامية التي يحضرها رؤساء المذاهب والفرق. وفي البعد العملي، كان الإمام عليه السلام يعمل للدفاع عن الإمامة في مقابل آراء الواقفية، ويتخذ مواقف كلامية في مقابل الأفكار التي روج لها المأمون العباسي، ومن ثم الحضور بين الناس وإقامة ارتباط بهم.

## ثانيًا: الفرق الكلامية والمناظرات

### ١. الفرق الكلامية

كثرت الفرق الكلامية في زمن الإمام، وكان له رأيٌ فيها، حيث واجه بعضها بالحقائق وبيّن منزلقاتها وصبّ اتجاهاتها. ومن جملة الفرق التي نشطت في زمان الإمام، والتي واجهها بالأفكار والاعتقادات الاستدلالية الصحيحة: المعتزلة، الغلاة،

[١]- الشيرازي، ناصر مكارم، مناظرات الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام التاريخية مع اتباع المذاهب والأديان المختلفة، ج ١، ص ٤٢٨

الزيدية، الخوارج، الحلولية، المجبرة، الحشوية، الواقفية. وفيما يلي نلقي الضوء على أهم هذه الفرق وأبرزها، مبيين جانباً من معتقداتها، وبالأخص تلك التي حاربها الإمام الرضا عليه السلام، تاركين البحث عن تاريخها إذ لا يتسع المقال لذكرها، عدا عن أن الكتب الكلامية قد ذكرتها بالتفصيل:

أ. الغلاة: الغلاة مجموعة أو فرقة من المفرطين في التشيع، والذين يعتقدون بحلول الجوهر الإلهي في الأئمة عليهم السلام، وبالتالي المغلاة في مقامهم. ويعود تاريخ الغلاة إلى مرحلة متقدمة من عهد الإمام الرضا عليه السلام، حيث يمكن القول إن وجودها امتد على مساحة حضور أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكانت هذه الفرقة واحدة من أكثر الفرق الإسلامية تأثيراً على مستوى عقائد الناس وسلوكياتهم. تمكن الغلاة من تقديم صورة غير مقبولة عن التشيع، مما دفع أعداء أهل البيت إلى التمسك بأفكار وسلوكيات هذه الفرقة لمحاربتهم.

ذكر التاريخ مجموعات كثيرة من الغلاة، منهم من كان يغالي في أمير المؤمنين علي عليه السلام حتى نسبوا الربوبية إليه، ومنهم من غالى في أهل البيت عليهم السلام، فنسبوا الصفات الإلهية لهم، ومنهم من اعتبر أن معرفة الإمام تجعل الإنسان في غنى عن العبادات والواجبات؛ لذلك كانوا يتركون الصلاة والصيام والحج و... باعتبار أن مودة أهل البيت عليهم السلام كفيل بدخولهم الجنة<sup>[١]</sup>.

بشكل عام، يمكن تصنيف الغلاة إلى فئتين: فئة ملحدة، وهم الذين وضعوا الأئمة في عرض الله تعالى، وقد أشارت إليهم كتب الكلام الشيعية تحت عنوان فاسدي المذهب وفاسدي الاعتقاد. والفئة الثانية، هم غير الملحدين كالمفوضة وأمثالهم الذين اعتبروا الأئمة عليهم السلام موجودات فوق مرتبة البشر ونسبوا إليهم العلم والقدرة اللامحدودين<sup>[٢]</sup>. والغلاة فرق كثيرة، من أبرزهم المشبهة، والمفوضة، والحلولية، وهو ما سنشير إليه بحسب ما يقتضيه البحث.

ب. المشبهة: واحدة من فرق الغلاة، وهم الذين كانوا يُشبّهون الله تعالى

[١]- نهله غروي نائيتي؛ عبدالله مير احمدى سلوكروثي: گونه های مقابله با فرقه های کج اندیش در سیره امام رضا عليه السلام، فصلية: شيعه شناسی، العام السادس، العدد ٢٣.

[٢]- م.ن.

بالموجودات المحسوسة حتى قالوا إن الله تعالى صورة كصورة الإنسان. أجاز المشبهة ملامسة ومصافحة الله تعالى، بل بإمكان الإنسان عبر الرياضة والتدرج في مراتب الإخلاص المتعالية أن يُصافح ويعانق الله تعالى في الدنيا والآخرة<sup>[١]</sup>. وينسبون لله تعالى صفات وأفعال الموجودات المادية (كالحزن والفرح، والذهاب والمجيء...). وتمسك المشبهة في ادعاءاتهم بمجموعة من الآيات الشريفة، كقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر: ٢٢)، وقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٣).

واجه الإمام الرضا عليه السلام فرقة المشبهة المغالية، وقدم تفسيراً صحيحاً للآيات الشريفة التي استندوا إليها، وبيّن شرك هذه المجموعة، ورفض وجود أي نوع من الشبه بين الخالق ومخلوقاته، وقال: «كل ما في الخلق من أثر غير موجود في خالقه وكل ما أمكن فيه ممتنع من صانعه...»<sup>[٢]</sup>. ثم يقول في موضع آخر: «من شبه الله بخلقه فهو مشرك...»<sup>[٣]</sup>.

ت. المفوضة: فرقة من جملة فرق الغلاة التي نشطت في زمان الإمام الرضا عليه السلام. يدعي أتباعها أن الله تعالى خلق محمداً عليه السلام ثم فوضه خلق العالم وتديره، ثم إن محمداً عليه السلام فوض علياً تدير العالم، وبذلك فهم يدعون أن الله تعالى ترك تدير الكون لغيره. بشكل عام، أعطوا حق التدبير في الكون والكائنات للمعصومين عليهم السلام بعيداً عن المفهوم الصحيح للتفويض الإلهي، فكان تدخلهم في التدبير بعيداً عن إذن الله سبحانه وتعالى.

حارب الإمام الرضا عليه السلام الغلاة الذين فوضوا الأمور إلى الخلق مطلقاً، وبيّن تهافتهم وإشكالاتهم. يقول الإمام عليه السلام: «إنما وضع الأخبار عنّا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغروا عظمة الله تعالى، فمن أحبهم فقد أبغضنا ومن أبغضهم فقد أحبنا، ومن الأهم فقد عادانا ومن عاداهم فقد والانا، ومن وصلهم فقد قطعنا ومن قطعهم فقد وصلنا، ومن جفاهم فقد برّنا... ومن صدّقهم فقد كذّبنا، ومن كذّبهم فقد صدّقنا،

[١]- الشهرستاني، عبد الكريم، الملل والنحل، ج ١، ص ١٢٩.

[٢]- المفيد، محمد بن محمد، الأمالي، ص ٢٥٧.

[٣]- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، التوحيد، ص ٦٩.

ومن أعطاهم فقد حرمنا، ومن حرمهم فقد أعطانا، يا ابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتخذنّ منهم ولياً ولا نصيراً»<sup>[١]</sup>.

وفي حديث آخر: «... عن الحسن بن سهل عن محمد بن حامد عن أبي هاشم الجعفريّ، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة والمفوضة، فقال: الغلاة كفار، والمفوضة مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو... خرج من ولاية الله عزّ وجلّ وولاية الرسول صلّى الله عليه وآله وولايتنا أهل البيت»<sup>[٢]</sup>.

ث. الحلوليّة: المقصود من الحلوليّة الذين يعتقدون أنّ الله تعالى حلّ في الإنسان وفي أجزاء من الكون الأخرى، وعندما يتلاشى البعد المادّي الدنيويّ من الإنسان، لا يبقى فيه سوى ما استقرّ وحلّ فيه من صفات الخالق تعالى، حيث يصل الإنسان إلى مرتبة الاتحاد الكامل بالله تعالى، فتزول الثنائيّة ويتحدّ الله والإنسان في واحد. ويعتقد هؤلاء أنّ الجوهر الإلهيّ النورانيّ قد اتحد وحلّ في شخصيّة الرسول صلّى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام.

يعود تاريخ الحلوليّة إلى ما قبل الدين الإسلاميّ، حيث كان له حضور لافت في بعض المعتقدات المسيحيّة، ثمّ انتشر في العالم الإسلاميّ وأخذ مكاناً على مستوى عرض أفكاره التي تؤلّه المعصومين عليهم السلام الذين حاربوا الحلوليّة.

جاء في حديث عن الإمام الرضا عليه السلام عندما سأله المأمون عن مغالاة الناس بأهل البيت عليهم السلام: «حدّثني أبي موسى ابن جعفر عن أبيه عن... عن عليّ بن ابي طالب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لا ترفعوني فوق حقّي فإنّ الله تبارك وتعالى اتّخذني عبداً قبل أن يتّخذني نبياً»<sup>[٣]</sup>.

وعندما سأله أحدهم عن حقيقة آدم وأنها ليست سوى الجوهر الإلهيّ، أجاب الإمام بأنّ صاحب هذا الاعتقاد ليس لديه حظّ من سنّة رسول الله وهو زنديق<sup>[٤]</sup>.

[١]- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٦٦.

[٢]- م.ن، ج ٢٥، ص ١٧٣.

[٣]- م.ن، ج ٢٥، ص ٢٦٨.

[٤]- م.ن، ج ٢٥، ص ٢٩٣.

ج. المتصوفة: ظهرت الفرقة المتصوفة في العالم الإسلامي أواخر القرن الثاني الهجري بعد أن بانت على سلوكياتهم بعض الحالات الخاصة التي لا تشبه أحوال المسلمين، كارتداء الصوف وسكن الصوامع وما شابهها من أمور.

راجت بين المتصوفة مجموعة من المعتقدات، من أبرزها: إسقاط التكليف عند الوصول للمقامات العالية، الوصول إلى مقام الإمامة عن طريق الرياضة الروحية، عدم الاعتقاد بالعبادات، الاعتقاد بالجبر، ادّعاء المعرفة بعلم الغيب، حرمة الدعاء لدفع القضاء،.... وترك الدنيا<sup>[١]</sup>.

حارب الأئمة عليهم السلام الحركة الصوفية باعتبار أنّ طريقة تفكيرهم لا تنسجم مع القرآن الكريم. وجاء في حديث عن دخول مجموعة من المتصوفة على الإمام الرضا عليه السلام بخراسان، واعتراضهم عليه، وقولهم: إنّ الأمة تحتاج إلى من يلبس الصوف، ويأكل الجشب، ويلبس الخشن، ويركب الحمار، ويعود المريض....، فكان جوابه لهم أنّ يوسف كان نبياً يلبس أقبية الديباج المزرورة بالذهب، ويجلس على متكآت فرعون، ويحكم، إنّما يراد من الإمام قسطه وعدله إذا قال صدق، وإذا حكم عدل، وإذا وعد أنجز، إن الله لم يحرم لبوساً ولا مطعماً، ثم قرأ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ (الأعراف: ٣٢)<sup>[٢]</sup>.

وجاء في حديث آخر عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي ومحمد بن إسماعيل بن بزيع عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «من ذكر عنده الصوفية ولم ينكرهم بلسانه أو قلبه فليس منا، ومن أنكرهم فكأنّما جاهد الكفار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله»<sup>[٣]</sup>.

ح. المعتزلة: ظهرت المعتزلة كفرقة كلامية أوائل القرن الثاني الهجري. ويُعدّ واصل بن عطاء مؤسس هذه الفرقة في البصرة. لمع نجم المعتزلة في العصر العباسي، وبالأخص في زمن المأمون الذي كان من المشجعين والداعمين والمروجين لها.

[١]- ابن الجوزي، عبد الرحمان بن علي، تلييس إبليس، ص ١٣٩.

[٢]- الشاهرودي، الشيخ علي النمازي، مستدرک سفينة البحار، ج ٦، ص ٣٩٩.

[٣]- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن بن علي، الاثنا عشرية، ص ٣٢.

كان للمعتزلة النصيب الأكبر من المناظرات مع الإمام الرضا عليه السلام، ومن أبرز شخصياتهم التي نظرت الإمام عليه السلام، سليمان المروزيّ ويحيى بن الضحاك السمرقنديّ. تمحورت الأفكار التي ناظر الإمام فيها المعتزلة حول:

خ. التوحيد الصفاتيّ: يعتقد المعتزلة بالتوحيد الصفاتيّ وينكرون التوحيد الأفعاليّ، وفي التوحيد الصفاتيّ يعتبرون أنّ ذات الحقّ فقط قديم، وأنّ الصفات ليست عين الذات؛ فالله تعالى القديم ليس له صفات قديمة، فهو عالم بعلم قادر بقدره مرید بإرادة...<sup>[١]</sup>. وقد أوضح الإمام عليه السلام العقائد الصحيحة خلافاً لما تعتقد المعتزلة، فالصفات من وجهة نظره عين ذات الله تعالى ومن المحال أن تكون صفات الله تعالى غير ذاته. وسيّضح فيما يأتي رأي الإمام الدقيق في الصفات والتي تلاها على مسامع المعتزلة والمؤمن.

د. الكبائر من الذنوب: يعتقد المعتزلة أنّ مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، بل فاسق، والفسق حدّ وسط بين الإيذان والكفر، وقد ذكروا المسألة تحت عنوان «المنزلة بين المنزلتين». بيّن الإمام عليه السلام عقيدته الصحيحة في المسألة. جاء في حديث «...كنا في مجلس الرضا عليه السلام فنذاكروا الكبائر وقول المعتزلة فيها: إنّها لا تغفر، فقال الرضا عليه السلام: قال أبو عبد الله عليه السلام: قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ (الرعد: ٦)<sup>[٢]</sup>.

ذ. خلق القرآن: يعتقد المعتزلة أنّ القرآن الكريم مخلوق وحادثة. وقد وصل الجدال والنزاع حول خلق القرآن في العصر العباسيّ حدّاً لا يُطاق، فسُفكت لأجله الدماء ومورس النفي والإبعاد والسجن، حتّى اعتبرت في ذلك الزمان واحدة من أشدّ المحن التي عاشها العالم الإسلاميّ. جاء في حديث عن ياسر الخادم، عن الرضا عليه السلام أنّه سئل عن القرآن فقال: لعن الله المرجئة ولعن الله أبا حنيفة، إنّهُ كلام الله غير مخلوق، حيث ما تكلمت به وحيث ما قرأت ونطقت...<sup>[٣]</sup>

[١]- الشهرستاني، الملل والنحل، م.س، ج ١، ص ٦٤.

[٢]- الصدوق، التوحيد، م.س، ص ٤٠٦.

[٣]- المجلسي، بحار الانوار، م.س، ج ٨٩، ص ١٢٠.

طبعًا هناك الكثير من المعتقدات التي دافع عنها المعتزلة وحاربها أو صوّبها الإمام عليه السلام، كالبداء وعصمة الأنبياء وغيرها مما لا يتسع المجال لذكرها جميعها.

ر. المجبرة: المجبرة هم الذين يعتقدون أنّ كلّ خير أو شرّ إنّما هو فعل الله تعالى وهو الذي أرادهما. عُرفت المجبرة في زمان بني أمية بالقدرية. ويعتقد المجبرة أنّ أفعال العباد لا تثبت قدرتهم على الفعل، وأنّ الإنسان حتى لو كان قادرًا على الإتيان بالعمل، إلّا أنّ قدرته لا تأثير لها في إيجاد الفعل، بل يصدر الفعل من الإنسان نتيجة قدرة الله تعالى الذي أوجد الفعل والإنسان مكتسب له<sup>[١]</sup>.

عارض الشيعة رواية المجبرة، وأوضحوا أنّ الإنسان هو الموجد لأفعاله، وهو يأتي بها بما استودع الله تعالى فيه من قدرة، فالفعل يصدر عن الإنسان بعد وجود الدوافع وانتفاء الموانع، والفاعل غير مجبر عند إتيانه بفعله.

جاء في حديث عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: «سمعت أبا الحسن عليّ بن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: من قال بالجبر فلا تعطوه من الزكاة ولا تقبلوا له شهادة، إنّ الله تبارك وتعالى لا يكلف نفسًا إلّا وسعها، ولا يحملها فوق طاقتها، ولا تكسب كلّ نفس إلّا عليها، ولا تزر وازرة وزر أخرى»<sup>[٢]</sup>.

وفي حديث آخر: «عن بريد عمير بن معاوية الشامي قال: دخلت على عليّ بن موسى الرضا بمرو، فقلت له: يا بن رسول الله، روى لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: إنّهُ لا جبر ولا تفويض بل أمرين أمرين فما معناه؟ قال: من زعم أنّ الله يفعل أفعالنا ثمّ يعدّ بنا عليها، فقد قال بالجبر، ومن زعم أنّ الله عزّ وجلّ فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام، فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك»<sup>[٣]</sup>.

ز. الواقفية: ظهرت الفرقة الواقفية بعد شهادة الإمام الكاظم عليه السلام. كان للإمام الكاظم عليه السلام وكلاء يجمعون الأموال الشرعية من الناس عندما كان في السجن، ومن

[١]- الشهرستاني، الملل والنحل، م.س، ج ١، ص ٩٧.

[٢]- الصدوق، التوحيد، م.س، ص ٣٦٢.

[٣]- الصدوق، عيون أخبار الرضا، م.س، ج ١، ص ١١٤.

أبرز هؤلاء الوكلاء: «علي بن حمزة البطائني»، «زياد بن مروان القندي»، «عثمان بن عيسى الرواسي»، «أحمد بن أبي شبر السراج»، وقد جمعوا مقدارًا كبيرًا من المال، إلا أن هؤلاء أنكروا وفاة الإمام عليه السلام عند شيوخ الخبر، فتأسست فرقة الواقفية. تعتقد الواقفية بأن الأئمة سبعة وينكرون الأئمة الباقين، حيث توقفوا عند هذا العدد. وبهذا النحو تكون الواقفية قد اتخذت موقفًا جديدًا في مسألة الإمامة يخالف ما تنص عليه الروايات وما يُستفاد من طريقة إثبات الأئمة وعددهم<sup>[١]</sup>.

أما الإمام الرضا عليه السلام، فكان يحذر الناس دائمًا من الواقفية ويطلق عليهم صفات الكفر والزندقة و... وكثيرة هي الروايات التي تبيّن موقف الإمام من الواقفية، فعن علي بن عبد الله الزبيري أنه سأل الإمام الرضا عليه السلام عن الواقفية، فكان جوابه أنهم انحرفوا عن الحق واتبعوا المعاصي وأن مصيرهم النار إذا ما استمروا على هذا النحو<sup>[٢]</sup>. وفي جواب من سأله عن جواز إعطائهم الزكاة، أنه لا يجوز ذلك، وأتهم كافرون مشركون وملحدون<sup>[٣]</sup>.

## ٢. أبرز المناظرات التي دارت في زمن الإمام عليه السلام وبحضوره:

كثيرة هي المناظرات التي شارك فيها الإمام عليه السلام إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كثرة الفرق والأجواء المناسبة للبحث والحديث والجدال والتخالط مع القوميات والأديان الأخرى، عدا عن إرادة المأمون العباسي حشد أصحاب الآراء والديانات... لمناظرة الإمام وبيان خطئه، وهذا ما لم يتمكن منه. أما الإمام عليه السلام، فكانت مناظراته تتسم بالدليل الكلامي الجامع بين النص والفهم الصحيح له، بعيدًا عن التأويل، والالتزام بظاهره، مع محاولة واضحة في الاعتماد على مبادئ العقل وبديهياته. وهنا نقل باختصار جانبًا من المناظرات؛ إذ لا يتسع المقال لسردها بالتفصيل:

[١]- المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج٤٨، ص ٢٥٢.

[٢]- م. ن، ص ٢٦٣.

[٣]- م. ن.

## أ. المناظرة مع الجاثليق (وهو رئيس أساقفة العيسويين وكبير علماء النصارى)

جمع المأمون العباسي العلماء والوجهاء وجماعة من بني هاشم، وقد توجه للجاثليق معرّفًا بالإمام الرضا عليه السلام وأنه من نسل المعصومين، ثم طلب من الجاثليق مناظرة الإمام، وقد استنكر الجاثليق بأنه يُناظر شخصًا يعتمد على كتاب غير مقبول عنده. وهنا بادر الإمام للقول بأنه سينظره انطلاقًا من الإنجيل. أمّا البُعد الكلامي في المناظرة مع الجاثليق، فهو من خلال إثبات نبوة خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وآله على لسان الإنجيل الذي يعتقد به.

«... فقال الجاثليق، يا أمير المؤمنين كيف أحاج رجلاً يحتج عليّ بكتاب أنا منكره ونبي لا أو من به. فقال له الرضا عليه السلام: يا نصرانيّ فإنّ احتججت عليك بإنجيلك أتقرّ به؟! قال الجاثليق: وهل أقدر على دفع ما نطق به الإنجيل؟ نعم، والله أقرّ به على رغم أنفي، فقال له الرضا عليه السلام: سل عما بدا لك وافهم الجواب، قال الجاثليق: ما تقول في نبوة عيسى عليه السلام وكتابه هل تنكر منها شيئًا؟ قال الرضا عليه السلام: أنا مقرّ بنبوة عيسى وكتابه وما بشر به أمته وأقرّ به الحواريون، وكافر بنبوة كلّ عيسى لم يقرّ بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وكتابه ولم يبشر به أمته، قال الجاثليق: أليس إنّما تقطع الأحكام بشاهدي عدل؟

قال: بلى، قال: فأقم شاهدين من غير أهل ملّتك على نبوة محمد ممن لا تنكره النصرانيّة، وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملّتنا، قال الرضا عليه السلام: الآن جئت بالنصفه يا نصرانيّ، ألا تقبل مني العدل المقدم عند المسيح عيسى بن مريم، قال الجاثليق: ومن هذا العدل؟ سمّه لي، قال: ما تقول في يوحنا الديلميّ؟ قال: بخ بخ ذكرت أحبّ الناس إلى المسيح، قال: فأقسمت عليك هل نطق الإنجيل أنّ يوحنا قال: إنّ المسيح أخبرني بدين محمد العربيّ وبشّري به أنّه يكون من بعده، فبشّرت به الحواريين فأمنوا به؟! قال الجاثليق: قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح وبشّر بنبوة رجل وبأهل بيته ووصيّه، ولم يلخص متّى يكون ذلك ولم يسمّ لنا القوم فنعرّفهم، قال الرضا عليه السلام: فإنّ جئناك بمن يقرأ الإنجيل، فتلا عليك ذكر محمد وأهل بيته وأمته أتؤمن به؟! قال: سديدًا، قال الرضا عليه السلام لقسطاس الروميّ:

كيف حفظك للسفر الثالث من الإنجيل؟ قال: ما أحفظني له، ثمّ التفت إلى رأس

الجالوت فقال له: ألسنت تقرأ الإنجيل؟! قال: بلى لعمرى، قال: فخذ على السفر الثالث، فإن كان فيه ذكر محمد وأهل بيته وأمته سلام الله عليهم فاشهدوا لي، وإن لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي، ثم قرأ عليه السلام السفر الثالث حتى إذا بلغ ذكر النبي صلى الله عليه وآله وقف، ثم قال: يا نصراني إني أسألك بحق المسيح وأمته أتعلم أنني عالم بالإنجيل؟! ..... قال الجاثليق: القول قولك ولا إله إلا الله»<sup>[١]</sup>.

### ب. مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع المأمون العباسي

تناول المناظرة قضية عصمة الأنبياء التي سأل عنها المأمون، وقد طلب تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه: ١٢١)، فبين الإمام أن آدم وحواء لم يقربا تلك الشجرة ولم يأكلا منها، وإنما أكلا من غيرها، وعندما تناولا منها بعد أن وسوس لهما الشيطان، كان ذلك ثقة بيمينه بالله تعالى، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله عز وجل: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (طه: ١٢٢).

ثم سأل المأمون عن قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ (الأعراف: ١٩٠)، فكان الجواب فيما آتاهما الله تعالى من الأولاد وشكر الله تعالى على الموهبة التي منحها إياها. ثم سأل عن النبي إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ (الأنعام: ٧٦)، أشار الإمام إلى ما كان يعبد الناس، فلما لم يجد النبي إبراهيم عليه السلام أن ما يعبده الناس، لا يستحق أن يكون رباً [أتى بها أتى به من تحطيم للأصنام]. وإنما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم أن العبادة لا تحق لمن كان بصفة الزهرة والقمر والشمس، وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض، وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه الله تعالى وآتاه كما قال الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ (الأنعام: ٨٣).

ثم توالت الأسئلة حول آيات كتاب الله يتلوها المأمون وقد التبس عليه فهمها، وكان

[١]- الصدوق، التوحيد، م.س، ص ٤٢٠.

الإمام يقدّم الجواب الذي يدلّ على عصمة النبيّ وعدم صدور المعصية منه، باعتبار أنّ الفهم الصحيح للآيات يدفع ما كان يتوهمه المأمون الذي نطق في نهاية المناظرة قائلاً: لقد شفيت صدري يا بن رسول الله، وأوضحت لي ما كان ملتبساً عليّ، فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً<sup>[١]</sup>.

### ت - مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع الفقهاء وأهل الكلام

اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة عند المأمون، وكان الإمام حاضراً، فسألوه عن أمور كلامية، من أبرزها:

- عن الإمامة وبأيّ شيء تصحّ مدّعيتها، وكان الجواب أنّها تصحّ بالنصّ والدليل، والدليل كما صرح به الإمام هو العلم واستجابة الدعوة.

- عن أخبار المعصومين بما في قلوب المؤمنين، فأجاب أنّها بنور الله: «وما من مؤمن إلّا وله فراسة ينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه، وقد جمع الله في الأئمة منّا ما فرقه في جميع المؤمنين».

- عن الغلوّ في الأئمة، فنقل الإمام حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «لا ترفعوني فوق حقّي، فإنّ الله تبارك وتعالى اتّخذني عبداً قبل أن يتّخذني نبياً».

- وحول الرجعة قال: «إنّها لحقّ كانت في الأمم السالفة ونطق بها القرآن، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يكون في هذه الأئمة كلّ ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة».

- وحول القائلين بالتناسخ: قال «من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم مكذب بالجنة والنار».

وصل النقاش إلى مستوى بحيث شعر القوم بالفشل، فنهض المأمون وقال: لا أبقي الله بعدك يا أبا الحسن، فوالله ما يوجد العلم الصحيح إلّا عند أهل البيت وإليك انتهت علوم آبائك، فجزاك الله عن الإسلام وأهله خيراً<sup>[٢]</sup>.

[١]- الصدوق، عيون أخبار الرضا، م.س، ج٢، صص ١٧٤ - ١٨٢.

[٢]- م.ن، ج١، صص ٢١٦ - ٢١٨.

### ث- مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي

تناولت المناظرة مسائل كلامية من أبرزها البدء وإرادة الله تعالى:

في البدء، بين الإمام عليه السلام بداية نص القرآن الكريم على البدء في قوله تعالى: ﴿أَوَّلًا  
يَذُكُرُ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (مريم: ٦٧). ثم أتبع النص القرآني  
برواية عن المعصومين، وفرق بين الأمور الموقوفة والمخزونة عند الله...

وحول الإرادة، ومن جعلها اسماً وصفة، مثل حيّ وسميع وبصير وقدير. قال  
الرضا عليه السلام: إنما قلت: حدثت الأشياء واختلفت لأنه شاء وأراد، ولم تقولوا: حدثت الأشياء  
واختلفت لأنه سميع بصير، فهذا دليل على أنها ليستا مثل سميع ولا بصير ولا قدير.

قال سليمان: فإنه لم يزل مريداً. قال عليه السلام: يا سليمان إرادته غيره. قال: نعم. قال:  
فقد أثبت معه شيئاً غيره لم يزل. قال سليمان: ما أثبت. قال الرضا عليه السلام: أهي محدثة؟  
قال سليمان: لا، ما هي محدثة. فقال: هي محدثة يا سليمان، فإن الشيء إذا لم يكن أزلياً كان  
محدثاً، وإذا لم يكن محدثاً كان أزلياً.

قال سليمان: إرادته منه كما أن سمعه وبصره وعلمه منه. قال الرضا عليه السلام: فأراد  
نفسه؟ قال: لا. قال: فليس المراد مثل السميع البصير؟ قال سليمان: إنما أراد نفسه وعلم  
نفسه. قال الرضا عليه السلام: ما معنى أراد نفسه؟ أراد أن يكون شيئاً، وأراد أن يكون حياً  
أو سميعاً أو بصيراً أو قديراً؟ قال: نعم. قال الرضا عليه السلام: أفإرادته كان ذلك؟ قال  
سليمان: نعم. قال الرضا عليه السلام: فليس لقولك أراد أن يكون حياً سميعاً بصيراً...  
واستمر النقاش حتى ضحك المأمون ومن حوله، وضحك الرضا عليه السلام، ثم قال لهم:  
«ارفقوا بمتكلم خراسان»<sup>[١]</sup>.

### ج- مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع الصابئة

[١]- الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، م، س، ج ٢، صص ١٥٩ - ١٦٨؛ الصدوق، التوحيد، م، س، صص ٤٤١ - ٤٥٤؛ المجلسي، بحار المجلسي، بحار الأنوار، م، س، ج ١٠، صص ٣٢٩ - ٣٣٨.

تناولت المناظرة بعض الحقائق الإيمانية ذات العلاقة بالإيمان، التوحيد، الاعتقاد الصحيح بالله تعالى وعلمه بالأشياء وخلقها لها، وحدانيته، وكلامه.

سأل عمران الصابي عن إثبات أنه تعالى واحد قائمًا بوحدانيته. تحدّث الإمام بحديث طويل عن الله تعالى، فبيّن قضايا كلامية في التوحيد، قال: «فلم يزل واحدًا كائنًا لا شيء معه بلا حدود وأعراض ولا يزال كذلك، ثم خلق خلقًا مبتدعًا مختلفًا بأعراض وحدود مختلفة لا في شيء أقامه ولا في شيء حدّه ولا على شيء حذاه ومثله له، فجعل الخلق من بعد ذلك صفوه وغير صفوه واختلافًا وائتلافًا وألوانًا وذوقًا وطعمًا، لا حاجة كانت منه إلى ذلك ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلا به، ولا أرى لنفسه فيها خلق زيادة ولا نقصانًا...».

ثم أشار إلى ما خلق الله وإلى علمه تعالى، وتحدّث حول حدود خلق الله تعالى، فقال:

«اعلم أنّ حدود خلقه على ستة أنواع: ملموس، وموزون، ومنظور إليه، وما لا ذوق له وهو الروح، ومنها: منظور إليه وليس له وزن ولا لمس ولا حسّ ولا لون ولا ذوق، والتقدير، والأعراض، والصور، والطول، والعرض، ومنها: العمل، والحركات التي تصنع الأشياء وتعملها وتغيّرهما من حال إلى حال وتزيدها وتنقصها، فأما الأعمال والحركات فإنّها تنطلق؛ لأنّه لا وقت لها أكثر من قدر ما يحتاج إليه، فإذا فرغ من الشيء انطلق بالحركة وبقي الأثر، ويجري مجرى الكلام، يذهب ويبقى أثره».

ثم سأل عمران عن كلام الله تعالى ونطقه وأنه كان ساكنًا قبل الخلق، فأجاب الإمام: «لا يكون السكوت إلا عن نطق قبله»، وعزّز الفكرة بمثال حسبيّ.

وقد سأل عن الائتاد بين الخالق والمخلوق (أهو في الخلق؟ أم الخلق فيه؟)، فقال الإمام: «ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه تعالى عن ذلك»، ثم وضح الإمام المسألة بمثال محسوس.

ثم سأل عمران عن حقيقة وجود الله تعالى وخلقه الأوّل، فقدم الإمام شرحًا طويلًا بيّن فيه أنه تعالى خالق، واحد، كائن، لا ثاني له... ومن جملة ما قال عليه السلام: «إنّ الله المبدئ، الواحد، الكائن، الأوّل لم يزل واحدًا لا شيء معه، فردًا لا ثاني معه، لا معلومًا

ولا مجهولاً، ولا محكماً ولا متشابهاً، ولا مذكوراً ولا منسياً، ولا شيئاً يقع عليه اسم شيء من الأشياء غيره، ولا من وقت كان ولا إلى وقت يكون، ولا بشيء قام ولا إلى شيء يقوم، ولا إلى شيء استند، ولا في شيء استكن، وذلك كله قبل الخلق إذ لا شيء غيره، وما أوقعت عليه من الكلّ فهي صفات محدثة...».

تقول الروايات التي نقلت المناظرة إنَّ عمران أذعن لصحّة ما قدّمه الإمام وأعلن عن إسلامه: «قد فهمت وأشهد أنّ الله تعالى على ما وصفت ووحدت، وأشهد أنّ محمداً عليه السلام عبده المبعوث بالهدى ودين الحق، ثم خرّ ساجداً نحو القبلة وأسلم»<sup>[١]</sup>.

### ح - مناظرة الإمام مع علي بن محمد بن الجهم

سأل الجهم عن عصمة الأنبياء وذكر العديد من الآيات الشريفة التي يظهر منها نسبة الذنب إليهم، وكان الإمام عليه السلام يجيب بأنّ الفواحش لا تُنسب إلى الأنبياء، وأنّ ما جاء في النصّ مرده إلى تأويل كتاب الله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ٧). وانطلاقاً من الفهم الصحيح للقرآن الكريم، وبعيداً عن التأويل، قدّم الإمام إجابات لكلّ ما خفي عن الجهم، الذي قال في نهاية المناظرة: يا بن رسول الله، أنا تائب إلى الله عزّ وجلّ أن أنطق في أنبياء الله بعد يومي هذا إلاّ بما ذكرته<sup>[٢]</sup>.

### خ - مناظرة الإمام مع يحيى بن الضحّاك السمرقنديّ

وفدت جماعة لمناظرة الإمام الرضا عليه السلام في مسائل كلاميّة من جملتها الإمامة، فاختاروا يحيى بن الضحّاك السمرقنديّ للحديث معه. رفض السمرقنديّ الشروع بالحديث طالباً من الإمام ذلك. بدأ الحوار، فكانت إجابات الإمام تُثبت حقّ الأئمة في الولاية وتبيّن خطأ ولاية غيرهم.

توجّه الإمام إلى يحيى قائلاً: سل يا يحيى، فقال يحيى: بل سل أنت يا بن رسول الله! لتشرّفني بذلك، فقال عليه السلام: يا يحيى!. ما تقول في رجل ادّعى الصدق لنفسه وكذب الصادقين؟ أيكون صادقاً محقّقاً في دينه أم كاذباً؟. فلم يجر جواباً ساعة، فقال المأمون:

[١]- الصدوق، عيون أخبار الرضا، م.س، ج ٢، ص ١٣٩.

[٢]- الصدوق، الامالي، م.س، ص ١٥٣.

أجبه يا يحيى!. فقال: قطعني يا أمير المؤمنين. فالتفت إلى الرضاء عليه السلام فقال: ما هذه المسألة التي أقرّ يحيى بالانقطاع فيها؟ فقال عليه السلام: إن زعم يحيى أنه صدق الصادقين، فلا إمامة لمن شهد بالعجز على نفسه فقال على منبر الرسول: «وليتكم ولست بخيركم»، والأمير خير من الرعية، وإن زعم يحيى أنه صدق الصادقين فلا إمامة لمن أقرّ على نفسه على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن لي شيطاناً يعتريني». والإمام لا يكون فيه شيطاناً، وإن زعم يحيى أنه صدق الصادقين، فلا إمامة لمن أقرّ عليه صاحبه<sup>[١]</sup>.

### ٣. منهج الإمام وطريقته في البحث والمناظرة

أشار الإمام في العديد من المجالات للأسلوب الصحيح في تناول الأفكار الكلامية، وهو الاستناد إلى القرآن الكريم. جاء في إحدى الروايات عن الإمام في جواب من طلب منه أن يصف الله تعالى، قال: «...أعرّفه بما عرّف به نفسه من غير رؤية، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة...»<sup>[٢]</sup>.

ولا شك أن الاعتماد على المنهج النقلي لا يعني الاكتفاء بظواهره، بل ثمة دور للعقل في الاستنباط، فلو منع الله الإتيان بما أمر به عملياً، فلن يكون من المستساغ أن يلعن إبليس في مسألة السجود لآدم: «... أما ما سألت: (هل منع الله عما أمر به؟) فلا يجوز ذلك، ولو جاز ذلك لكان قد منع إبليس عن السجود لآدم، ولو منع إبليس لعذره ولم يلعنه...»<sup>[٣]</sup>. وهذا إن دلّ على شيء، فإنه يدل على عدم القدرة على الفهم من خلال الأوهام والتصوّرات الخاطئة؛ لذا كان للجوء إلى النصّ بمثابة الولوج لفهم ما تعجز عنه العقول. وهذا لا يعني نفي قدرة العقل عن المعرفة، فلا يخفى دور العقل في الاستنباط وفي استنتاج اللوازم العقلية، بالأخصّ في قضايا التفكير في المخلوقات... كما لا يخفى أن أيسر طرق معرفة الله هي طريق العلامات والآيات، كما أنّ العقل وسيلة لدفع الشبهات وإفحام المجادلين وتبكيتهم. كما وجّه الإمام أصحابه للاستفادة من العقل في دحض ما ينسب للأئمة زوراً وبهتاناً، ففي حديث طويل فيمن نقل أحاديث

[١]- القيومي، جواد، صحيفة الامام الرضاء، ص ٣١٠.

[٢]- الصدوق، التوحيد، م.س، ص ٤٧.

[٣]- الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، ص ١٥٧.

عن المعصومين السابقين وأئمتهم كانوا يقولون بالجبر والتشبيه، أكد الإمام أمّها روايات وأحاديث لم تصدر عن المعصومين، وإنّما نسبت إليهم: «عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، قال: قلت له: يا ابن رسول الله، إن الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك الأئمة عليهم السلام، فقال: يا ابن خالد أخبرني عن الأخبار التي رويت عن آبائي الأئمة عليهم السلام في التشبيه والجبر أكثر أم الأخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك؟! فقلت: بل ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك أكثر، قال: فليقولوا: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول بالتشبيه والجبر إذاً، فقلت له: إنهم يقولون: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقل من ذلك شيئاً، وإنّما روي عليه، قال: فليقولوا في آبائي عليهم السلام: إنهم لم يقولوا من ذلك شيئاً وإنّما روي عليهم، ثم قال عليه السلام: من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك ونحن منه براء في الدنيا والآخرة. يا ابن خالد، إنّما وضع الأخبار عنّا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغروا عظمة الله، فمن أحبهم فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبنا، ومن والاهم فقد عادانا، ومن عاداهم فقد والانا، ومن وصلهم فقد قطعنا، ومن قطعهم فقد وصلنا، ومن جفاهم فقد برّنا، ومن برّهم فقد جفانا، ومن أكرمهم فقد أهاننا، ومن أهانهم فقد أكرمنا، ومن قبلهم فقد ردّنا، ومن ردّهم فقد قبلنا، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا، ومن صدّقهم فقد كذّبنا، ومن كذّبهم فقد صدّقنا، ومن أعطاهم فقد حرّمنا، ومن حرّمهم فقد أعطانا، يا ابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتخذنّ منهم ولياً ولا نصيراً»<sup>[١]</sup>.

من الأمور اللافتة في طريقة الإمام ومنهجه في التعاطي مع المسائل الكلامية أنّه يأخذ بالحسبان كلّ ما له علاقة بالمخاطب ومستوى فهمه واستيعابه. فهو «يكلم الناس بما يعرفون ويكفّ عمّا ينكرون»<sup>[٢]</sup>.

يمكن تلخيص منهجية الإمام عليه السلام في المناظرة بمجموعة من العناوين:

- تشخيص الجهة المقابلة في المناظرة، باعتبار أنّ المناظرة قد لا تكون ذات فائدة إذا طغت عليها الفوضى؛ لذلك كان الإمام حريصاً على أن يختار الطرف المقابل شخصاً

[١]- الصدوق، التوحيد، م.س، ص ٣٦٣-٣٦٤

[٢]- الحويزيري، عبد بن جمعة، نور الثقلين، ج ٥، ص ٧٠٧.

يتولّى الحديث باسمها، وهذا ما تشير إليه الكثير من المناظرات التي أقامها المؤمنون.

- توجيه البحث والمناظرة نحو هدف واضح يجد الطرف المقابل نفسه مضطراً للانتقال للخطوات اللاحقة. نقرأ في مناظرة الجاثليق أنّ الإمام كان يسير معه خطوة بخطوة بدءاً من عيسى عليه السلام وما كان يتحدث به بالأخصّ حول رسول الإسلام، وعندما كان المقابل يدعّن لصحة وصدق ما يُنسب للنبيّ عيسى كان ينقل قبول الصحة والصدق إلى ما أشار إليه الحواريون... وهنا في هذا المقام نشاهد الإمام يحتجّ على الطرف المقابل بلسانه وبيانه ونصوصه.... يروي النوفليّ عن الإمام عليه السلام في حديث طويل عن مناظرة جهّز لها المؤمنون جمع فيها المذاهب والطوائف و... ثمّ استدعى الإمام: «فقال لي: يا نوفليّ، أتحب أن تعلم متى يندم المؤمن؟ قلت: نعم. قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى الصابئين بعبرائيتهم، وعلى الهراذة بفارسيّتهم، وعلى أهل الروم بروميّتهم، وعلى أهل المقالات بلغاتهم، فإذا قطعت كلّ صنف، ودحضت حجّته، وترك مقالته، ورجع إلى قولي، علم المؤمن أنّ الذي هو بسبيله ليس بمستحقّ له، فعند ذلك تكون الندامة منه...»<sup>[١]</sup>.

كما نشاهده عليه السلام يناظر ويخاطب الآخر انطلاقاً من مستوى قدراته الذهنيّة والعقليّة، فكان يتحدث للعالم المتبحر في علمه بطريقة تختلف عن مخاطبته للشخص العاديّ، والهدف إيصال الشخص إلى القناعة وتقديم الاستدلال الذي يزيل شكوكه.

ويبرز في منهجه الاستعانة بالتشبيهات والتمثيلات التي تصوّر واقعاً محسوساً وملموساً عند الآخر تجعله أقرب لليقين. ففي حديث طويل سأل عليّ بن أبي حمزة الإمام عن دفن الإمام وأنّه لا يليه إلاّ إمام، فمن الذي تولى أمر دفن والده؟ هنا لجأ الإمام لاستخدام التمثيل، أرجعه إلى كربلاء ومن الذي قام بتجهيز الإمام الحسين عليه السلام: «فقال له أبو الحسن عليه السلام: فأخبرني عن الحسين بن عليّ عليه السلام، كان إماماً أو كان غير إمام؟ قال: كان إماماً، قال: فمن وليّ أمره قال: عليّ بن الحسين. قال: وأين كان عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: كان محبوساً في يد عبيد الله بن زياد في الكوفة، قال: خرج وهم كانوا

[١]- الطبرسي، الاحتجاج، م، س، ج، ٢، ص ٤٢٤.

لا يعلمون: حتى ولي أمر أبيه ثم انصرف؟ فقال له أبو الحسن عليه السلام: إن هذا الذي أمكن علي بن الحسين عليه السلام أن يأتي كربلا، فيلي أمر أبيه، فهو أمكن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه...»<sup>[١]</sup>.

- واعتمدت منهجية الإمام في المناظرات على مبدئية إحقاق الحق. لم يكن هدف الإمام التغلب على الطرف المقابل أو إقناعه، بل إحقاق الحق فقط، وهو الكفيل بإيصال الآخر إلى القناعة والإذعان. ومن هذا المنطلق، كان المقابل يتملّكه شوقاً لمتابعة الحوار والمناظرة والوصول إلى الخواتيم. ومن هنا، عندما كان الإمام يتحدث إلى سليمان المروزي عن البداء، أظهر رغبة في معرفة المزيد فطلب من الإمام الاستمرار.

### ثالثاً: الأصول الاعتقادية عند الإمام الرضا عليه السلام

أشرنا فيما تقدّم إلى أن الذي ميّز عصر الإمام الرضا عليه السلام، كثرة التيارات والفرق الكلامية والفقهية... واشتداد النقاشات حول قضايا الدين، وهذا يعني أن كلّ جهة كانت تبذل ما لديها من جهود علمية لإثبات مدّعاتها وتقديم الاستدلالات على صحّة أفكارها. وهذا يعني أيضاً أن الإشكالات والشبهات كانت كثيرة. انطلاقاً من هذه القضية قدّم الإمام أفكاره الكلامية ليوجب ويوضح ويقدم العقيدة السليمة. تُبين الكتابات التاريخية أن أبرز القضايا الكلامية التي كانت محلّ نقاش تدور حول التوحيد (وملاحقاته من الخلق والتشبيه والتجسيم ورؤية الله تعالى)، والنبوة (بالأخصّ فيما له علاقة بعصمة النبي وجواز إتيانه بالكبيرة أو الصغيرة)، والإمامة (بحث عصمة الإمام والنصّ عليه أو تنصيبه)، بالإضافة إلى أفكار أخرى فرضها العصر من قبيل الجبر والاختيار والكفر والإيمان.... ونسعى في هذا المبحث إلى تقديم نماذج من الأفكار الكلامية التي قدّمها الإمام عليه السلام.

#### ١. في التوحيد

أثيرت كثير من التساؤلات حول قضايا التوحيد، وأجاب عنها الإمام عليه السلام،

[١]- عطاردى، عزيز الله، مسند الإمام الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٤٤١.

وفند ما ألصق بها من شكوك وأوهام. ومن جملة الأمور التي تحدّث الإمام بها متناولاً التوحيد ما له علاقة بوجود الخالق، وكيف هو؟ وأين؟ وإدراكه؟ ورؤيته؟... وهذا ما يتعرّض له البحث هنا عبر إيراد نماذج من الروايات التي حدّد فيها الإمام معالم التوحيد، وفي الوقت نفسه أجاب بها على بعض الإشكالات:

- دخل رجل من الزنادقة على أبي الحسن عليه السلام وعنده جماعة، فقال أبو الحسن عليه السلام: أيها الرجل أرايت إن كان القول قولكم وليس هو كما تقولون، ألسنا وإياكم شرعاً سواء، لا يضرنا ما صلينا وصمنا وزكينا وأقررنا؟ فسكت الرجل، ثم قال أبو الحسن عليه السلام: وإن كان القول وهو قولنا أستم قد هلكتم ونجوننا؟ فقال رحمك الله أوجدني كيف هو وأين هو؟ فقال: ويلك إن الذي ذهبت إليه غلط هو أين الأين بلا أين وكيف وكيف بلا كيف فلا يعرف بالكييفية ولا بالأينونية ولا يدرك بحاسة ولا يقاس بشيء. فقال الرجل: فإذا أنه لا شيء إذا لم يدرك بحاسة من الحواس؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: ويلك لما عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته؟! ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقنا أنه ربنا بخلاف شيء من الأشياء.

قال الرجل: فأخبرني متى كان؟ قال أبو الحسن عليه السلام: أخبرني متى لم يكن فأخبرك متى كان قال الرجل: فما الدليل عليه؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إنني لما نظرت إلى جسدي ولم يمكّني فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول ودفعت المكاره عنه وجرّ المنفعة إليه علمت أن لهذا البنين بانياً، فأقررت به مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته وإنشاء السحاب وتصريف الرياح ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من الآيات العجيبات المبيّنات علمت أن لهذا مقدراً ومنشأً<sup>[١]</sup>.

- استحالة المعرفة الكاملة بذات الله. إن من المستحيل أن يُوصف الله تعالى بصفة تلمّ بحقيقة ذاته المقدّسة. سأل أبو هاشم الجعفريّ الإمام: «هل يوصف الله؟» فأجابه

[١]- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص٧٩؛ الصدوق، عيون أخبار الرضا، م.س، ج١، ص١٧٧.

الإمام عليه السلام: «أما تقرأ القرآن؟» «بلى». وأحال الإمام الجواب على كتاب الله تعالى فقال: «أما تقرأ قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (الأنعام: ١٠٣)»<sup>[١]</sup>.

- استحالة رؤية الله تعالى: رؤية الله تعالى غير ممكنة بل مستحيلة، وقد شاع في بعض أوساط ذلك العصر أن النبي محمداً عليه السلام قد رآه. فقدم كل من إبراهيم بن محمد الخزاز ومحمد بن الحسين إلى الإمام الرضا عليه السلام يسألانه عن ذلك وقالوا له: «إن محمداً رأى ربه في صورة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين سنة؟».

اضطراب الإمام حينما سمع هذه الأباطيل، وخرّ ساجداً لله تعالى، وجعل يخاطبه بتذلل وخشوع: «سبحانك ما عرفوك، ولا وحدوك، فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك، سبحانك كيف طاوعتهم أنفسهم أن يشبهوك بغيرك. اللهم لا أصفك إلا بما وصفت به نفسك، ولا أشبهك بخلقك، أنت أهل لكل خير، فلا تجعلني من القوم الظالمين... «ثم التفت عليه السلام إليهم فقال: «ما توهمتم من شيء، فتوهموا الله غيره...»<sup>[٢]</sup>.

وعن امتناع رؤية الله تعالى أيضاً، فقد اتفق الجميع ولا تمانع بينهم [المعرفة والرؤية]، أن المعرفة من جهة الرؤية ضرورة، فإذا جاز أن يرى الله بالعين وقعت المعرفة ضرورة، ثم لم تخل تلك المعرفة من أن تكون إيماناً أو ليست بإيمان، فإن كانت تلك المعرفة من جهة الرؤية إيماناً، فالمعرفة التي في دار الدنيا من جهة الاكتساب ليست بإيمان؛ لأنها ضده، فلا يكون في الدنيا مؤمناً؛ لأنهم لم يروا الله عزّ ذكره، وإن لم تكن تلك المعرفة التي من جهة الرؤية إيماناً لم تخل هذه المعرفة التي من جهة الاكتساب أن تزول، ولا تزول في المعاد، فهذا دليل على أن الله عزّ وجل لا يرى بالعين، إذ العين تؤدي إلى ما وصفنا<sup>[٣]</sup>.

[١]- الكليني، الكافي، م، س، ج ١، ص ٩٩.

[٢]- م، ن، ج ١، صص ١٠١ - ١٠٢.

[٣]- م، ن، ج ١، صص ٩٦ - ٩٧.

والأبصار أو الرؤية ليس أبصار العيون: «إن أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون، فهو لا تدركه الأوهام، وهو يدرك الأوهام...»<sup>[١]</sup>.

- التشبيه والتنزيه: مبحث التشبيه والتنزيه هو أحد المباحث الكلامية التي كثر النقاش فيها، واستحوذ على اهتمام الكثير من الفرق والمتكلمين. عمل المشبهة والمجسمة على تشبيه الله تعالى بصفات المخلوقات، ومن جملتها أنه صاحب جسم كالإنسان. ويبن آخرون أن الله تعالى يجلس على العرش كما يجلس الإنسان<sup>[٢]</sup>. وفي المقابل، عمل أصحاب التنزيه على نفي الصفات عن الله تعالى. وقد عارض الإمام عليه السلام التشبيه والتنزيه، ونفى التجسيم والتعطيل<sup>[٣]</sup>، ففي الحديث: «حدّثنا أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن داود بن القاسم، قال: سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام، يقول: من شبه الله بخلقه فهو مشرك، ومن وصفه بالمكان فهو كافر، ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كاذب، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل: ١٠٥)»<sup>[٤]</sup>.

كما رفض الإمام التنزيه المحض لأنه يوجب التعطيل، ولأن إثبات الصفات لا يوجب الحدود لله تعالى<sup>[٥]</sup>. ومع ذلك، أكد الإمام أن صفات الله عين ذاته، ومن المحال أن تكون غير ذلك، وأنه تعالى عالم قادر حي قديم سميع بصير على الدوام. ورفض فكر من يقول إنه تعالى عالم بعلم، قادر بقدره، حي بحياة، ... معتبراً أن القائل بهذا القول أشرك مع الله غيره<sup>[٦]</sup>.

[١]- القرشي، باقر شريف، حياة الامام الرضا عليه السلام، م.س، ص ٢٧٤.

[٢]- البغدادي، عبد القاهر، أصول الإيمان، ص ٢٦٥.

[٣]- المفيد، محمّد بن محمّد بن نعمان، الإرشاد، ص ٢٥٣.

[٤]- الصدوق، التوحيد، م.س، ص ٦٩.

[٥]- الصدوق، عيون اخبار الرضا، م.س، ج ١، ص ١٥١.

[٦]- الصدوق، التوحيد، م.س، ص ١٤٠.

يوجد رواية غاية في الأهمية يُبين فيها الإمام أصناف الناس في المسألة: «... جعلت فداك أمرني بعض مواليك أن أسألك عن مسألة قال: ومن هو؟ قلت: الحسن بن سهل قال: في أي شيء المسألة؟ قال: قلت في التوحيد، قال: وأي شيء من التوحيد؟ قال: يسألك عن الله جسم أو لا جسم؟ قال: فقال لي: إن للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: مذهب إثبات بتشبيهه، ومذهب النفي، ومذهب إثبات بلا تشبيهه. فمذهب الإثبات بتشبيهه لا يجوز، ومذهب النفي لا يجوز، والطريق في المذهب الثالث إثبات بلا تشبيهه»<sup>[١]</sup>.

ونفى الإمام عليه السلام جميع ألوان التشبه، والصور عن الله تعالى، وذلك في حديث جرى بينه وبين الفتح بن يزيد الجرجاني، وهو في طريقه إلى خراسان، فقد قال الإمام عليه السلام له: «يا فتح من أَرْضِي الخالق لم يبالِ بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق فقمين<sup>[٢]</sup> أن يسلط عليه سخط المخلوقين، وأن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأتى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطوات أن تحده، والأبصار عن الإحاطة به. جلَّ عَمَّا وصفه الواصفون، وتعالى عَمَّا ينعتة الناعتون، نأى في قربه، وقرب في نأيه فهو في بعده قريب، وفي قربه بعيد، كيف الكيف، فلا يقال له: كيف، وأين الأين فلا يقال له أين، إذ هو مبدع الكيفية، والأينونية. يا فتح كل جسم مغذى بغذاء إلا الخالق الرازق، فإنه جسم الأجسام، وهو ليس بجسم، ولا صورة، لم يتجزأ، ولم يتناه ولم يتزايد، ولم يتناقص، مبراً من ذات ما ركب في ذات من جسمه وهو اللطيف الخبير، السميع البصير، الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، منشئ الأشياء، ومجسم الأجسام، ومصوّر الصور، لو كان كما يقول المشبهة لم يُعرف الخالق من المخلوق، ولا الرازق من المرزوق، ولا المنشئ من المنشأ لكنه المنشئ، فرق بين جسمه وصوره، وشيئه وبينه إذ كان يشبهه شيء»<sup>[٣]</sup>.

[١]- الصدوق، التوحيد، م، ص، ص ١٠١.

[٢]- أي جدير

[٣]- م، ن، صص ٦٠ - ٦٥.

وحول قدرة الله تعالى: سأل محمد بن عرفة الإمام عليه السلام: «خلق الله الأشياء بالقدرة أم بغير القدرة؟ فأجابه الإمام: «لا يجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدرة لأنك إذا قلت: خلق الأشياء بالقدرة فكأنك جعلت القدرة شيئاً غيره، وجعلتها آلة لها خلق الأشياء، وهذا شرك، وإذا قلت: خلق الأشياء بقدرة، فإنما تصفه أنه جعلها باقتدار عليها وقدرة ولكن ليس هو بضعيف، ولا عاجز، ولا يحتاج إلى غيره»<sup>[1]</sup>.

ومعنى كلام الإمام عليه السلام أن الله تعالى قادر، وهذه الصفة عين ذاته، ولم يخلق الأشياء بقدرة خارجة عن ذاته، فإن جميع صفاته الكريمة عين ذاته<sup>[2]</sup>.

وحول قدم الخالق العظيم وصفاته، يقول الإمام عليه السلام: «اعلم علمك الله الخير أن الله تبارك وتعالى قديم والقدم صفته التي دلت العاقل على أنه لا شيء قبله ولا شيء معه في ديموميته، فقد بان لنا بإقرار العامة معجزة الصفة أنه لا شيء قبل الله ولا شيء مع الله في بقاءه، وبطل قول من زعم أنه كان قبله أو كان معه شيء؛ وذلك أنه لو كان معه شيء في بقاءه لم يجوز أن يكون خالقاً له لأنه لم يزل معه، فكيف يكون خالقاً لمن لم يزل معه، ولو كان قبله شيء كان الأول ذلك الشيء لا هذا، وكان الأول أولى بأن يكون خالقاً للأول»<sup>[3]</sup>.

وعندما سأله رجل عن تنزه الخالق عن المكان أجاب: «إن الله تبارك وتعالى أين الأين بلا أين، وكيف وكيف بلا كيف، وكان اعتماده على قدرته». إن الله تعالى هو الذي أوجد المكان والزمان فهما من مخلوقاته فكيف يتصف بهما؟<sup>[4]</sup>.

[1]- الصدوق، التوحيد، م.س، ص ١٣٥.

[2]- الصدوق، التوحيد، م.س، ص ١٣٠.

[3]- الكليني، الكافي، م.س، ج ١، ص ٩٦ - ٩٧.

[4]- م.ن، ج ١، صص ٩٦ - ٩٧.

## ٢. في النبوة:

النبوة من جملة المباحث الكلامية المهمة التي دار البحث فيها، وخاصة فيما يتعلق بعصمة النبي. وفي ذلك تعتقد المعتزلة بأن الكبيرة جائزة على النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة، بينما يعتقد بعضهم جواز صدور الصغيرة عنه بعد العصمة<sup>[١]</sup>. بينما بين الأشاعرة أن الكبيرة والصغيرة لا تصدر عن النبي صلى الله عليه وآله بعد البعثة، إلا أن الصغيرة غير العمدية قد تصدر عنه بعد البعثة<sup>[٢]</sup>.

وتعتقد الشيعة أن النبي صلى الله عليه وآله معصومٌ عن الصغيرة والكبيرة قبل البعثة وبعدها، سواء أكانت عن عمد أو سهو، وقد ساق الشيعة استدلالات عقلية ونقلية لتوضيح ما ذهبوا إليه، باعتبار المفاصد التي تترتب على ارتكاب الكبيرة أو الصغيرة قبل البعثة أو بعدها. وهذا ما أشارت إليه الروايات الواردة عن الإمام عليه السلام، حيث أشارت إلى صفات النبي صلى الله عليه وآله سواء أكان الكلام في النبوة العامة أم الخاصة.

جاء على لسان الإمام في حوار طويل دار بينه وبين المأمون<sup>[٣]</sup>: «عن علي بن محمد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليه السلام، فقال له المأمون: يا بن رسول الله أليس من قولك: أن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فما معنى قول الله عز وجل: «فعصى آدم ربه فغوى». فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى قال لآدم: أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة»، وأشار لهما إلى شجرة الحنطة «فتكونا من الظالمين»: ولم يقل لهما: لا تأكلا من غيرها، لما أن وسوس الشيطان إليهما وقال: «ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة»، وإنها ينهاكما أن تقربا غيرها، ولم ينهكما عن الأكل منها، «إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمها إنِّي لكم

[١]- السبحاني، جعفر، محاضرات في الإلهيات، ص ٤٠٩.

[٢]- عطارد، عزيز الله، مسند الإمام الرضا، م.س، ج ١، ص ٤٨.

[٣]- نقلنا الرواية فيما تقدّم ونعيد جزءاً منها لمناسبتها المقام.

لمن الناصحين». ولم يكن آدم وحواء شاهداً قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً، «فدلاًهما بغير فأكلاً منها» ثقة بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار، وإثماً كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلما اجتباها الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً، لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله عز وجل: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (طه: ١٢١-١٢٢). وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>[١]</sup>.

### ٣. في الإمامة:

انطلاقاً من الاختلاف بين أهل العامة وأهل البيت عليهم السلام في مفهوم الإمامة، باعتبار أن أهل البيت عليهم السلام كانوا يعالجون القضية من ناحية كونها أمراً إلهياً، فإن أهل السنة كانوا يتعاملون معها على أنها أمر دنيوي وانتخابي بالكامل<sup>[٢]</sup>. من هنا، كانت محاولات الإمام الرضا عليه السلام في تثبيت الموقع الإلهي الديني للإمامة، واستخدم في الدلالة عليها مفاهيم «الحجة»، و«الولاية» في مقابل مفهوم «الخلافة» الذي راجع عند الأطراف الأخرى<sup>[٣]</sup>. وقد أشار في العديد من رواياته وأحاديثه إلى خصائص وأوصاف الإمام<sup>[٤]</sup>.

أما كيف يمكن إثبات الإمامة؟ فيؤكد الإمام الرضا عليه السلام على معايير أربعة: النص، الدليل، العلم، واستجابة دعائه<sup>[٥]</sup>. وهذا يعني أن الإمامة ليست مسألة دنيوية ولا دور للناس في اختيار الإمام. يقول الإمام عليه السلام: «الإمام... مخصوص بالفضل كله من غير

[١]- عطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الرضا عليه السلام، م.س، ج٢، ص ١٢٥.

[٢]- ابن خلدون، عبد الرحمان، التاريخ، ج١، ص ٢٤٦.

[٣]- الكليني، الكافي، م.س، ج١، ص ١٩٨.

[٤]- راجع: الصدوق، محمد بن علي ابن بابويه، من لا يحضره الفقيه، ج٤، صص ٤١٨-٤١٩.

[٥]- الصدوق، عيون أخبار الرضا، م.س، ج٢، ص ٢٠٠.

طَلَبٍ مِنْهُ لَهُ وَلَا اِكْتِسَابٍ بَلِ اخْتِصَاصٌ مِنَ الْمُفْضِلِ الْوَهَّابِ»<sup>[١]</sup>. كما أكد الإمام على قضية أن الأرض لا تخلو من حجة إلهية<sup>[٢]</sup>. وأضاف إلى مفهوم الحجّة الإلهية اعتباره الإمامة هي الولاية، ففي رواية عنه عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَرَّطَ اللَّهُ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: ٣٠)، قال: «هو لا إله إلا الله محمد رسول الله عليّ أمير المؤمنين وليّ الله إلى ههنا التوحيد»<sup>[٣]</sup>.

عارض الإمام بشدّة فكرة أن اختيار خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله تجري بعد وفاته، وأكد أن الله تعالى لم يتوقّف الرسول صلى الله عليه وآله إلا بعد أن اكتمل الدين، فالإمامة عنده كمال الدين وتمامه، لذلك نصّب رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام خليفة له في حياته<sup>[٤]</sup>.

وتحدّث الإمام الرضا عليه السلام حول ضرورة وجود الإمام والحجّة على الأرض، يقول الراوي: «سمعت الرضا عليه السلام يقول: إنّ أبا عبد الله عليه السلام قال: إنّ الحجّة لا تقوم لله عزّ وجلّ على خلقه إلا بإمام...»<sup>[٥]</sup>.

وقد بيّن الإمام موقفه من مسألة عصمة الإمام، التي دار حولها الجدل بين الفرق الكلامية، فأوضح في حديث طويل أوصافه بما يشير إلى عصمته: «الإمام محلّ حلال الله ويجزّم حرام الله ويقيم حدود الله... البدر المنير... المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب... واحد دهره... ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كلّ من غير طلب منه له ولا اكتساب...»<sup>[٦]</sup>.

[١]- المفيد، محمد بن إبراهيم النعماني، الغيبة، ص ٢٢٠.

[٢]- الصدوق، عيون أخبار الرضا، م.س، ج ٢، ص ١٢٢.

[٣]- القمّي، علي بن إبراهيم: التفسير، ج ٢، ص ١٥٥.

[٤]- الكليني، الكافي، م.س، ج ١، ص ١٩٩.

[٥]- الكليني، الكافي، م.س، ج ١، ص ١٧٧.

[٦]- م.ن، ج ١، ص ١٩٨.

#### ٤. قضايا كلامية تناولتها المناظرات:

انطلاقاً من كثرة القضايا الكلامية الإشكالية التي طرحت والتي كان للإمام موقفٌ منها، نورد نماذج منها فيما يلي:

- الجبر والاختيار: صحيحٌ أنّ قضية الجبر والاختيار طرحت كقضية كلامية منذ القرن الهجريّ الأوّل، إلّا أنّها تبلورت كنظرية في القرن الثاني على أيدي جهم بن صفوان في خصوص الجبر، وعلى أيدي واصل بن عطاء على مستوى الاختيار. عارض الإمام فكرة الجبر لما تحمل من تبعاتٍ كلامية مرفوضة، من جملتها أنّ الله تعالى أجبر عباده على المعصية. ففي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام في خصوص الجبرية، يقول: «حدّثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال: من زعم أنّ الله تعالى يجبر عباده على المعاصي أو يكلفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته ولا تقبلوا شهادته ولا تصلّوا وراءه ولا تعطوه من الزكاة شيئاً»<sup>[١]</sup>. كما عارض فكرة الاختيار الكامل، بل اختار المذهب الحقّ فيما نقل عن الإمام الصادق عليه السلام بالأمر بين الأمرين. جاء في رواية عن الإمام عليه السلام: «... يا بن رسول الله، روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: إنّ الله لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، فما معناه؟ قال: من زعم أنّ الله يفعل أفعالنا ثمّ يعذبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم أنّ الله عز وجل فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك، فقلت له: يا بن رسول الله، فما أمر بين أمرين؟ فقال: وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نهوا عنه، فقلت له: فهل لله عزّ وجلّ مشيئة وإرادة في ذلك؟ فقال: فأما الطاعات فإرادة الله ومشيتته فيها الأمر بها والرضى لها والمعاونة عليها وإرادته ومشيتته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها»<sup>[٢]</sup>.

[١]- الصدوق، عيون أخبار الرضا، م.س، ج١، ص ١١٣.

[٢]- الصدوق، عيون أخبار الرضا، م.س، ج١، ص ١١٤.

- الإيمان والكفر: راج بحث الإيمان والكفر في القرون الأولى، وتضاربت الآراء حوله، بالأخص فيما يتعلق بإيمان مرتكب الكبيرة. ففي حين روج الخوارج لفكرة كفره، أصرت المرجئة على ثبات إيمانه؛ باعتبار أن الإيمان الحقيقي لا ينتقض بالعمل.

رفض الإمام كلا الفكرتين، وأسس لفكرة الوسطية أي أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن، بل هو فاسق، وهو ما يعبر عنه بالمنزلة بين المنزلتين. وقد جاءت الكثير من الروايات عن الإمام والتي تبين الإيمان ودرجاته مما يفهم منها أن نظريتي الخوارج والمرجئة باطلتان.

جاء في إحدى الروايات: «... قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان»<sup>[١]</sup>. وفيما يدل على النظرية الوسطية عند الإمام عليه السلام، قال: «إن الإسلام غير الإيمان، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن»<sup>[٢]</sup>.

- قدم القرآن أو خلقه: تُعتبر مسألة قدم القرآن الكريم أو خلقه من جملة المباحث الكلامية التي طرحت بقوة في زمان الإمام الرضا عليه السلام، وقد وقفت الجهمية والمعتزلة موقف المؤيد لخلق القرآن، باعتبار أن القرآن من جنس الكلام، وأن كل ما سوى الله مخلوق، فالقرآن من وجهة نظرهم مخلوق أيضاً<sup>[٣]</sup>. في المقابل، أصر أصحاب الحديث على عدم مخلوقية القرآن<sup>[٤]</sup>. وكان المأمون يؤيد نظرية خلق القرآن.

يظهر من الروايات المنقولة عن الإمام عليه السلام أنه كان يحذر أصحابه من طرح هكذا مسائل خلافية، وكان جوابه للريان عند سؤاله عن المسألة أنه «كلام الله»، وأن الضلال فيمن اعتقد غير ذلك. وقد أجاب بأنه: «ليس بخالق ولا مخلوق»<sup>[٥]</sup>.

[١]- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الخصال، ج ١، ص ١٧٨.

[٢]- الصدوق، عيون اخبار الرضا، م.س، ج ٢، ص ١٢٥.

[٣]- القاضي عبد الجبار، المغني، ج ٧، ص ٢٠٨.

[٤]- ابن قتيبة، عبدالله، تأويل مختلف الحديث، ص ٢٢.

[٥]- الصدوق، الامالي، م.س، ص ٢٢٣.

قبل الختام، فإن من جملة الأمور التي تستحقّ التوقّف والإشارة إليها، ما يتعلّق بحديث ونصّ الإمام الرضا عليه السلام وتأكيده على قضيّة الإمام المهديّ عليه السلام؛ لذلك ولأهمّيّتها أفردنا لها الجزء الأخير من البحث.

### ٥. بشارة الإمام الرضا عليه السلام بالإمام المهديّ عليه السلام

شكّلت العقيدة المهدويّة والإيمان بغيبة الإمام، ثابتة أكّد عليها الأئمة جميعاً، ولكن ما نلاحظه باستقراء تاريخ الأئمة الأطهار، أنّ هذا التنبيه للمسألة وبيان تفاصيلها يتعمّق في عصور أئمة المرحلة الأخيرة، كالإمام الرضا عليه السلام والجواد عليه السلام والهادي عليه السلام والعسكريّ عليه السلام.

وفي روايات الإمام الرضا نجد الإيضاحات الآتية حول المسألة:

أولاً: إنّ الإمام الرضا عليه السلام تحدّث بوضوح عن خروج القائم، وهو أمرٌ حتميٌّ، وأنّه يتنسب لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أشار الإمام إلى الصلة النسيبيّة التي تربط الإمام المهديّ عليه السلام بكافة الأئمة من قبله وصولاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثانياً: بيّن الإمام الرضا عليه السلام جوانب من المهمة الإلهيّة للإمام المهديّ عليه السلام، فهو الذي يُطهّر الأرض من الجور والظلم وبه تشرق بنور العدل والقسط.

ثالثاً: عبّر الإمام الرضا عليه السلام عن الإمام المهديّ عليه السلام بأنّه حجّة الله، مع ما يحمله هذا المصطلح من دلالات تُشير إلى استمرار دور النبوة والإمامة به، واكتمال العلاقة بين بداية الرسالة ومنتهاها، فهو الذي تكتمل به مسيرة الهداية الإلهيّة.

و الروايات الواردة عن الإمام بهذا الشأن كثيرة، نكتفي بالإشارة إلى بعضها:

... عن الحسين بن خالد قال: قال عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: «لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقية له، إنّ أكرمكم عند الله أعلمكم بالتقية، فقيل له: يا ابن رسول

الله، إلى متى؟ قال: إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم خروج قائمتنا أهل البيت، فمن ترك التقيّة قبل خروج قائمتنا فليس منّا. فقيل له: يا ابن رسول الله، ومن القائم منكم أهل البيت؟ قال: الرابع من ولدي ابن سيّدة الإمام؛ يطهّر الله به الأرض من كلّ جور، ويقدّسها من كلّ ظلم، الذي يشكُّ الناس في ولادته، وهو صاحب الغيبة قبل خروجه. فإذا خرج أشرق الأرض بنوره، ووضع ميزان العدل بين الناس فلا يظلم أحدٌ أحدًا، وهو الذي تطوى له الأرض، ولا يكون له ظلٌّ.

- وهو الذي ينادي مناد من السماء يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء إليه يقول: أَلَا إِنَّ حِجَّةَ اللَّهِ قَدْ ظَهَرَ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ فَاتَّبِعُوهُ. فَإِنَّ الْحَقَّ مَعَهُ فِيهِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ دُشِيَ نُتَزَّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (الشعراء: ٤)»<sup>[١]</sup>.

... عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت دعبل بن عليّ الخزاعيّ يقول:  
أنشدت مولاي الرضا عليّ بن موسى عليها السلام قصيدتي التي أوّلتها:

مدارس آيات خلّت من تلاوة      ومنزل وحي مقفر العرصات  
فلما انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج      يقوم على اسم الله والبركات  
يميّز فينا كلّ حقٍّ وباطل      ويجزي على النعماء والنقبات

بكى الرضا عليه السلام بكاء شديداً، ثمّ رفع رأسه إليّ فقال لي: «يا خزاعيّ نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين. فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم؟

فقلت: لا يا مولاي، إلاّ أنّي سمعت بخروج إمام منكم يطهّر الأرض من الفساد ويملاها عدلاً.

فقال: يا دعبل، الإمام بعدي محمّد ابني، وبعد محمّد ابنه عليّ، وبعد عليّ ابنه الحسن،

[١]- الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٣٧١، ب ٣٥، ح ٥.

وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره. لو لم يبق من الدنيا إلاّ يومٌ واحدٌ، لطوّل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتّى يخرج فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»<sup>[١]</sup>.

عن الريان بن الصلت، قال: قلت للرضاء عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟

فقال: «أنا صاحب هذا الأمر، ولكنّي لست بالذي أملاًها عدلاً كما ملئت جوراً، وكيف أكون ذلك على ما ترى من ضعف بدني. وإنّ القائم هو الذي إذا خرج كان في سنّ الشيوخ ومنظر الشبان. قوياً في بدنه حتى لو مدّ يده إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها، ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها. يكون معه عصا موسى، وخاتم سليمان عليه السلام. ذاك الرابع من ولدي؛ يعيّبه الله في ستره ما شاء، ثمّ يظهره فيملاً [به] الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»<sup>[٢]</sup>.

[١]- الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، م.س، ص ٣٧٢، ب ٣٥، ح ٦.

[٢]- م.ن، ص ٣٧٦، ب ٣٥، ح ٦.

## الخاتمة

تُبَيَّن أجواء عصر الإمام الرضا عليه السلام مقدار الاضطراب الفكري الذي عاشه العالم الإسلامي، فمن جهة، كان العباسيون يسعون لإظهار تفوق الفرق الكلامية المعاندة لطريقة أهل البيت عليهم السلام. ومن جهة أخرى، اشتدّ البحث والتناظر والجدال في أجواء لم يشهدا هذا العالم من قبل. ومع هذا الحال، أثبت الإمام عليه السلام حضوره، فتمكّن من تثبيت العقائد الحقّة، وواجه الفرق في مدّعاتها داخضًا وشارحًا ومبيّنًا، وأرسى منهجًا جديدًا في الكلام يقوم على الجمع بين النصّ والعقل، عدا عن طريقته في تربية طلبة أخذوا على عاتقهم نشر فكر أهل البيت عليهم السلام وتركوا تأثيرهم على مستوى مستقبل الكلام الإسلامي في العصور اللاحقة.

## قائمة المصادر والمراجع:

١. ابن الجوزي، عبد الرحمان بن علي، تلبيس إبليس، تحقيق: أحمد بن عثمان المزيدي، دار الوطن للنشر، ١٣٦٨.
٢. ابن خلدون، عبد الرحمان، التاريخ، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨ ق.
٣. ابن قتيبة، عبدالله، تأويل مختلف الحديث، بيروت، دار الكتب العلميّة.
٤. الأبطحي، السيّد محمد علي، تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشيّ، ط ١، قم، مطبعة سيّد الشهداء، ١٤١٢ هـ.
٥. البحراي، السيد هاشم، غاية المرام، دون تا.
٦. البغدادي، عبد القاهر، أصول الإيمان، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٣.
٧. التستري، الشيخ محمد تقي، قاموس الرجال، ط ١، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤٢٢ هـ.
٨. الجرجاني، الشريف، التعريفات، انتشارات ناصر خسرو، طهران، ايران، دون تا.
٩. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن بن علي، الاثنا عشرية، تعليق وإشراف: السيّد مهدي اللازوردي الحسيني والشيخ محمد درودي، دار الكتب العلميّة، قم.
١٠. الحويزيري، عبد بن جمعة، نور الثقلين، قم، ١٣٨٣ ق.
١١. الخوئي، السيّد أبو القاسم، معجم رجال الحديث، إصدار مكتبة أهل البيت الإلكترونيّة، ١٩٩٢.
١٢. السبحاني، جعفر، محاضرات في الإلهيات، انتشارات جامعة المدرّسين، قم، ١٤١٥ ق.
١٣. السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، مطابع معتوق إخوان، لبنان، توزيع دار التعاون.
١٤. الشاهروودي، الشيخ علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: الشيخ

- حسن بن علي النمازي، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم، ١٤١٩ق.
١٥. الشهرستاني، عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة بيروت ١٤١٠ق، ج ١.
١٦. الشيرازي، ناصر مكارم، مناظرات تاريخيّي امام علي بن موسى الرضا عليه السلام بايروان مذاهب ومكاتب مختلف، [مناظرات الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام التاريخيّة مع أتباع المذاهب والأديان المختلفة]، مجموعه آثار دومين كنكره جهاني حضرت رضاء عليه السلام، ١٣٦٦هـ.ش
١٧. الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ، الأمالي، مؤسّسة البعثة، ط ١، قم، ١٤١٧هـ.
١٨. الصدوق، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ، التوحيد، قم، انتشارات جامعة المدرّسين، ١٣٥٧هـ.ش.
١٩. الصدوق، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ، الخصال، قم، انتشارات جامعة المدرّسين.
٢٠. الصدوق، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ، عيون أخبار الرضا، انتشارات جهان، ١٣٧٨ق.
٢١. الصدوق، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح: علي أكبر الغفاري، لا.ط، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم، ١٤٠٥ق.
٢٢. الصدوق، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ، من لا يحضره الفقيه، قم، انتشارات جامعة المدرّسين، ١٤١٣ق.
٢٣. الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، لا.ط، النجف، دار النعمان للطباعة والنشر، ١٩٦٦.

٢٤. القاضي، عبد الجبار، المغني، القاهرة، الدار المصرية، ١٩٦٥.
٢٥. القرشي، باقر شريف، حياة الامام الرضا عليه السلام، انتشارات سعيد بن جبير، قم، مطبعة مهر، ١٣٧٢ ش.
٢٦. القمي، علي بن إبراهيم، التفسير، قم، دار الكتاب، ١٤٠٤ ق.
٢٧. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، طهران، دار الكتب الاسلامية، ١٣٦٥ هـ. ش.
٢٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط ٢، بيروت، لبنان، مؤسسه الوفاء، ١٩٨٣.
٢٩. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والإشراف، دار صعب، لبنان، مكتبة أهل البيت الإلكترونية، الاصدار الثاني، دون تا.
٣٠. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، قم، انتشارات كنكره شيخ مفيد، ١٤١٣ ق.
٣١. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الغيبة، طهران، مكتبة الصدوق، ١٣٩٧ ق.
٣٢. المنظمة العالمية للحوزات، تاريخ الإسلام، ط ١، قم، ٢٠١١، دار الأمير للطباعة والنشر والتوزيع لبنان.
٣٣. د. نهله غروي نائيتي و عبدالله مير احمدى سلو كروئي، گونه هاى مقابله با فرقه هاى كج انديش در سيره امام رضاء عليه السلام، فصلية: شيعه شناسى، العام السادس، العدد ٢٣.
٣٤. صحيفة الإمام الرضا، جمع الشيخ جواد القيومي، مؤسسه النشر التابعة لجماعة المدرسين، ط ١، قم، ١٣٧٣ ش.
٣٥. عطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الرضا عليه السلام، نشر الحضرة الرضوية، ١٤٠٦ ق.
٣٦. فوزي، محمد، رجال حول أهل البيت، دار الصفوة، ط ١، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٣٧. مرتضى، السيد جعفر، الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، ط ٢، المركز الإسلامي للدراسات، ٢٠٠٨.

# أدوار الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام في التأسيس الكلامي

د. عبد الكريم الشبلي (\*)

## مقدمة

انفتح الإمام الجواد عليه السلام على الإمامة مبكراً في سنّ السابعة أو الثامنة، وهي ظاهرة تحدث أول مرة في تاريخ أهل البيت عليهم السلام، ومن خلالها يظهر ارتباط الإمامة بحكمة الله واصطفائه لأوليائه وفقاً لأهليّتهم لهذا المقام الرفيع، وليس بعزیز على الله عزّ وجلّ أن يؤهّل من عباده من يشاء لحمل أعباء النبوة أو الإمامة. ظهر على الإمام الجواد عليه السلام في عمر الصبا النبوغ والتميّز، ومن الكرامات ما أبهر معاصريه من المتكلمة والفقهاء، ورأى العلماء أنّه يصدق عليه ما صدق على النبيّ «يحيى» عليه السلام: قال تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم: ١٢) [٢]، وقال تعالى ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم: ٢٩-٣٠) [٣].

تحمل الإمام الجواد مسؤولية الإمامة مبكراً بعد وفاة أبيه الإمام عليّ الرضا عليه السلام رغم صغر سنّه، وقد طرأت على علم الكلام خلال إمامته مفاهيم جديدة نتعرّض لها بالتفصيل في محطّات حياته وإمامته القصيرة. فطرحت إشكاليّة إمامة الصغير أو الإمامة المبكرة وتسلسل الإمامة في الأبناء، وغيبية الإمام، وبالتالي مسألة المهديّة وعلم الإمام

(\*)- أستاذ التاريخ في الجامعة التونسية.

[٢]. الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ج ١، ص ٣٨٢.

[٣]. العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج ١، ص ١٧٤. بالنسبة لمناقشة عمر الإمام محمد الجواد حين تولّيه الإمامة في حوالي الثامنة، انظر: الأشعري، علي بن اسماعيل، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١٠٢؛ التوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة، ص ٧٧؛ الكليني، أصول الكافي، م، ج ١، ص ٢٠٣.

والمعجزة والكرامة.. وانشغل فترة إمامته في التصدي للعديد من الشبهات العقائدية التي تسربت وبيان المسائل المتعلقة خاصة بالتوحيد والقضاء والقدر والزهد.. من خلال مناظرة المخالفين ومحاججتهم.

وردت نصوص جمّة تخصّ إمامة تاسع أئمة أهل البيت (عليه السلام) ووصايته، وروايات عدّة تعبر عن مقامه عند الله عزّ وجلّ، وتؤكد التراجم التي عرّفت به وأشارت إلى نباهته الاستثنائية، ورباطة جأشه، وفصاحته أمام عدوّه قبل أوليائه، بحيث اعتبر إماماً معجزة، انفتحت إمامته على كلّ الواقع وهو بعد في سنّ الصبا، وحيّر العقول بعلمه الوافر وإجاباته عن أعقد المسائل، أظهر قدرته على تبيان حكم الله في شريعته، ما سئل عن مسألة إلاّ وأجاب عنها محتجاً بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله) وما دخل مناظرة إلاّ أفحم خصومه مهما علا شأنهم من شيوخ القوم وعلماهم..

قال فيه سبط ابن الجوزي: «كان على منهاج أبيه في العلم والتقوى والجود». وقال الذهبي: «كان محمد يلقب بالجواد وبالقانع والمرضى، وكان من سروات آل بيت النبي (صلى الله عليه وآله)، وكان أحد الموصوفين بالسخاء فلذلك لقب بالجواد»<sup>[١]</sup>.. وقال خير الدين الزركلي: «كان رفيع القدر كأسلافه ذكياً طليق اللسان قويّ البديهة.. وظهر على يديه من كرامات تناقلتها الرواة بطرق متعدّدة ومعتبرة». وقال الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة: «أمّا مناقب أبي جعفر الجواد (عليه السلام) فما اتّسعت حلبات مجالها، ولا امتدّت أوقات آجالها بل قضت عليه الأقدار الإلهية بقلة بقائه في الدنيا بحكمها وأسجالها، فقلّ في الدنيا مقامه، وعجل القدوم عليه.. لم تطل بها مدّته ولا امتدّت فيها أيامه». وقال عليّ بن عيسى الأربلي: «الجواد.. فاق الناس بطهارة العنصر، وزكاء الميلاد، وافترع قلّة العلاء فما قاربه أحد ولا كاد مجده، عالي المراتب ومكانته الرفيعة تسمو على الكواكب». وقال الشيخ محمود بن وهيب: «محمد الجواد هو الوارث لأبيه علماً وفضلاً وأجلّ إخوته قدرًا وكماً»<sup>[٢]</sup>. تجاوزت مناقبه الآفاق فلن نتوقّف طويلاً عند سيرة الإمام (عليه السلام) إلاّ

[١]- جمال الدين أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٢٣١؛ ابن الصباغ الصفاقسي المالكي (ت ٨٥٥هـ)، الفصول المهمة، ص ٢٥؛ الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ص ٢٠٩.

[٢]. الشافعي، كمال الدين محمد بن طلحة (ت ٦٥٢هـ)، مطالب السؤل في مناقب آل الرسول، ج ٢، ص ٧٤؛ كشف الغمة، ج ٣، ص ١٦٠؛ جوهره الكلام في مدح السادة الأعلام، ص ١٤٩.

بمقدار ارتباطها بإشكالية البحث وقضيته المركزية، بل سنحاول أساساً متابعة المسائل العقديّة المثارة في حياته وأدوار الإمام على صعيد علم الكلام، فقد أدرك ذروة نفوذ المعتزلة والتأثير على القرار العبّاسيّ وفرض مقولاتهم، وخاصّة القول بخلق القرآن في خلافة المأمون وأوائل خلافة المعتصم.

وبعد البحث والتحقيق، وجدنا أن الإحاطة من بأدوار الإمام الجواد في التأسيسات الكلامية يتوقف على تحليل القضايا الآتية:

- تأخر ولادته الشريفة

- قضية الإمامة المبكرة وأبعادها المختلفة

- انحراف العبّاسيين وخاصّة عقائدياً، وسعي المأمون لاصطناع الإمام الجواد وصهره في أروقة الحكم

- منذ سنّ مبكرة (السابعة أو الثامنة) تصدّى للمشكّكين في مناظرات عديدة

- تراثه العقديّ الذي يعكس كثرة الشبهات وأهميّة النشاط الكلامي في عصره

### أولاً: تأخر ولادة الإمام الجواد عليه السلام

الإمام محمّد الجواد تاسع أئمة أهل البيت عليه السلام ابن الإمام عليّ الرضا ابن الإمام موسى بن جعفر ابن الإمام محمّد الباقر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قيل لو قرأت هذه السلسلة الذهبية على الصمّ البكم لبرؤوا بإذن الله عزّ وجلّ<sup>[١]</sup>، اختلف الرواة حول اسم والدته، قيل كانت تسمى درّة أو سبيكة أو سكن أو سكينه، وقيل اسمها ريحانة<sup>[٢]</sup>.. النوبية أو المريسية، نسبة إلى مريسة في صعيد مصر من بلاد النوبة. وقيل إنّها من قبيلة مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله<sup>[٣]</sup>، سمّاها الإمام الرضا عليه السلام «الخيزران»، كانت

[١]- نسب القول للمأمون العبّاسيّ وغيره.. ونسب لأحمد بن حنبل: «لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرأ من جنّته». المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ١٢، ص ١٠٣.

[٢]- الكليني، أصول الكافي، م، س، ج ١، ص ٣٢٣. ولا تخرج الأسماء المذكورة عما كان يطلق على الإمام عادة.. راجع مقال «عبد»، في دائرة المعارف الإسلامية.

[٣]- أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وآله في معرض الإشارة إلى حفيده الإمام الجواد، فقال: «بأي ابن خيرة الإمام النوبية الطيبة». الكليني،

السيدة أم ولد أي أمة أعتقها وتزوجها، وقد دأب أئمة أهل البيت عليهم السلام على اقتناء الموالي بغرض إعدادهم وتحريرهم لإدماجهم في المجتمع الإسلامي، وتزوجوا بالإماء للتصدي إلى التمييز العنصري واستفحال التفرقة بين العرب والموالي..

تأخرت ولادة الإمام الجواد عليه السلام، وألمت بالإمام الرضا عليه السلام ظرفية عصبية في أخريات عمره الشريف، وقد تجاوز الخامسة والأربعين. لهذا أشاع المتربصون الشبهات والفتن، وخاصة الواقفة والمشككون في إمامته لعدم إنجابه الولد. فكان الإمام الرضا عليه السلام يرد عليهم بكل ثقة واطمئنان: «والله لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ولداً ذكراً يفرق به بين الحق والباطل». ولعل أبرزهم موقف ابن قياما الواسطي؛ وكان واقفياً، فكتب إلى الإمام الرضا عليه السلام يُشكك عليه: كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟ فأجابه عليه السلام: «وما علمك أنه لا يكون لي ولد؟! والله لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ذكراً يفرق بين الحق والباطل»<sup>[١]</sup>. ويتعنت هذا الواقفي فدخل على الإمام الرضا عليه السلام يجادله: «أَيكون إماماً؟ قال الإمام: لا إلا أن يكون أحدهما صامتاً. فقال له: هو ذا أنت ليس لك صامت! فقال الرضا عليه السلام: «والله ليجعلن الله مني ما يُثبت به الحق وأهله، ويمحق به الباطل وأهله»<sup>[٢]</sup>.

لا تخفى علينا الدسائس العباسية في التنقيب والتشويش على إمامة الرضا عليه السلام واختلاق المواقف للنيل والظعن فيها.. خاصة وأنه من المسلم لدى العامة أن من علامات الإمام المعصوم أن يخلفه إمام من صلبه، إذ لا تكون الإمامة في أخ أو عم أو غيره.. وعندما سُئل الإمام الرضا عليه السلام أتكون الإمامة في عم أو خال؟ فقال: لا، فقيل: ففي أخ؟ قال: لا، قيل: ففي من؟ قال: في ولدي، وهو يومئذ لا ولد له»<sup>[٣]</sup>.

أصول الكافي، م.س، ج ١، ص ٣٢٣؛ كما روي أنّ الإمام الكاظم عليه السلام طلب من يزيد بن سليط أن يبلغها منه السلام: «.. فإذا مررت بالموضع ولقيته، وستلقاه فبشره أنه سيولد له غلام أمين مأمون مبارك، وسيعلمك أنك لقيتني فأخبره عند ذلك أنّ الجارية التي يكون منها هذا الغلام جارية من أهل مارية القطبية جارية رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن قدرت أن تبلغها مني السلام فافعل ذلك». كشف الغمّة، ج ٢ ص ٣٤٣؛ المجلسي، البحار، م.س، ج ٥٠، ص ١١.

[١]- الكليّني، أصول الكافي، م.س، ج ١، ص ٣٢٠. المفيد، محمد بن محمد (١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ٢، ص ٢٧٧؛ المسعودي، علي بن الحسن، إثبات الوصية، ص ١٨٣.

[٢]- لم يكن للإمام الرضا وقتذاك ولد وولد له أبو جعفر عليه السلام بعد سنة. الكليّني، أصول الكافي، م.س، ج ١، ص ٣٢١؛ المفيد، الإرشاد، م.س، ج ٢، ص ٢٧٧-٢٧٨.

[٣]- الكليّني، أصول الكافي، م.س، ج ١، ص ٢٨٦؛ الطبرسي، أحمد (القرن ٦هـ)، الاحتجاج، ج ١، ص ٤٣٧.

غمر الفرح الإمام الرضا عليه السلام بوليدته المبارك، قال المسعودي: لما ولد أبو جعفر قال أبو الحسن لأصحابه: «قد وُلِد لي شبيه موسى بن عمران فائق البحار، وشبيه عيسى بن مريم، قُدِّست أمٌ ولدته، فلقد خلقت طاهرة مطهّرة». وبشّر أصحابه بمولوده المبارك قائلاً: «إنّ الله قد وهب لي من يرثني، ويرث آل داود»<sup>[١]</sup>. وقال عليه السلام أيضاً: «هذا المولود الذي لم يولد أعظم بركة على شيعتنا منه»<sup>[٢]</sup>. وروى المسعودي عن عبد الرحمن بن محمّد عن كلثم بن عمران أنّه قال: قلت للرضا: أنت تحبّ الصبيان فادع الله أن يرزقك ولداً. فقال: «إنّما أرزق ولداً واحداً وهو يرثني». فلما ولد أبو جعفر كان طول ليلته يناغيه في مهده، فلما طال ذلك عدّة ليال، قلت: جُعلت فداك قد ولد للناس أولاداً قبل هذا فكلّ هذا تعودّه! فقال: وَيْحَكَ! ليس هذا عوذة إنّما أغرّه بالعلم غراً.<sup>[٣]</sup> أحاطه الإمام الرضا عليه السلام بالرعاية الأبويّة وبهالة من التعظيم والتبجيل وهو بعدُ طفل رضيع.. ووكل به عمّته السيّدة حكيمة بنت موسى بن جعفر عليه السلام التي شهدت ولادته، دعاها الرضا لمباشرة وضع الخيزران لأبي جعفر، ثمّ طلب منها أن تلزم مهده. فسمعت وشاهدت من أمر الصبيّ عجباً، ولما أخبرت الرضا قال لها: «يا حكيمة ما ترون من عجائبه أكثر»<sup>[٤]</sup>.

لم يختلف المؤرّخون في تاريخ ولادته، وأجمعوا على سنة ١٩٥ هجرية الموافقة لسنة ٨١١ ميلادية في المدينة المنورة، وذهبت أكثر الروايات أنّها كانت ١٧ رمضان التي نجدها توافق ليلة الجمعة المباركة في التقويم المعاصرة و١٦ يونيو/ حزيران<sup>[٥]</sup>. وفي رواية لابن

[١]- الكليني، الكافي، م.س، ج٦، ص٣٦٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج١٢، ص١٠٣-١٠٤.

[٢]- ابن حمزة الطوسي المشهدي، محمّد بن علي، الثاقب في المناقب، ج١، ص٥٠٤؛ ابن شهر آشوب (ت١١٩٢م)، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٣٩٤؛ ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة، م.س، ص٢٠٨-٢٠٩.

[٣]- رواه عن عبد الرحمن بن محمّد بن كلثم بن عمران. المسعودي، إثبات الوصية، م.س، ص٢١٠؛ بن عبد الوهاب، حسين (ق٥ه)، عيون المعجزات، ص١١٨؛ المجلسي، البحار، م.س، ج٥٠، ص١٥.

[٤]- ابن حمزة، الثاقب في المناقب، م.س، ج١، ص٥٠٤؛ أنوار الأبصار، ص١٤٦.

[٥]- توكّده رواية للطبري الإمامي عن الإمام الحسن العسكري: الطبري، محمّد بن جرير، دلائل الإمامة، ص٣٨٢؛ النوبختي، فرق الشيعة، م.س، ص٩١؛ الكليني، الكافي، م.س، ج١، ص٤٩٢؛ المفيد، الإرشاد، م.س، ص٣١٦؛ الطوسي، محمّد بن الحسن بن علي (ت٤٦٠هـ)، مصباح المتهجّد وسلاح المتعبد، ص٧٤١؛ الطبرسي، الفضل بن الحسن: أعلام الوري، ج٢، ص٩١-٩٢؛ روضة الواعظين، ص٢٤٣؛ كفاية الطالب، ص٣١١؛ الإربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمّة، ج٢، ص٣٤٤؛ المجلسي، البحار، م.س، ج٤٠، ص١٤؛ الشافعي، مطالب السؤل، م.س، ص٨٧؛ الطوسي، مصباح المتهجّد، م.س، ص٨٠٥؛ ابن شهر آشوب، المناقب، م.س، ج٤، ص٣٧٩.

عيّاش وردت في بعض الأدعية المروية عن الناحية المقدّسة قيل في العاشر من شهر رجب من السنة نفسها الموافق لـ ١١ إبريل نيسان، بناء على الإشارة إلى المولودين في رجب محمّد بن عليّ الثاني وابنه عليّ بن محمّد المنتجب عليهما السلام [١]. يكتى الإمام الجواد عليه السلام أبو جعفر الثاني للتمييز بينه وبين الإمام الباقر عليهما السلام. وألقابه تشي بمواهبه وتكشف معالم شخصيته العظيمة وعلو شأنه وارتفاع منزلته.. توقّف عندها العلماء وعدّدوا منها التقيّ والزكيّ والنجيب والمنتجب والجواد والمرضى، وقيل أيضًا: المختار والقانع والعالم وغيرها.. يدلّ نقش خاتمه «العزّة لله» على انقطاعه إلى الله تعالى وحده [٢]، كان زاهدًا متوجّهًا إلى الله تعالى في كافة شؤونه، جاعلاً من قوّة شبابه وسيلة لطاعة الله تعالى.

رأه الحسين المكاربي في بغداد، وكان محاطاً بالتعظيم والتكريم من قبل الأوساط الرسميّة والشعبية، فحدّثته نفسه أنّه لا يرجع إلى وطنه يثرب، وسوف يقيم في بغداد طالباً للراحة، فعرف الإمام ما في نفسه، فانعطف عليه وقال له: «يا حسين، خبز الشعير، وملح الجريش في حرم جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أحبّ إليّ ممّا تراني فيه. رغم صغر سنّ الإمام الجواد عليه السلام، وقصر عمره الذي ناهز الخمسة والعشرين سنة ونيف، فقد عاش الإمام مسؤوليّة الإمامة في توجيه النّاس وفي تعويدهم على التسامح والانفتاح حتّى مع الذين يختلفون معه في الرأي، وروى عنه جمعٌ من العلماء [٣].

### ثانياً: الإمام أبو جعفر محمّد الجواد عليه السلام وإمامة الصغير

تجسّدت ظاهرة إمامة الصغير لأوّل مرّة في تاريخ الأئمّة في الإمام الجواد عليه السلام الذي واجه محنة تكالب بعض أقاربه وأبناء عمومته من العلويّين، حسداً وبغضاً وجهلاً. وسط تأليب العباسيين والانتهازيين على البيت النبويّ عمومًا، وأثاروا جميعاً حسدهم وحقدهم الدفين على شخصيّة الإمام العظيمة. رغم الأدلّة الواردة في إمامته والنصّ الصريح عن الإمام الرضا بوصاية وإمامة ابنه أبي جعفر عليهما السلام، وقد ردّ على من استصغر

[١]- الطوسي، مصباح المتهدّد، م.س، ص ٨٠٥؛ الطبرسي، أعلام الوري، م.س، ج ٢، ص ٩١؛ ابن شهر آشوب، المناقب، م.س، ج ٤، ص ٣٧٩؛ الإريلي، كشف الغمّة، م.س، ج ٢، ص ٣٤٣-٣٤٥-٣٦٩؛ المجلسي، البحار، م.س، ج ٥٠، ص ٧.

[٢]- الطبري، محمّد بن جرير، دلائل الإمامة، ص ٢٠٩؛ مكارم الأخلاق، ص ٩٢.

[٣]- انظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ)، تاريخ بغداد؛ العياشي، تفسير العياشي، ج ١، ص ١٣١؛ الصدوق، محمّد عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ، عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٨.

سنّه: «إنَّ الله تبارك وتعالى بعث عيسى بن مريم رسولاً نبياً صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر»<sup>[١]</sup>.

أظهر الإمام الجواد عليه السلام منذ حداثة سنّه ثبات الإمامة وصلابتها، واتسم رغم صغر سنّه بالثقة اللامتناهية ورباطة الجأش وفصاحته أمام عدوّه قبل أوليائه. وبالنظر إلى الظرفيّة التاريخيّة عامّة، فإنّ ظاهرة إمامة الصغير في أبعادها السياسيّة والشرعيّة في حقيقتها تمهيد للمهديّ وللغيبية.

كان والده الرضا عليه السلام مبعداً عنه يتواصلان بالوسائل المتاحة<sup>[٢]</sup>. ولما توفّي كان الإمام الجواد عليه السلام في المدينة في كنف والدته السيّدة النويّية، وفي سن مبكّرة لا تزيد عن تسع أو عشر سنين، قام بأعباء الإمامة بوصية من أبيه، روى وصية الإمام الرضا لابنه الجواد عليه السلام عمُّ أبيه عليّ بن جعفر وصفوان بن يحيى ومعمّر بن خلّاد والحسين بن بشّار وابن أبي نصر البنزطيّ<sup>[٣]</sup>.

أثارت إمامة الجواد «الإمام المعجزة» قضية المعجزة والكرامة في الإسلام عامّة وضمن مدرسة أهل البيت خاصّة، ولدى المتصوّفة الذين أظهروا اعتقادهم بالخوارق وكرامات أوليائهم، بل منهم من جعلها حكراً على مشائخهم! انفتحت إمامة الجواد عليه السلام على هذا الواقع بتناقضاته وهو بعد في سنّ الصّبا، ورشحت مواقف المعارضة وحتىّ المعادية لإمامته، فحير العقول بعلمه الوافر وإجاباته عن أعقد المسائل، وقدرته على تبيان حكم الله في شريعته. وكان على وعي عميق بدقائق الأمور، وأظهر رجاحة العقل وشجاعة الموقف وجرأة الخطاب وصلابة الإرادة، ما لا يمكن صدوره عن صبيّ في طور الصّبا، بل كشف عن عقل مفكّر واسعٍ منفتح على الواقع، وملكة ربّانية فرضت احترامه على المأمون وعلى كلّ من ناظره.

[١]- الكلينيّ، أصول الكافي، م.س، ج١، صص ٣٢٠- ٣٢٣؛ الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج٣، صص ٣٢١-٣٢٨؛ المفيد، الإرشاد، م.س، ج٢، ص٢٧٩؛ الطبرسيّ، إعلام الوريّ، م.س، ص٣٤٠.

[٢]- تكرر ذكر المراسلات رغم صعوبتها والعيون المسأطة عليهما.. ما كان الرضا يذكر محمّداً إلا بكُنيتيه، يقول كتّاب لي أبو جعفر.. وكان آنذاك بالمدينة، وكانت كتّاب أبي جعفر تردّ إلى أبيه وهي في منتهى البلاغة والحسن. الحرّ العامليّ، إثبات الهداة، م.س؛ ابن الصباغ، الفصول المهمّة، م.س، ص٢٥٢.

[٣]- المفيد، الإرشاد، م.س، ج٢، ص٢٧٢؛ الطبرسيّ، إعلام الوريّ، م.س، ص٣٤٦.

وردت نصوص عديدة في إمامة أبي جعفر الجواد عليه السلام، رواها جماعة من أصحاب أبي الحسن الرضا عليه السلام<sup>[١]</sup>، ومع ذلك ظهرت ردود أفعال معترضة على إمامته من أقربائه ومن بعض الأصحاب المحيطين بهم لأغراض مختلفة، من أبرز هذه المواقف عمّ أبيه عليّ بن جعفر، كان له مجلس رواية وأصحاب في المدينة المنورة، أقام محمد بن الحسن بن عمّار عنده سنين يكتب عنه سماعه عن أخيه أبي الحسن عليه السلام، لما دخل أبو جعفر عليه السلام مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وثب عليّ بن جعفر بلا حذاء ولا رداء فقبل يده وعظمه، فقال له أبو جعفر: يا عم، اجلس رحمك الله. فقال: يا سيدي، كيف أجلس وأنت قائم؟! فلما رجع عليّ بن جعفر إلى مجلسه، جعل أصحابه يوبّخونه ويقولون: أنت عمّ أبيه وتفعل به هذا الفعل؟ فقال: اسكتوا! إذا كان الله عزّ وجلّ، وقبض على لحيته، لم يؤهّل هذه الشيبة وأهل هذا الفتى ووضعها حيث وضعه أنكر فضلها؟! نعوذ بالله مما تقولون بل أنا له عبد<sup>[٢]</sup>. ويتبيّن لنا كيف يمكن أن تدفع رفقة السوء إلى الانحراف وتزيّن التنطع على الإمامة والقيادة الرسالية استناداً إلى أوهام الذات ومعيار القرابة والعمر والشكل.. مع التباس هذا الأمر الجلل على الكثير.

وأشار الشيخ المفيد إلى وجود جماعة من الواقفة ذكر منهم قياما الواسطيّ والحسن بن الجهم وأبو يحيى الصنعائيّ والخيرانيّ ويحيى بن حبيب الزيات..<sup>[٣]</sup> وروى محمد بن الحسين بن أسباط: «خرج عليّ أبو جعفر، فجعلت أنظر إليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر!! فقال لي: يا عليّ بن أسباط، إنّ الله احتجّ في الإمامة بمثل ما احتجّ به في النبوة، فقال ﴿وَأْتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم: ١٢)، وقال لما بلغ أشده ﴿وَأْتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (يوسف: ٢٢).. فقد يجوز أن يؤتى الحكم صبيّاً ويؤتاه ابن أربعين». ولنا في ذلك مثل النبيّ سليمان ويحيى وعيسى ومثال شهادة الصبيّ مع النبيّ يوسف على امرأة العزيز<sup>[٤]</sup>.

[١]- انظر باب ذكر طرف من النصّ على أبي جعفر محمد بن الرضا عليه السلام. المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، م.س، ج ٢، صص ٢٧٤-٢٧٩.

[٢]- رواية الشيخ الكلينيّ عن محمد بن الحسن بن عمّار. الكلينيّ، الكافي، م.س، ج ١، ص ٢٣٣؛ المفيد، الإرشاد، م.س، ج ٢، ص ٢٧٦.

[٣]- المفيد، الإرشاد، م.س، ج ٢، ص ٢٧٥.

[٤]- المفيد، الإرشاد، م.س، ج ٢، ص ٢٩٧؛ المسعودي، إثبات الوصية، م.س، ص ٣١١.

كانت صغر سنّ الإمام الجواد عليه السلام موجباً لحصول انشقاقات في الصف الإمامي، حيث يشير المفيد إلى بروز ثلاث فرق:

- فرقة ارتأت إمامة أبي جعفر عليه السلام ونقلت النصّ عليه وهي أكثرها

- فرقة ارتدّت إلى قول الواقفة ورجعوا عما كانوا من إمامة الرضا عليه السلام

- فرقة قالت بإمامة أحمد بن موسى (أخو الإمام الرضا)، زعموا أنّ الإمام الرضا أوصى إليه ونصّ عليه بالإمامة<sup>[١]</sup>.

وكانت حجّة المعارضين هي صغر سنّ الإمام أبي جعفر! وقالوا: لا يجوز أن يكون إمام الزمان صبياً لم يبلغ الحلم<sup>[٢]</sup>. وتكلّموا في كيفية حصول علمه لحدّاته سنّه.. وثبت أصحاب الإمام محمد بن عليّ الرضا عليه السلام على إمامته ثمّ إمامة ابنه ووصيه عليّ بن محمد الهادي عليه السلام، سوى نفر يسير عدلوا عنه إلى القول بإمامة أخيه موسى بن محمد المبرقع<sup>[٣]</sup>. ثمّ رجعوا إلى إمامة عليّ الهادي عليه السلام ورفضوا إمامة موسى المبرقع، فلم يزالوا على ذلك حتّى توفّي عليّ الهادي عليه السلام، فقالت فرقة من أصحابه بإمامة ابنه محمد، وقد توفّي في حياة أبيه ودفن بالقرب من سرّ من رأى.

علماً أنّ ولاية الصغير في عصر الإمام الجواد عليه السلام لم تكن أمراً عجباً في الأعراف السياسيّة، فقد عمد الأمويّون والعبّاسيون إلى تولية صغارهم العهد لضمان التوريث في الأبناء وضمن العائلة الحاكمة، كما استعملوها لضمان الولاء وللمناورة في توريث الحكم<sup>[٤]</sup>..! لذا واجهوا مشاكل عدّة بسبب ولاية العهد وشرعيّتها ومسألة نقلها من وليّ عهد إلى آخر، وشرّعت أدبيّات السياسة الشرعيّة ونصائح الملوك للخلفاء اتخاذ ولاة للعهد والوزراء والسلاطين.. وأضفت الشرعيّة على قراراتهم متجاهلة تكاليفهم

[١]- المجلسي، محمّد تقي، روضة المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ج١٤، ص٣٩٥.

[٢]- المفيد، محمّد بن محمّد، الفصول المختارة، ص٢٥٦.

[٣]- موسى بن محمّد الجواد وأخو الهادي يلقّب بالمبرقع، رحل إلى الكوفة ثمّ إلى قم حيث توفّي سنة ٢٩٦ هـ. النوبختي، فرق الشيعة، م.س، صص٨٨-١٩٢؛ الأشعري، مقالات الإسلاميين، م.س، ص٩٦؛ الشاكري، حسين، النحلة الواقفة.

[٤]- تخلّص المنصور من أعمامه عبد الله ثمّ عيسى بن موسى، وعمل على أن يُبقي الأمر في ولده فولّى العهد ابنه المهديّ. أبو جعفر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٦٣١؛ ابن الطقطقي، محمّد بن عليّ، الفخري في الآداب السلطانيّة، ص١٥٧؛ علي العلوي، نجم الدين (ق٥هـ)، المعجدي في أنساب الطالبيين، ص١٥٥؛ حسن إبراهيم، حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص١٦٠.

على السلطة بكلّ مستوياتهم وبحسب أهوائهم ومصالحهم السياسيّة، وتفاقم المؤامرات والدسائس بين الخلفاء وأبنائهم ووزرائهم وقوادهم ونسائهم<sup>[١]</sup>.. وكانت الرغبة في التوريث للأبناء سبباً رئيساً للفتنة وإضعاف الخلافة العبّاسيّة مبكراً لتسقط تحت وصاية أمراء وقواد الجيش<sup>[٢]</sup>. ومن الطريف أنّ هارون الرشيد عهد إلى الأمين لإرضاء زوجته مستبعداً ابنه الأكبر المأمون لكونه ابن أم ولد!<sup>[٣]</sup>. فاندلع الصراع بين الأمين والمأمون، ودارت بينهما معارك طاحنة، تنازعا على الشرعية وولاية العهد، وتسمّى كلّ منهما بالخلافة في الآن نفسه، وكلّ منهما يدّعي أنّه الأحقّ والأجدر ويلقبّ الثاني بالمخلوع<sup>[٤]</sup>. انتشرت الفوضى في بغداد خاصّة وفي أرجاء الدولة العبّاسيّة عامّة، وانتهى الأمر بمصرع الأمين وانفراد المأمون بالخلافة سنة ١٩٨ هـ<sup>[٥]</sup>. واستأثر الفضل بن سهل بالوزارة والتّفوذ<sup>[٦]</sup>، ليصبح تدريجياً منصب الخلافة شرفياً يقتصر على أبنه

[١]- عهد المهديّ العبّاسيّ لابنّه الهادي والرشيد لهوى أمّهما الخيزران التي دسّت لقتل الهادي. ثمّ عهد الرشيد سنة ١٧٥ هـ/٧٩١ م لابنه الأمين ولمّا يتجاوز الخامسة من عمره، ثمّ عقد البيعة للمأمون سنة ١٨٢ هـ/٧٩٨ م، ثمّ سنة ١٨٦ عقدتها للمؤمن وعلق كتاب العهد على ستائر الكعبة!! ابن الطقطقي، الفخريّ في الأدب السلطانيّة، م.س، ص ١٨٩؛ الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٦، ص ١٨٨؛ المسعودي، مروج الذهب، م.س، ج ٣، ص ٣٢٧؛ ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، م.س، ج ٦، ص ٧٥؛ جمال الدين أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ١٣٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، م.س، ج ١٠، ص ١٩٢؛ الدوري، عبد العزيز، الجذور التاريخيّة للشعبيّة، ص ١٢٠.

[٢]- انظر مثلاً: يعقوبيّ، تاريخ يعقوبيّ، م.س، ج ٢، ص ١٢٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، م.س، ج ١٤، ص ٢٩؛ ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، م.س، ج ٦، ص ٧٩؛ ابن قتيبة الدنوريّ، أبو محمّد بن عبد الله بن مسلم، المعارف، ص ٣٨٤؛ الصدوق، عيون أخبار الرضا، م.س، ج ٢، ص ١٥١؛ البحرانيّ، السيّد هاشم (ت ١١٠٧ هـ)، حلية الأبرار في أحوال محمّد وآله الأطهار، ج ٢، ص ٣٤٨؛ الجهشيار، محمّد بن عبدوس، الوزراء والكتّاب، ص ٢٣٧؛ ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملقب (ت ٦٨٥ هـ)، تاريخ مختصر الدّول، ص ١٣٤؛ الماوردي، الأدب السلطانيّة، ص ٢١٢؛ القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج ١، ص ٢٠٤.

[٣]- أظهر الرشيد للأصمعيّ ندمه على تقديم الأمين: قد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصويره إلى من أرضى سيرته وأحمد طريقته.. وهو عبد الله، وبنو هاشم مائلون إلى محمّد بأهوائهم وفيه ما فيه من الانقياد لهواه والتّصرف مع طويّته، والتّبذير لما أحوته يده ومشاركة النساء والإماء في رأيه.. فإنّ ملت إلى عبد الله أسخط بني هاشم وإن أفردت محمّداً بالأمر لم آمن تخليطه على الرّعية. المسعودي، مروج الذهب، م.س، ج ٣، ص ٣٦٣؛ أبو المحاسن، النّجوم الزاهرة، م.س، ج ٢، ص ١٤٩؛ الزركليّ، خير الدين: الأعلام، ج ٥، ص ١٣٣.

[٤]- قدّم الرشيد ابنه محمّد الأمين على ابنه المأمون، لأنّ أمّ الأمين عربيّة قرشيّة هاشميّة، بتحريض من الحزب العربيّ برئاسة الفضل بن الرّبيع، وكانت أمّ المأمون أم ولد فارسيّة خراسانيّة. وكان الأمين مشتغلاً بالخصيان واللّدات واللّهو.. قبيح السيرة، ضعيف الرّأي، سفاكاً للدّماء مستخفّاً بوزرائه وأهل بيته. القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، م.س، ج ١، ص ٢٠٥؛ السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، ص ٢٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، م.س، ج ٥، ص ١٧٠.

[٥]- الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٧، صص ١١٤-١١٦؛ ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، م.س، ج ٦، صص ٨٢-٨٥.

[٦]- يعقوبيّ، تاريخ يعقوبيّ، م.س، ج ٣، ص ١٦٧. شهد دعبل الخزاعيّ جورهم في الحكم وتوالي النقمة عليهم:

ألا أنّ في الفضل بن سهل لعيبة      إن اعتبر الفضل بن مروان بالفضل  
وفي ابن الرّبيع الفضل للفضل زاجر      إن ازدجر الفضل بن مروان بالفضل  
وللفضل في الفضل بن يحيى مواعظ      إن تعظ الفضل بن مروان بالفضل..

الملك وبهرج المواكب والمحافل. وانغمس المأمون في اللهو والصيد، وصادف دخول موكبه إلى بغداد وقوف الإمام محمد الجواد عليه السلام في طريقه، وكان عمره إحدى عشرة سنة تقريباً، فانفلت الصبيان هارين، ولم يبرح أبو جعفر مكانه، حتى قرب منه الخليفة وتوقّف عنده. فنظر إليه، وكأنّ الله ألقى عليه مسحةً من قبول، وقال له: يا غلام، ما منعك من الانصراف مع الصبيان؟ فقال له محمد الجواد عليه السلام بثقة: «يا أمير المؤمنين، لم يكن بالطريق ضيقٌ لأوسععه عليك بذهابي، ولم يكن لي جريمة فأخشاها، وظني بك حسنٌ إنك لا تضرُّ من لا ذنب له، فوقفت». هنالك أعجب المأمون بكلامه ورباطة جأشه، وعرف أنّه محمد بن عليّ الرضا، فترحم على أبيه [١].

ولمّا قبض الرضا عليه السلام شدّ أصحابه الرحال إليه من بغداد وغيرها من الأمصار، وقصدوا داره بالمدينة ليشاهدوا أبا جعفر عليه السلام، فوجدوا عبد الله بن موسى الكاظم، خرج إلى الناس متصدراً المجلس وقام بين يديه منادٍ أن هذا ابنُ رسول الله صلّى الله عليه وآله فمن أراد السؤال فليسأله!! فسئل عن أشياء، أجاب عنها بغير الواجب، ما حير الشيعة وفتن الموالين والفقهاء، وقيل: لو كان أبو جعفر عليه السلام يكمل لجواب المسائل، لما كان من عبد الله ما كان من الجواب بغير الواجب!! فخرج عليهم الإمام الجواد عليه السلام وجلس إليهم ليجيب عن مسألتهم، ورؤي أنه أجاب عن آلاف المسائل الغامضة في مجلس واحد، وقال لعمّه: «يا عمّ، إنّه عظيمٌ عند الله أن تقفَ عدّاً بين يديه فيقول لك: لم تُفتي عبادي بما لم تعلم وفي الأمة من هو أعلم منك؟!» [٢].

وفي ثنايا هذا التحليل، لا ينبغي أن نغفل عن الدروس المهمة لإمامة الجواد المبكرة وأن قيادة الإمام وشخصيته كانت قدوة لكل أفراد الأمة، ومثالاً للأجيال الشابة خصوصاً؛ لأنّه استشهد في ريعان الشباب في الخامسة والعشرين سنة وتيق، فيفترض

[١]- روي ردّ آخر: «يا أمير المؤمنين فر أصحابي فرقا والظنّ بك حسن أنّه لا يفرّ منك من لا ذنب له، ولم يكن بالطريق ضيق فأنتحى» الإربلي، كشف الغمّة، م.س، ج ٤، ص ١٨٧. وأضاف صاحب مطالب السؤل: اتفق أنّه بعد ذلك خرج يوماً يتصيد، فاجتاز في طريقه بطرف البلد، والصبيان يلعبون ومحمد واقف... فلما دنا منه الخليفة قال: يا محمد، قال: لبيك، قال: ما في يدي؟ فألهمه الله عزّ وجلّ أن قال: يا أمير المؤمنين إنّ الله خلق بمشيئته في بحر قدرته سمكاً صغاراً تصيدها بزاة الملوك والخلفاء، فيختبرون بها سلالة أهل النبوة، فلما سمع المأمون كلامه عجب منه. الشافعي، مطالب السؤل، م.س، الباب التاسع أبو جعفر؛ ابن صباغ، الفصول المهمة، م.س، ص ٢٦٦.

[٢]- الطبري، دلائل الإمامة، م.س؛ بن عبد الوهّاب، حسين، عيون المعجزات، م.س.

أن يتخذ الشباب قدوة لهم في حياتهم ويتعظون بتجربته في تلك الظروف الدقيقة التي واجهها..

### ثالثاً: عصر الإمام الجواد عليه السلام

بالرجوع إلى الظرفية التاريخية العامة لإمامته عليه السلام نجد أن حكم بني العباس لم يكن مستقرّاً حتى في العصر العباسي الأول أوج حكمهم. بل واجهوا أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية.. وكان الإمام الجواد عليه السلام حاضراً في مواجهة صعوبات وانحرافات عصره المختلفة.

#### ١ - فتنة التكالب على السلطة:

لعلّ من أبرز الأحداث السياسية التي جرت في عصر الإمام محمد الجواد عليه السلام هي الفتنة بين الإخوة الأعداء والتكالب على السلطة بين الأمين والمأمون، فشنوا الحروب وأهرقوا الدماء المحرّمة من أجل السلطة والجاه، وانتهت موقعة الريّ بهزيمة جيش الأمين سنة ١٩٥ هـ، وتخريب مدينة بغداد سنة ١٩٧ هـ، وانقلاب أهلها عليه، فاستسلم الأمين ثمّ قُتل في السجن<sup>[١]</sup>. وتمردت ولايات عدّة على الخلافة العباسية، فاستقلّ اليمن سنة ٢٠٤ هـ، وخراسان سنة ٢٠٧ هـ، وبایع شيوخ بني العباس وجند بغداد إبراهيم بن المهديّ الخليع نكاية في المأمون الذي ولّى عهده الإمام الرضا عليه السلام، ولقب إبراهيم بن المهديّ بابن شكلة، وكان مدمناً على الخمر مشتغلاً بالموسيقى والغناء والمجون، طالبه الجند بالأرزاق فمأطلهم وادّعى أن لا مال لديه فحاصروه، وسرعان ما خلعه سنة ٢٠٣ هـ<sup>[٢]</sup>. أطلق المأمون يد وزيره الفضل بن سهل في أمور الدولة فأدارها على

[١]- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، م.س، ج١، ص١٥٣؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص١١٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م.س، ج٦، ص٨٥.

[٢]- أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني؛ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج٦، ص٤٠٥. صوّر دعبل الخزاعيّ خلافة بني العباس:

وأمانة في دولة ميمونة كانت على اللذات اشغب عائق  
فالآن لا أعدو ولست برائح في كبر معشوق وذلة عاشق  
أنّي يكون وليس ذلك بكائن يرث الخلافة فاسق عن فاسق  
نعر ابن شكلة بالعراق وأهله فهما إليه كلّ أطلس مائق  
إن كان إبراهيم مضطلعاً بها فلتصلحنّ من بعده لمخارق  
ولتصلحنّ من بعد ذلك لزلزل ولتصلحنّ من بعده للمارقي

هواه، وجنى ثروة طائلة من النهب والرشى، وعانت الأمة ضروب المحن والبلاء، استخدمهم الخلفاء لنهب ثروات الناس، كما كان الوزراء معرضين للسخط والانتقام لما اقترفوه من التجاوزات.

## ٢- الترف الاقتصادي والاجتماعي

تفنن خلفاء بني العباس في البنيان، فشيّدوا أضخم القصور واتخذوا في بغداد قصر الخلد تشبهاً بجنة الخلد التي وعد الله المتقين، كان الإيوان أعظم الأبنية أسرف الأمين في هندسته وتزيينه بالذهب والجوهر ونُقش بصور مذهبة وتمائيل العقيان.. وأسرف بنو العباس في اقتناء الجوارى وجلبهنّ إلى بغداد من جميع أطراف الدنيا بمختلف المواصفات، وكان عند الرشيد زهاء ألفي جارية، وعند المتوكل أربعة آلاف.. ووهبوا المغنّين والمغنّيات والشعراء أموال المسلمين بإسراف.. فقد غنّى إبراهيم بن المهدي العباسي محمّد الأمين صوتاً فأعطاه ثلاثمئة ألف درهم!! وعندما استكثرها قال له باستهانة: ما هي إلاّ خراج بعض الكور!!<sup>[١]</sup> وتناقلت الأخبار إسراف المأمون حين زواجه من بوران بنت وزيره ابن سهل، أمهرها ألف ألف دينار وبنى بها في قريته بقم الصلح، ولما سافر للزواج نثر على الحاضرين معه من الجيش وقادتهم والعلمان والخدم آلاف الدنانير.. ونثروا على الحاضرين بنادق عنبر بها رقايع بتحويل بألف دينار أو بخيل أو بأثواب من الديباج أو برقيق يستلمونها من الديوان.. ولما دخل عليها المأمون نثر ابن سهل عليهم اللؤلؤ وزن كلّ واحدة مثقال! إلى غير ذلك من الهبات التي وهبها لأبيها من ولايات وضياع<sup>[٢]</sup>!!

---

وطلب أحد الظرفاء من إبراهيم أن يغني فريقتين منهم ثلاثة أصوات بدل الأرزاق. ونظم دعبل قصيدته متهكماً:  
يا معشر الأجناد لا تقنطوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا  
فسوف تعطون حنيني يلتذها الأُمرد والأشعط  
والمعبديات لقوادكم لا تدخل الكيس ولا تربط  
وهكذا يرزق قواده خليفة مصحفة الربيط!!

[١]- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، م.س؛ شوقي ضيف، العصر العباسي الأول؛ الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، ص ٢١٤.

[٢]- تكرر تقسيم الناس إلى طبقات وكل يأخذ على قدره، ونرى منافسة ابن سهل في البذخ.. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، م.س؛ شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، م.س؛ الدوري، العصر العباسي الأول، م.س، ص ١٧٣.

أراد المأمون والعباسيون تعميم هذا السلوك المترف وفرضه بالتالي على الإمام الجواد عليه السلام، ودفع عند زفاف ابنته إلى مئتي وصيفة.. كل واحدة منهم جاماً فيه جوهر يستقبلن أبا جعفر عليه السلام إذا قعد في موضع الأختيار، فلم يلتفت إليهن. وكان المغني مخارق صاحب صوت وعود وضرب طویل اللحية، ظن المأمون أنه يستهوي الإمام عليه السلام فقال له مخارق: يا أمير المؤمنين، إن كان في شيء من أمر الدنيا فأنا أكفيك أمره. فقعد مخارق بين يدي أبي جعفر عليه السلام وشهق شهقة اجتمع عليه أهل الدار، وجعل يضرب بعوده ويغني ساعة، وإذا أبو جعفر عليه السلام لا يلتفت إليه، ثم رفع عليه السلام إليه رأسه فقال: اتق الله يا ذا العثنون!! قال الراوي: فسقط المضراب من يد مخارق والعود، ولم ينتفع بيديه إلى أن مات، وسأله المأمون عن حاله فقال: لما صاح بي أبو جعفر فرعت فرعة لا أفيق منها أبداً<sup>[١]</sup>.

### ٣- الانحراف الفكري العباسي في عصر الإمام الجواد عليه السلام

أسس العباسيون بيت الحكمة أساساً لتعريب الفلسفة والعلوم الشرقية واليونانية، ما خلق تشويشاً عقائدياً وولّد تيارات فكرية معارضة للإسلام وغدّت الإلحاد والزندقة.. وتصدّى الأئمة لهذا الانحراف وبيان مسائل التوحيد والجبر والتفويض وحرية الإرادة.. وكان واضحاً لدى بني العباس أن جوهر الاختلاف هو الإمامة والزعامة الشرعية، فجدد خلفاؤهم فقهاء ووعاظ السلاطين ينكرون على الشيعة أن الإمامة منصب إلهي، تدخل في أصول العقائد الكلامية، مثل الإسكافي (ت ٢٤٠ هـ) الذي قال: «إن الإمامة لا تشبه بالنبوة، وهي بالإمارة أشبه». وقال أفضى القضاة الماوردي (ت ٤٥٥ هـ): «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدتها لمن يقوم بها واجب بالإجماع». إلى أن جاء ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) فجعل الإمامة «قضية مصلحة إجماعية ولا تلحق بالعقائد»، بل كرسوا الخلط بينهما: «الخلافة حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينيّة الراجعة إليها»<sup>[٢]</sup>.

[١]- العثنون ما فضل من اللحية بعد العارضين والشعيرات تحت حنك البعير. الكليني، الكافي، م.س؛ الشافعي، مطالب السؤل، م.س.

[٢]- أبو جعفر الإسكافي، محمد بن عبدالله (ت ٢٤٠ هـ)، المعيار والموازنة في تفضيل علي عليه السلام، ص ٤٣؛ أبو الحسن الماوردي

ولإغلاق باب الاجتهاد ومنع الفتوى خارج نطاق الدولة، أمّج الخلفاء العبّاسيون لانتقاء الفقهاء وتقريبهم، مثلما حاول المنصور استقطاب أبي حنيفة وفشل<sup>[١]</sup>، ثم انتدب مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) تلميذ الإمام الصادق عليه السلام، وأصدر قراراً: «لا يُفتى ومالك في المدينة»! ولم يكن أبرز فقهاء المدينة أو أعلمهم في عصره.<sup>[٢]</sup> اختاره المنصور بمعنى مفتي الدولة لمراقبة النشاط الفقهي الشرعي، وجعل الفتوى حكراً على مالك، وطلب منه جمع الأحاديث لإصدار أول مدونة حديث برعاية عبّاسية، فصنّف لهم الموطأ في صيغته الأولى ثم الثانية إلى أن حظيت لديهم بالرضى والقبول!<sup>[٣]</sup> ثم قرب هارون الرشيد أبا يوسف (ت ١٨٢هـ) تلميذ أبي حنيفة ليصنّف له كتاب الخراج، وهو مدونة للتشريعات والنظم الماليّة للدولة، وقربه وأغدق عليه لقب قاضي القضاة، فتولّى تسمية القضاة في الولايات، مستبعداً مخالفيه ومنافسيه مثل أبي الحسن الشيباني<sup>[٤]</sup>. وصنّفت كتب الأموال والخراج ونُظم الحكم بطلب من الخلفاء لضبط الأسس الشرعيّة للإدارة الماليّة والإداريّة واستعادة الأشكال التنظيميّة المبكّرة لمؤسّسات الخلافة في الظاهر<sup>[٥]</sup>، لكن كتب السياسة الشرعيّة التي عرفت أيضاً بكتب الآداب السلطانيّة ونصائح الملوك، راجت منذ نهاية القرن الثاني الهجري/ ٨م، وصنّفت لخدمة الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء في علاقتهم بالدولة والرعيّة، ورسمت السياسة كفعل ملكيّ بامتياز

الشافعيّ، عليّ بن محمّد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة، ص ٥؛ أبو حامد الغزاليّ، محمّد بن محمّد (ت ٥٠٥هـ)، الاقتصاد في الاعتقاد، ص ٢٧٥. ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ص ١٩١؛ قراملكي، محمّد حسن قدردان، الإمامة، ص ١١-١٢.

[١]- شارك أبو حنيفة في ثورات العلويّين وتوفّي في سجن المنصور. الطبري، تاريخ الطبري، م.س، المسعودي، مروج الذهب، ص ٣٠٠.

[٢]- وشاع عن ربيعة الرأي معلّم أبي حنيفة والليث ومالك بن أنس ويفوقهم علماً وفقهاً: كيف حظي بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك؟! كناية عن فوز مالك بالجاه والمال والشهرة بالعلم الذي أخذه من ربيعة دونه.. قال ربيعة: أما علمتم أنّ مثقالاً من دولة خير من قطار علم؟! ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٧، ص ٣٥١.

[٣]- تضمّنت النسخة الأولى عشرات الآلاف من الأحاديث فلم يوافقوا عليها. الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٦، ص ٦٢٢-٦٢٣؛ انظر: الشبلي، عبد الكريم، مدونة النوازل المالكيّة، المقدّمة.

[٤]- من الطريف أنّ أبا حنيفة كان يقول إنّ الصلاة لا تجوز خلف المتكلّمين. وقال تلميذه أبو يوسف لبشر المريسيّ الفقيه الحنفيّ المرجعيّ: «العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم». وقال: «من طلب العلم بالكلام تزدق». البغداديّ الإسفراييني، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق، ص ١٩٢؛ ابن خلكان، أحمد بن محمّد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٢٧٧؛ ابن قتيبة الدينوري، أبو محمّد بن عبد الله بن مسلم، كتاب عيون الأخبار، ج ٢، ص ١٤١.

[٥]- جمع ابن خلدون بين كتب الآداب السلطانيّة وبين كتب الفقه واعتبرها مصدرًا لتفصيل أحكام وشروط المناصب والوظائف. ابن خلدون، المقدّمة، م.س، صص ٣-٢٤٥؛ السيّد، رضوان، «رؤية الخلافة وبنية الدولة في الإسلام»، الإجتهد، عدد ١٣، (١٩٩١)، ص ٤١؛ الشبلي، عبد الكريم، مدونة النوازل المالكيّة، م.س، المقدّمة.

استناداً إلى تراث السلف ومرويات منتقاة تشترط سلطة حازمة وقويّة «تغالب الخصوم والأعداء ويستحثّ الرعيّة على طاعة واتباع الخلفاء»، وتعمّدت هذه المصادر لأوّل مرّة استخدام لقب الإمام مرادفاً للخليفة لإضفاء الشرعيّة عليهم.

#### ٤ - الإمام الجواد عليه السلام وفتنة المعتزلة

نشأ المأمون في بيئة فارسيّة تؤمن بأحقّيّة عليّ بن أبي طالب وأولاده عليهم السلام من بعده بالخلافة وارتبط كثيراً بخراسان، وتبنّى آراء المعتزلة في ظلّ مناقشات فكريّة سادت في عصره خاصّة مسألة الإمامة والخلافة وخلق القرآن.. تميّز المتكلمون بالجدل والمناظرة وتقديم العقل، وقرب العبّاسيون المعتزلة وخاصّة المأمون الذي أظهر التشيع وتظاهر المأمون العبّاسي بموادعة الإمام الرضا ثمّ الإمام الجواد عليهما السلام، لكنّ هواه كان مع المعتزلة مقرباً لرموزهم: ثامة بن الأشرس، وأحمد بن أبي داود، وابن أكثم، وتبنّى مقولاتهم وخاصّة القول بخلق كلام الله.. وشجّعوا الخوض في مسائل الخلاف والمناظرات، وأطلق لهم العنان في حياة الإمام الجواد عليه السلام وامتحنوا مخالفهم، فما هي الأبعاد السياسيّة لهيمنة المعتزلة؟<sup>[١]</sup>.

انتهج المعتزلة المذهب العقليّ لتفسير كلّ ما يتصل بالدين، وتورّطوا في مقولات عديدة غالوا فيها في هذا المنحى، فذهبوا إلى تفويض الأفعال، وإنكار الصفات، ونفي الشفاعة، وخلق القرآن، ولزوم الوفاء بالوعد كالعهد، بل أنكر بعضهم كلّ المعجزات الحسينيّة للنبيّ صلى الله عليه وآله وضعفوا الروايات فيها....

من أعقد المشاكل العقديّة وأخطر الفتن التي ابتلي بها المسلمون في ذلك العصر محنة خلق القرآن التي تسبّبت في فتن وابتلاء العباد والبلاد، وإذا كان هارون الرشيد يقتل القائل بخلق القرآن قربة إلى الله تعالى!<sup>[٢]</sup>. فقد اتخذ المأمون الاعتزال مذهباً رسمياً للدولة، وأظهر القول بخلق القرآن وأطلق دعوته إلى الآفاق بنشر مذهب الاعتزال

[١]- أبو القاسم البلخيّ؛ القاضي عبد الجبار؛ الحاكم الجشمي: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٣٩١؛ نلينو: «بحوث في المعتزلة»، في: عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلاميّة، ص ١٧٣ وما بعد. النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج ١، ص ٣٧٣.

[٢]- ابن كثير، البداية والنهاية، م، ص ٣٢.

وأمر بأن يُعرض الناس على السيف، إن قبل الاعتزال وإلا قُتل. وواصل المعتصم هذا النهج، وانتدب يحيى بن أكثم (ت ٢٣٧هـ) ثم أحمد بن أبي دؤاد (ت ٢٤٠هـ) وامتحنوا الناس بالخلق سنة ٢١٢هـ، وليفرضوا هيمنة ثقافية وسياسية في بغداد والولايات، ونصبوا فخّ المحن الذي حفر للمعتزلة!! لأنهم كانوا كمن صعد إلى قمة جبل شاهق، ليستقط بعدها إلى الحضيض<sup>[١]</sup>؛ لأنهم فرضوا القول بخلق القرآن بالقوة، واستمرت حديث الناس وشأن الدولة طيلة الفترة ما بين ٢١٨ و ٢٣٤هـ. وبلغ المعتزلة أوج قوتهم في أيام المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) والمعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ) والواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ)<sup>[٢]</sup>، وأرهقوا العلماء والعامة كثيراً، فقد كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم رئيس شرطة بغداد، يأمره بامتحان القضاة والمحدثين والشهود في مسألة خلق القرآن، فمن رفض القول بمقالة المأمون سجنه أو نفاه أو قتله، وفيها: «وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة، ممن لا نظر له ولا روية.. في جميع الأقطار والآفاق أهل جهالة بالله وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به.. لضعف آرائهم، ونقص عقولهم، وجفائهم عن التفكير والتذكر». فحمل الناس على ما يذهب إليه بالقوة والقهر<sup>[٣]</sup>. وانساق المعتصم في فتنة القول بالخلق، ولم يكن همّه العلم، بل اتّبع وصية أخيه المأمون له: «وأبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد لا يفارقك. أشركه في المشورة في كل أمرك. فإنه موضع ذلك»، فكان القاضي أحمد بن أبي دؤاد مقرباً لدى المعتصم ومدبر أموره، بعد أن عبّد له الوصول إلى الخلافة على حساب العباس بن المأمون الذي أجبر على خلع نفسه وبيعة عمّه المعتصم، فواصل سياسة المأمون بتقريب المعتزلة، وفرض مقولاتهم، وخاصة امتحان الناس في القول بخلق القرآن<sup>[٤]</sup>.

كان غرض المأمون تغليب مذهب المخالفين لأهل البيت عليهم السلام والتقليل من شأن

[١]- الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، م.س، ج ١، ص ٣١٥ وما بعد؛ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، نهاية الإقدام في علم الكلام، ص ٣٩٧ وما بعد.

[٢]- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، م.س، ج ٨، ص ٦٣١؛ الدميري، كمال الدين، حياة الحيوان الكبرى، ج ١، ص ٧٨؛ المسعودي، علي بن الحسن، التنبيه والإشراف، صص ٣١٨-٣٢٩.

[٣]- الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٨، ص ٦٣١-٦٣٢.

[٤]- الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٨، ص ٦٤٠ وما بعدها؛ جار الله، زهدي، المعتزلة، ص ١٧١.

الأئمة عليهم السلام وإيجاد زلّة لهم. مع أنّ معظم الفرق الكلاميّة تفرّقت إلى عشرات الفرق الفقاعيّة. وتصدّى الإمام الجواد عليه السلام لشبهات العباسيين فهو ضدّ ترويج مقولات المعتزلة والأهواء والأفكار الفاسدة والغلوّ ووضع الروايات.. وعندما سُئل: إن الله له أسماء وصفات في كتابه، هل أسأؤه وصفاته هي هو؟ فأجاب عليه السلام: «لا تكون الصفات هي هو، إنّ قصد التعدد والكثرة، فهي تتنافى مع الوحدانيّة، وإن كان المراد «لم تزل» عنه في علمه وهو يستحقّها فنعم».. وكان الإمام الجواد عليه السلام يردّ على فكرة توحيد الصفات كما ادّعى المعتزلة، وفيهم أن يكون الله تعالى بصيراً ورزاقاً وكريماً وعلياً..<sup>[١]</sup> وكانت حجّته وبراهينه مدعاة إلى لجم العباسيين وإحجامهم عن دعوته لمناظرة حول مذهب الاعتزال، مثلما كان شأن المأمون مع أصحاب الأديان الأخرى والإمام الرضا عليه السلام، أو بين الفقهاء وبين الإمام الجواد عليه السلام، لتيقّنهم الهزيمة لا محالة أمام حجج وبراهين الإمام وبطلان وتفنيده مقولات الاعتزال، وبالتالي ظهور أحقيّة مذهب أهل البيت عليهم السلام؛ لذا كانوا يتحاشون الإمام الجواد عليه السلام ليخرج من هذه الفتنة سالماً دون أن يمنح العباسيين مبرراً لقتله، وحالت حكمة الإمام الجواد عليه السلام وحنكته، دون توسّع هذه الفتنة التي كانت تستهدف الإمامة ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، وفشلت مؤامرة المأمون للإيقاع بالإمام بدفعه لمواجهة فكريّة وعقائديّة مع المعتزلة..

تعامل الإمام الجواد عليه السلام مع أتباعها برحابة صدر، وتجاهل الدعوة الباطلة ليركّز للزمن دوره، مع تطوّر العلوم العقليّة ونموّ وعي الأُمَّة وثقافتها، ليستعيد العقل منزلته ويكون أحد عوامل رسوخ العقيدة والدين لا أن يكون الدين كلّ، وقد أثبتت الأيام هشاشة مبنى ومقولات هذه الدعوة. وواجه الإمام عليه السلام هذه المرطقات بسلاح الغيب والتسديد الإلهي بتعزيز الإيمان في نفوس المسلمين جميعاً، بالتركيز على روح الإسلام الأصيل وبيان أمور دينهم ونشر الدين الإسلاميّ من خلال المناقشات والاجتماعات العلميّة وقد أجاب عن أكثر من ثلاثة آلاف مسألة فقهية، وأوصى شيعة في بغداد بتجنّب

[١]- الكليني، الكافي، م، ج ١، ص ٣٢٣؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م، ص، ص ١٨٥.

هذه الفتنة: «عصمنا الله وإياك من الفتنة، فإن يفعل فأعظم نعمة وأن لا يفعل فهي الحكمة، نحن نرى أن الجدال في القرآن بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب، فيتعاطى السائل ما ليس به، ويتكلف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلا الله وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين»<sup>[١]</sup>. لذلك سعى وعاظ السلاطين لهلاكه والتخلص منه، روى زرقان صاحب ابن أبي دؤاد القاضي أنه نصح المعتصم بعدم مناظرة الإمام الجواد عليه السلام مع علمه أنه يدخل به النار! إذ جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيتهم وعلماهم لأمر واقع من أمور الدين، فسألهم عن الحكم فيه، فأخبروه بما عندهم من الحكم، وقد حضر مجلسه أهل بيته وقواده ووزراؤه وكتابه، وقد تسمع الناس بذلك من وراء بابه، ثم يترك أقويهم كلهم لقول رجل شطر هذه الأمة بإمامته ويدعون أنه أولى منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء!<sup>[٢]</sup>

## ٥- قمع ثورات العلويين

لم تتوقف الحركات العلوية ضد المأمون في مختلف أطراف البلاد، مما يؤكد فشل سياسة الحصار والإلغاء، وشكلت الحركات العلوية رافداً قوياً وخطاً ثورياً يتهاهى وخط الإمامة، وزحماً لانتشار التشيع في الآفاق وتسربه إلى بلاطهم. تعددت حركات المعارضة العلوية وخاصة الإمامية والزيدية والإسماعيلية والحسنيين.. فلم يمنعهم تفاقم التضيق والإرهاب والتنكيل من الثورات المتلاحقة ضد الحكم العباسي<sup>[٣]</sup>. وخشي المأمون توسع النزعة العلوية على حساب سلطانه، فداهنهم وسعى لتقريب زعماء العلويين الثوار لاحتوائهم<sup>[٤]</sup>، فسرح بعضهم وعفا عن بعض، مثل محمد بن محمد بن زيد أسكنه داراً،

[١]- الصدوق، التوحيد، م.س، ص ٢٢٣؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، صص ٢-١٨٣.

[٢]- الكليني، الكافي، م.س، ج ١، ص ٣٢٣؛ الدينوري، الأخبار الطوال، م.س، ص ٤٠٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، م.س، ج ١٠، ص ٣١٣. العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، صص ٢-١٨٣.

[٣]- المسعودي، مروج الذهب، م.س، ج ٤، ص ٢٨؛ التوبختي، فرق الشيعة، م.س، ص ٨١؛ الحسيني، هاشم معروف، عقيدة الشيعة الإمامية، ص ١٥١.

[٤]- الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٧، صص ٨-١٦٩؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، م.س، ص ٥٤١؛ العلوي، نجم الدين علي (ق ٥هـ)، المجدي في أنساب الطالبين، ص ١٦٥.

واشترك في تشييع جنازة محمد بن جعفر الصادق، وعفا عن عبد الرحمن بن أحمد العلوي الذي أعلن الثورة في بلاد اليمن.. في هذا السياق، جاءت البيعة للإمام عليّ الرضا ثم مصاهرة الإمام الجواد عليه السلام للحيلولة دون قيام حركة علوية جامعة<sup>[١]</sup>، لكن بني هاشم العباسيين لم يسكتوا عن انتقال الخلافة إلى البيت العلوي، وكانت ردة فعلهم عنيفة في بغداد وبعض الأمصار<sup>[٢]</sup>.

ثار في عصر الإمام الجواد عليه السلام علويون عدّة منتهزين فتنه الصراع على الحكم (١٩٥ هـ) وانتشار الاضطرابات خاصّة في العراق، أهمّ هذه الثورات:

حركة محمد بن إبراهيم العلويّ المعروف بابن طباطبا (ت ١٩٩ هـ) قام في سواد العراق ودعا أهل الكوفة إلى البيعة للرّضا من آل محمد والعمل بكتاب الله وسنة نبيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبايعه واستجاب له بشر كثير<sup>[٣]</sup>. وأقام أبو السرايا مكانه محمد بن محمد بن زيد بن علي (ت ٢٠١)، فخرج بعد زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام مع عدد كبير من الناس وثار معه الزيدية، وتواترت عليه كتب أهل الشّام والجزيرة تبايعه، وكان شعاره «يا فاطمي يا منصور»، لكنه انهزم أمام هرثمة بن أعين وقتل مع خلق كثير (في محرم ٢٠٠ هـ)<sup>[٤]</sup>.

وتزعم محمد (الدياج) بن جعفر الصادق تحرك بلاد الحجاز سنة ٢٠٠ هـ، وكان

[١]- المسعودي، مروج الذهب، م.س، ج ٢، ص ٥؛ العلوي، المجدي في أنساب الطالبين، م.س، ص ١٩٧؛ السبوطي، تاريخ الخلفاء، م.س، ص ٣٠٦؛ الجهشباري، الوزراء والكتاب، م.س، ص ٣٠٦-٣٠٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م.س، ج ٦، صص ٨١-٢٤٥؛ الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٧، ص ٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، م.س، ج ١٣، ص ٢٣؛ الذميري، كمال الدين، حياة الحيوان الكبرى، م.س، ج ١ ص ٧٢؛ فريد وجدي، دائرة المعارف الإسلامية، ج ١، ص ٦٢٠.

[٢]- تمرّد شيوخ بني العباس على ولاية المأمون العهد للرّضا عليه السلام وخاصّة إبراهيم بن المهدي وإسماعيل بن جعفر والي البصرة العباسيّ اعترض على الخليفة ونزع الخضرة واعتبر خروجاً على الأسرة العباسية وأعلن خلع المأمون. الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٦، صص ٢-٦٢٣؛ المسعودي، مروج الذهب، م.س، ج ٣، صص ٣٧٤-٣٧٥.

[٣]- الهاروني، يحيى بن الحسين (ت ٤٢٤ هـ)، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، ص ١٠٨؛ الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٧، ص ٤٤٧؛ الإصفهاني، مقاتل الطالبين، م.س، ص ٥٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م.س، ج ٦، ص ٨٢.

[٤]- أبو السرايا من ولد هانيء بن قبيصة الشيباني، من الفرسان المشهورين بالشجاعة. الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٧، صص ١١٧-١٢١؛ الإصفهاني، مقاتل الطالبين، م.س، ج ٢، صص ٥٢٣-٥٣٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م.س، ج ٦، ص ١٠٧؛ الهاروني، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، م.س، ص ٨٣؛ الدوري، العصر العباسي الأول، م.س. أحصت الذواوين قتلى ثورة أبي السرايا مئتي ألف رجل. سميّه مختار ليشي، جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، ص ٤٤١.

يظهر صمتاً وزهداً، حرّضه ابنه عليّ وحسين بن حسن الأفضس حتى غلباه على رأيه، وقيل خرج لأن رجلاً كتب كتاباً يسبّ فاطمة الزهراء وأهل بيت النبي ٩. اجتمع حوله الشيعة وبايعوه بالخلافة في جماعة من أهالي مكة<sup>[١]</sup>. فكان أوّل من تسمّى بإمرة المؤمنين من آل محمّد<sup>[٢]</sup>، هاجمه العباسيون بمكة فطلب الأمان، فأمنوه ليخلع نفسه من بيعة الناس، وما لبث أن مات<sup>[٣]</sup>!

وخرج محمّد بن القاسم بن عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين بالطالقان، وكان من أهل العلم والدين والزهد لقب بالصوفيّ، انهزم أمام عبد الله بن طاهر<sup>[٤]</sup>. وخرج عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى وتوارى من المأمون، فكتب إليه بعد وفاة الرضا عليه السلام يدعوه إلى الظهور ليضعه مكانه ويباع له. فردّ عليه عبد الله: «فبأيّ شيء تغرّني؟ ما فعلته بأبي الحسن عليه السلام بالعنب الذي أطعمته إياه فقتلته. والله، ما يقعدني عن ذلك خوف من الموت ولا كراهة له، ولكن لا أجد لي فسحة في تسليطك على نفسي، ولولا ذلك لأتيتك حتى تريحني من هذه الدنيا الكدرية.. هبني لا ثأر لي عندك وعند آبائك المستحلّين لدمائنا الآخذين حقنا، الذين جاهرُوا في أمرنا فحذرناهم..»<sup>[٥]</sup>.

كانت مرحلة الإمام محمّد الجواد استمراراً لخطة أبيه الرضا عليه السلام، ورغم سعي المأمون

[١]- الحركة الشّميطة نسبة إلى يحيى بن أبي الشّميطة. ادّعى إمامة الدياج بعد أبيه جعفر الصادق عليه السلام. التّويختي، فرق الشّيعه، م.س، صص ٤-٦٥؛ الجاحظ، كتاب الحيوان، ج ٢ ص ٢٦٩؛ الشّهستانيّ، الملل والنحل، م.س، ج ١، ص ١٦٧؛ ذكر المسعودي أنّ أصحابه اختلفوا فرقاً وعاد أكثرهم إمامية. المسعودي، مروج الذهب، م.س، ج ٤، ص ٢٦.

[٢]- الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٧، صص ٥-١٢٦؛ الأشعري، مقالات الإسلاميين، م.س، ص ٨٢؛ ذهب المسعودي إلى أنّ محمّد بن جعفر دعا بداية إلى ابن طباطبا، حتى إذا مات دعا لنفسه. المسعودي، مروج الذهب، م.س، ج ٤، صص ٦-٢٧؛ ورأى الأصفهاني أنّ محمّد بن جعفر كان معتزلاً الأمر حتى سمع أنّ أحدهم ألف كتاباً في سبّ أهل البيت فتلقّب بالخلافة. الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، م.س، صص ٧-٥٣٨؛ مؤلّف مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تح: دي جونج، ليدن، ١٨٦٩، ج ٣، ص ٣٤٨؛ العلوي، المعجدي في أنساب الطالبيين، م.س، ص ٢١١.

[٣]- يعقوبيّ، تاريخ يعقوبيّ، م.س، ج ٣، ص ١٧٦؛ ابن قتيبة، المعارف، م.س، ص ١٣٣؛ الإصفهانيّ، مقاتل الطالبيين، م.س، ص ٥٤١؛ المسعودي، مروج الذهب، م.س، ج ٤، ص ٢٧؛ الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٧، ص ١٢٦-١٢٧؛ ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، م.س، ج ٦، ص ١١٢.

[٤]- وجهه إلى المعتصم ففرّ إلى نسا ثمّ قبض عليه المتوكل فقتله في مجلسه. الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٧، ص ١٥٤؛ الإصفهانيّ، مقاتل الطالبيين، م.س، ص ٥٤٢.

[٥]- لم يزل عبد الله متوارياً إلى أن مات في أيام المتوكل. الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٧، ص ١٣٣؛ الإصفهانيّ، مقاتل الطالبيين، م.س، ص ٥٤١.

لتقريبه وإدماجه في أروقة الحكم والبلاط العباسي ليقى تحت رقابتهم، ولو تطلّب الأمر بيعة المأمون للرضا بالعهد وأمر الناس بطرح السواد شعار العباسيين، واتخاذ الخضره شعاراً لهم<sup>[١]</sup>! وليس في ذلك تنازل عباسي أو تحويل للخلافة إلى إمام الإمامية الإثني عشرية أكبر فرق الشيعة<sup>[٢]</sup>، فضلاً عن تزويج المأمون ابنته أم الفضل من الإمام الجواد عليه السلام، زواجاً سياسياً ليفرض عليه البقاء في مركز الخلافة أو قريباً منها. كان هدفهم تشويه صورة ومكانة الإمام لدى المواليين وعند الأمة، «فيرى الناس أنه راغب في الدنيا فيسقط محله في نفوسهم»<sup>[٣]</sup>. فضلاً عن مراقبة تحركات الإمام وسكناته وعزله عن قواعده الشعبية بشكل لا يثير الأمة لتميع حركة التشيع. وكان الهدف مصادرة شرعية الأئمة لحساب «أبناء العمومة» من بني العباس، وكان شعارهم الذي يموهون به دائماً «الرضا من آل محمد». لهذا أصر الإمام الجواد عليه السلام على الرجوع إلى المدينة، ليحبط خطة المأمون في إضفاء الشرعية على الخلافة، وليبين لشيعته البون الشاسع بين خط الإمامة وخط الخلافة المنحرفة، واستقر في مدينة جدّه عليه السلام يمارس إمامته يجمع عنده الفقهاء من بغداد والأمصار يسألونه ويستنبرون بهديه، وسعى الإمام الجواد عليه السلام لتوسيع قواعده الشعبية<sup>[٤]</sup>.

## ٦- تيار الزهد

مقابل تفشي حياة اللهو والترف نشأت ظاهرة الزهد والتصوف كردة فعل، ولم

[١]- كتب الفضل إلى أخيه الحسن يأمره بطرح السواد، ولباس الخضره وجعل الأعلام والقلائس خضراً، ويطلب الناس بذلك، وكتب فيه جميع عماله. الجهشباري، الوزراء والكتاب، م.س، ص ٣١٢؛ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، م.س، ج ٢، ص ١٧٦؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، م.س، ص ٥٦٤؛ المسعودي، مروج الذهب، م.س، ج ٣، ص ٢٦٤.

[٢]- الكليني، أصول الكافي، م.س، ص ٩٣؛ الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٧، ص ١٥٠؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، م.س، ص ٣٠٣؛ المسعودي، إثبات الوصية، م.س، ص ١٨٢.

[٣]- الصدوق، عيون أخبار الرضا، م.س، ج ١، ص ٢٦٥؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨، ص ٢٢١.

[٤]- كان الإمام الصادق عليه السلام ينهى أصحابه عن مجالسة الملوك ويحذرهم من التردد عليهم: «إياك ومجالسة الملوك»، والفقهاء

أماء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا إلى السلاطين فاتهموهم»، و«من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت». ابن خلكان، وفيات الأعيان، م.س، صص ٢-١١٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ١٨٤؛ الإربلي، كشف الغمة، م.س، ج ٢، ص ٢٠٨-٤٢٧؛ رسول جعفریان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت، م.س، ج ٢، ص ٩٢.

تكن حركة إصلاح ديني أو اجتماعي. بل اتّجه رموزها الذين تباينت مشاربهم وتفاوتت ثقافتهم، إلى مجاهدة النفس وتوطينها على العزوف عن مباحج الحياة واحتقار الدنيا.. وعلى رأسهم إبراهيم بن أدهم (القرن ٢هـ) الذي أقبل على طاعة الله وترك الحياة الناعمة واعتمد الشدّة، وتخلّى عن العزّ واتّبع الذلّ، وهجر الرّاحة إلى الجهد، وردّل الغنى وركض وراء الفقر، ونبذ الأمل واستعدّ للموت! وكان يلبس في الشتاء فرواً ليس تحته قميص مبالغة في الزهد، شعاره:

اتّخذ الله صاحباً ودع الناس جانباً<sup>[١]</sup>

في المقابل، أكّد الإمام الرضا عليه السلام في رسالة لابنه الجواد عليه السلام على عدم الخضوع للمحيطين به من الخدم والأتباع، «لبنخل بهم لئلا ينال منك أحدٌ خيراً»، ولسعيهم لعزله عن المجتمع والعلاقات الإنسانيّة، وأوصاه بالانفتاح على الناس بالعطاء من موقع ثقته بالله «لا يكن مدخلك ومخرجك إلاّ من الباب الكبير، وإذا ركبت فليكن معك ذهبٌ وفضّةٌ، ثمّ لا يسألك أحدٌ إلاّ أعطيته، ومن سألك من عمومك أن تبرّه فلا تُعْطه أقلّ من خمسين ديناراً والكثير إليك، ومن سألك من عمّاتك فلا تعطها أقلّ من خمسةٍ وعشرين ديناراً والكثير إليك»<sup>[٢]</sup>.

لقد كان الإمام الجواد عليه السلام شاباً في مقتبل العمر، عاصر كلّ هذه التناقضات، كان المأمون يصدق عليه الأموال الوافرة، وكانت الحقوق الشرعيّة ترد إليه من شيعته من مختلف الأنحاء، ولم يكن ينفق منها شيئاً على نفسه، بل كان يصرفها على المحتاجين والفقراء المحرومين، ليصحّح سلوك الزهد والصلاح ومفهومها، وروى عليه السلام عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل عن الزاهد في الدنيا فقال: «الذي يترك حلالها مخافة

[١]- أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ص ١٣؛ وكان معروف الكرخي (منتصف القرن الثالث) يبكي وينشد في السّحر (ابو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبدالله، حلية الأولياء، ص ٥٤-٥٧):

أي شيء تريد منّي الذنوب شغفت بي فليس عني تغيب  
ما يضرّ الذنوب لو اعتقتني رحمة بي فقد علاني المشيب

[٢]- الصدوق، عيون أخبار الرضا، م، ج ٢، ص ٨؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م، ص ٢٤.

حسابه، ويترك حرامها مخافة عقابه». وقال الإمام الجواد عليه السلام: «أوحى الله إلى بعض الأنبياء: أمّا زهدك في الدنيا فتعجّلك الراحة، وأمّا انقطاعك إليّ فيعزّزك بي، ولكن هل عادت لي عدوّاً وواليت لي وليّاً»<sup>[١]</sup>.

#### رابعاً: مدرسة الإمام الجواد عليه السلام

بسبب الإمامة المبكّرة، واجه الاختبار بعد وفاة والده لا من المحيطين به فقط، بل من الأعداء والمشتبهين أيضاً، حتى تفتّقت العلوم الإلهية على يده، فكان واضح المعرفة غزير العلوم أذعن له أعداؤه والتحق به أولياؤه للنهل من علمه والرواية عنه. وقد سمّه المعتصم لأنّه شكّل خطراً على استمرار خلافتهم، ويكشف مواطن انحرافهم وبُعدهم عن الإسلام، خاصّة بعد أن تحدّى الفقهاء ومتكلمة عصره وتبيّن لهم تفوّقه العلمي والفكريّ على صغر سنه. «ففي مجلس واحد سألوه عن ثلاثين ألف مسألة أجابهم فيها وله تسع سنين. ورغم التضيق والمراقبة المفروضة عليه كان يتواصل سرّاً مع جهاز عقائديّ من الوكلاء الموالين والدعاة في أنحاء العالم الإسلاميّ يوجّههم برسائله وتوجيهاته بسرّيّة، وسمح لبعضهم تولّي مناصب في الإدارة العباسيّة لخدمة إخوانهم»<sup>[٢]</sup>.

#### ١ - الأصول العقديّة في مدرسة الإمام الجواد عليه السلام

تنوّعت احتجاجات الإمام الجواد عليه السلام ومقولاته في مواجهة الشبهات والشكوك والأوهام التي تسرّبت لِرِزْزَعَةِ العقيدة الإسلاميّة، وخاصّة أصل توحيد الله تعالى، فقد روى الشيخ الصدوق حديثاً يتّصل بأبي هاشم الجعفريّ، قال: سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ الثاني عليه السلام ما معنى الواحد؟ فقال: المجتمع عليه بجميع الألسن بالوحدانيّة. وعنه أيضاً قال: سألت أبا جعفر الثاني ما معنى الواحد؟ قال: الذي اجتمع الألسن عليه بالتّوحيد، كما قال الله عزّ وجلّ ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (لقمان: ٢٥)<sup>[٣]</sup>.

[١]- العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، ص ٢٤٤-٢٤٦.

[٢]- الكشي، محمّد بن عمر، رجال الكشي، ص ٥٥٠-٥٥١؛ المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٥٠، ص ١٠٥-١٠٨.

[٣]- الكليّني، أصول الكافي، م.س، ص ٥٦؛ الصدوق، التوحيد، م.س، ص ٨٢-٨٣؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، باب التوحيد، ص ٩٢.

وفند الإمام الجواد عليه السلام الكثير من الشبهات، مثل شبهة محمد بن عيسى في توهم شيء، فقال: «نعم غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام، وهو خلاف ما يتصور في الأوهام، إنما يتصور شيء غير معقول ولا محدود»<sup>[١]</sup>. ولما سئل الإمام الجواد عليه السلام هل يجوز أن يقال لله إنه شيء؟ فقال: نعم، يُخرجُه من الحدّين: حدُّ التعطيلِ وحدُّ التشبيهِ<sup>[٢]</sup> فإنَّ الشَّيْءَ التي تطلق على الممكنات لا تطلق عليه تعالى، إلا بشرط تجريده من حدِّ التعطيل وحدِّ التشبيه اللذين هما من أبرز صفات الممكن.

وسئل عن قوله تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (الأنعام: ١٠٣) قال عليه السلام: «أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند، والبُلدان التي لم تدخلها ولم تُدركها ببصرِك، فأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون؟!»<sup>[٣]</sup>. فإن ذات الله تعالى لا ترى بالعين الباصرة ولا تدركها أوهام القلوب ولا سعة الخيال لأنَّ كلاً منها محدود بحسب الزمان والمكان، وذات الله تعالى لا تحدُّ بالزمان والمكان.

وقريبا منها روى الطبرسي في احتجاجه «عن أبي داود بن القاسم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: قل هو الله أحد ما معنى الأحد؟ قال المجمع عليه بالوحدانية أما سمعته يقول ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (العنكبوت: ٦١)، ثُمَّ يَقُولُونَ بَعْدَ ذَلِكَ لَهُ شَرِيكَ وَصَاحِبَةٌ. فَقُلْتُ: قَوْلُهُ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (الأنعام: ١٠٣)؟ قَالَ: يَا أَبَا هَاشِمٍ أَوْهَامُ الْقُلُوبِ أَدَقُّ مِنْ أَبْصَارِ الْعُيُونِ أَنْتَ قَدْ تُدْرِكُ بِوَهْمِكَ السُّنْدَ وَالْهِنْدَ وَالْبُلْدَانَ الَّتِي لَمْ تَدْخُلْهَا وَلَمْ تُدْرِكْ بِبَصْرِكَ ذَلِكَ، فَأَوْهَامُ الْقُلُوبِ لَا تُدْرِكُهُ فَكَيْفَ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ؟!»<sup>[٤]</sup>

[١]- الكليني، أصول الكافي، م.س، ص ٥٠؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، باب المواعظ والحكم والسنن، ص ٩٠.

[٢]- الصدوق، التوحيد، م.س، ص ١٠٧؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، باب التوحيد، ص ٩٢.

[٣]- الكليني، أصول الكافي، م.س، ص ٥٨؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، ص ٩٠.

[٤]- الطبرسي، الاحتجاج، م.س، ج ٢، ص ٤٤٢.

ويظهر أن الانحراف فشا وشاع، فقد روى الشيخ الصدوق في حديث متصل عن الطيّب (يعني علي بن محمد) وعن أبي جعفر الجواد عليهما السلام أنّها قالوا: «من قال بالجسم فلا تعطوه من الزكاة ولا تصلّوا وراءه»<sup>[١]</sup>.

في مقام الإمامة والولاية، روى الكليني في حديث مسند عن أبي جعفر الثاني عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لابن عباس: «إنّ ليلة القدر في كلّ سنة، وإنّه ينزل في تلك الليلة أمر السنة؛ ولذلك الأمر ولاة بعد رسول الله، فقال ابن عباس: من هم؟ قال: أنا وأحد عشر من صليبي أئمة محدثون»<sup>[٢]</sup>. وبالإسناد نفسه روى عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: آمنوا بليلة القدر إنّها تكون لعلي بن أبي طالب ولولده الأحد عشر من بعدي<sup>[٣]</sup>. ويروى عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: والله إنّ أرواحنا وأرواح النبيين لتوافي العرش ليلة كلّ جمعة، فما ترد في أبداننا إلّا بالجسم الغفير من العلم<sup>[٤]</sup>. وليبيان مقام الإمام علي عليه السلام روى عنه بالإسناد نفسه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لأبي بكر يوماً: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» (آل عمران: ١٦٩)، وأشهد [أنّ] محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله مات شهيداً والله ليأتينك، فأيقن إذا جاءك فإنّ الشيطان غير متخيّل به، فأخذ علي عليه السلام بيد أبي بكر فأراه النبي صلى الله عليه وآله فقال له: يا أبا بكر آمن بعلي وبأحد عشر من ولده، إنهم مثلي إلّا النبوة. وتب إلى الله ممّا في يدك، فإنّه لا حقّ لك فيه، قال: ثمّ ذهب فلم ير<sup>[٥]</sup>. ومما روى الشيخ الصدوق أيضاً في الإمام علي عليه السلام عن أبي جعفر محمد بن علي الثاني عليهما السلام أنّه سمعه يقول: علّم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ألف كلمة، كلّ كلمة يفتح ألف كلمة<sup>[٦]</sup>.

[١]- الطبرسي، التوحيد، م، ص ١٠١؛ التهذيب، ج ٣، ص ٣٨٣. العطاردي، مسند الإمام الجواد، م، ص ٩٢.

[٢]- الكليني، الكافي، م، ص ١، ج ١، ص ٥٣٢؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م، ص ٩٦.

[٣]- الكليني، الكافي، م، ص ١، ج ١، ص ٥٣٣؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م، ص ٩٦.

[٤]- العطاردي، مسند الإمام الجواد، م، ص ٩٧.

[٥]- الطوسي، محمّد بن الحسن، الغيبة، ص ٩٢؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م، ص ٩٦.

[٦]- العطاردي، مسند الإمام الجواد، م، ص ٩٦.

## ٢- مناظراته عليه السلام

ذكر أبو منصور أحمد الطبرسي (القرن ٦هـ) مناظرات الإمام الجواد عليه السلام في كتابه الاحتجاج تحت عنوان «احتجاجه في أنواع شتى من العلوم»<sup>[١]</sup>، طرحت هذه الاحتجاجات مسائل شرعية شتى في العقائد والحديث والفقه وغيرها. أشهر هذه المناظرات عندما أراد المأمون تزويجه ابنته أم الفضل فاستنكر شيوخ العباسيين ذلك وغلظ عليهم وقالوا له: «نشدك الله يا أمير المؤمنين، ألا تُقيم على هذا الأمر الذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا، فإننا نخاف أن يخرج به عنا أمر قد ملكناه الله.. وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت، حتى كفانا الله المهمة من ذلك، فالله الله أن تردنا إلى غم انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره». فتحداهم المأمون بأنه أعرف به منهم، وأن أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى وإلهامه.. وعرض عليهم أن يمتحنوه، فقدموا القاضي يحيى بن أكثم لمناظرته<sup>[٢]</sup>. واجتمع له القوم وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم، وطرح عليه مسألة المحرم قتل صيداً؟ فرد عليه الإمام الجواد عليه السلام بتفصيل المسألة: «في حل أو حرم؟ عالماً كان المحرم أو جاهلاً؟ قتله عمدًا أو خطأ؟ حرًا كان المحرم أو عبدًا؟ صغيرًا كان أو كبيرًا؟ مبتدئًا كان بالقتل أو معيدًا؟ من ذوات الطير كان الصيد أم غيرها؟ من صغار الصيد أم كبارها؟ مصرًا كان على ما فعل أو نادماً؟ ليلًا كان قتله للصيد أم نهارًا؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟» فتحيّر ابن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع، وتلجلج حتى عرف أهل المجلس أمره. فقال المأمون الحمد لله على هذه النعمة، ثم سأله بيان مختلف الأحكام

[١]- الطبرسي، الاحتجاج، م.س، ج ١، صص ٤٥٥-٤٦١؛ ونجد ٨ روايات لدى العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، ص ١٨٠ فما بعد.

[٢]- العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، باب الاحتجاجات، صص ١٧٩-١٨١.

مفصلة<sup>[١]</sup>. كما ناظر ابن أكثم ودحص الموضوعات في فضائل الشيخين مثل مرويات: نزول جبرائيل وسؤاله إن كان أبو بكر راضياً عن الله تعالى! أو مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرائيل وميكائيل في السماء، أو سيّدا كهول أهل الجنة..<sup>[٢]</sup>. وقيل إن القاضي يحيى بن أكثم زار المدينة وطلب الجواد عليه السلام ليسأله عن مسائل أخبره عليه السلام قبل أن ينسب بشفة أن مسألته تتعلق بشخص الإمام وعلامته؟ تقول الرواية أن الإمام الجواد عليه السلام كانت في يده عصا، فنطقت وقالت: إن مولاي إمام هذا الزمان وهو الحجّة<sup>[٣]</sup>.

تصدّى الإمام الجواد عليه السلام لتصحيح العقائد وخاصّة التوحيد، وأسماء الله وصفاته والإمامة والولاية.. روى داود بن القاسم أبو هاشم الجعفري أن رجلاً ناظر الإمام الجواد عليه السلام في أسماء الله تعالى وصفاته فسأله: أخبرني عن الربّ تبارك وتعالى، له أسماء وصفات في كتابه؟ وأسماءه وصفاته هي هو؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «إن لهذا الكلام وجهين: إن كنت تقول هي هو، أي أنّه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك. وإن كنت تقول هذه الصفات والأسماء لم تزل، فإنّ «لم تزل» محتمل معنيين: فإن قلت لم تزل عنده في علمه وهو مستحقّها فنعم، وإن كنت تقول لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها، فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله ولا خلق، ثم خلقها وسيلةً بينه وبين خلقه يتضرّعون بها إليه، ويعبدونه وهي ذكره، وكان الله ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات. والمعاني والمعنيّ بها هو الله الذي

[١]- في معرض الردّ طرح عليه الإمام الجواد عليه السلام مسألة: أمّة لرجل من الناس، نظر إليها أجنبيّ في أوّل النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلّت له، فلما كان الظهر أعتقها فحرّمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوّجها فحلّت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرّمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كثر عن الظهار فحلّت له، فلما كان نصف الليل طلّقها واحدة فحرّمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلّت له. فصلّ المسألة وجوابها. المفيد، الإرشاد، م.س، صص ٣١٩-٣٢١؛ ص ٢٨١؛ الطبرسي، إعلام الوري، م.س، ص ٣٥٢؛ ونقل بعضها ابن حجر: العسقلاني، ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص ٢٠٦.

[٢]- العطارديّ، مسند الإمام الجواد، م.س، صص ١٨٧-١٩٠؛ ذكرها الأميني في سلسلة الموضوعات: الأميني، موسوعة الغدير، م.س، ج ٥، ص ٣٢١؛ الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد، م.س، ج ٢، ص ١٠٦؛ الذهبي، شمس الدين: ميزان الاعتدال، لا.ط، بيروت، دار المعرفة، ج ٢، ص ٣٠٢؛ الحسن، عبد الله، مناظرات في العقائد والأحكام، ج ١ (العقائد)، صص ١٢٥-١٢٨.

[٣]- الطبرسي، الاحتجاج، م.س، ج ١، ص ٤٤٥-٤٤٦؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، ص ١٨١؛ وخصّ العطارديّ ابن أكثم بترجمة، صص ٣٣٣-٢.

لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف وإنما يختلف ويأتلف المتجزئ، فلا يقال الله مؤتلف ولا الله قليل ولا كثير، ولكنه القديم في ذاته. لأن ما سوى الواحد متجزئ والله واحد لا متجزئ ولا متوهم بالقلّة والكثرة، وكلّ متجزئ أو متوهم بالقلّة والكثرة فهو مخلوق دالٌّ على خالق له. فقولك (إنّ الله قدير)، خبرت أنّه لا يعجزه شيء فنفيت بالكلمة العجز، وجعلت العجز سواه. وكذلك قولك «عالم»، إنّما نفيت بالكلمة الجهل، وجعلت الجهل سواه. وإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع ولا يزال من لم يزل عالماً<sup>[١]</sup>.

وطرحت على الإمام الجواد عليه السلام مسائل فقهية عديدة تعلقت بالنكاح والحدود والجنايات، وهي ليست مجرد شبهات شرعية، بل تكشف عن انحرافات خطيرة في استنباط وتطبيق الأحكام الشرعية.. مثال ذلك مسألة قطع يد سارق أقرّ على نفسه بالسرقه وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع الفقهاء في مجلسه وأحضر أبا جعفر عليه السلام، فسألهم عن القطع في أيّ موضع يجب؟ فقبل من الكرسوع بحجّة قوله تعالى في التيمم ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ (المائدة: ٦)، وقيل من المرفق لقوله تعالى ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ (المائدة: ٦)، وألحّ المعتصم على أبي جعفر فقال: «أما إذ أقسمت عليّ بالله إنّي أقول إنهم أخطأوا فيه السنّة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكفّ. قال: وما الحجّة في ذلك؟ قال: قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «السجود على سبعة أعضاء، الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ (الجن: ١٨) يعني هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨) وما كان لله لم يقطع. فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع، ما أثار حنق وحفيظة ابن أبي دواد الذي قال: قامت قيامتي وتمنيت أني لم أك حيّاً!!<sup>[٢]</sup>.

[١]- الكليني، أصول الكافي، م، ص، ٦٨؛ الطبرسي، الاحتجاج، م، ص، ٢، صص ٢٣٨-٢٤٠؛ المسعودي، إثبات الوصية، م، ص، ٢١٣؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م، ص، ١٨٥-١٨٦.

[٢]- العطاردي، مسند الإمام الجواد، م، ص، ١٨١-١٨٢.

أمام تفتي البدع والغلو والتجسيم أمر الإمام عليه السلام بالبراءة من الغلاة «وابرؤوا منهم برئ الله منهم»، وعدم جواز إعطاء الزكاة والصلاة وراء من قال بالتجسيم، ولعن أبا الخطاب وأصحابه والواقفين المشككين في إمامته مثل أبي الغمر وجعفر بن واقد وهاشم بن أبي هاشم «الذين استأكلوا الناس بنا وصاروا دعاة لما يدعو إليه أبو الخطاب»<sup>[١]</sup>.

### ٣- أصحاب الإمام الجواد عليه السلام

رغم صغر سن الإمام الجواد عليه السلام ومحاصرة العباسيين له وإخفاء إمامته عن الكثير، كان له أصحابه والتف الناس حوله في المدينة يوجههم ويعلمهم، ومارس مسؤولية الإمامة ينشر التسامح والانفتاح على المختلفين معه وخاصة من الأقرباء<sup>[٢]</sup>. روى عنه جمع كبير من العلماء من أصحابه وأصحاب أبيه الرضا عليه السلام، «روى أحمد بن محمد بن عيسى الحسن بن عليّ الوشا، أنه أدرك في مسجد الكوفة تسعمئة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد، أحصى الشيخ الطوسي في موسوعته الرجالية ١٢٣ من أصحابه، تنوعت اهتماماتهم وانتماءاتهم الاجتماعية والجغرافية، وتضمنت كبار العلماء والفقهاء والمحدثين وأعلام الأدباء، ونقتصر على ذكر أصحابه المميزين من ذوي التوجه العقائدي»<sup>[٣]</sup>.

- أحمد بن محمد بن أبي نصر أبو جعفر البزنطي الكوفي (ت ٢٢١ هـ)، ثقة ثبت ومصنف جليل القدر. عدّ في أصحاب الأئمة الكاظم والرضا، وكان من خاصة الجواد عليه السلام، أجمعوا على تصحيح كل مروياته وأقروا بفقده واجتهاده<sup>[٤]</sup>.

- عليّ بن مهزيار أبو الحسن الأهوازيّ الفقيه الثقة الدين، له نحو ٣٣ كتاباً، عدّ

[١]- روى الكشي عن اسحاق الأنباري أنّ الإمام الجواد عليه السلام أمره بقتل أبي المهري وابن أبي الزرقاء وكانا مفتريان من الغلاة بضلّان الشيعة. الكشي، رجال الكشي، م.س؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، ص ١٨٥-١٨٦.

[٢]- كتب إليه أحدهم يشكو أباه الناصبي، فكتب إليه الإمام الجواد عليه السلام: «..لست أدع الدعاء لك إن شاء الله، والمدارة خير من المكاشفة فلعله يميل إليك.. فاصبر فإنّ العاقبة للمتقين». المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٥، ص ٥٥.

[٣]- الكشي، رجال الكشي، م.س، ص ٥٤٩؛ النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، ص ١٠٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، م.س، ج ١٣، ص ٣١٥؛ العياشي، تفسير العياشي، م.س، ج ١، ص ١٣١؛ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٨؛ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، م.س.

[٤]- القمي، عباس، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، ج ٢، ص ٤٦١-٤٦٢.

في أصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادي عليهم السلام. روى عنهم وكان من خاصّة الإمام الجواد عليه السلام إليه تخرج تواقيعه. وكان أخوه إبراهيم بن مهزيار من الأجلّاء ومن أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام، يعدّ من سفراء الإمام المهديّ. وله كتاب البشارات<sup>[١]</sup>.

- الفضل بن شاذان أبو محمّد الأزديّ النيشابوريّ (ت ٢٦٠هـ)، ثقة جليل القدر من الفقهاء المتكلمين، صنّف ١٨٠ كتاباً في العقائد والتوحيد والرّد على المخالفين والرّد على الدامغة الشنويّة والرّد على الباطنيّة والقرامطة وعلى الغلاة.. عدّ في أصحاب الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام وله روايات عن الإمام الجواد عليه السلام، سقط منه كتاب من تصنيفه مرّة، فتناوله ونظر فيه وترحم عليه، وذكر أنّه قال: أغبط أهل خراسان مكان الفضل بن شاذان<sup>[٢]</sup>.

- السيّد عبد العظيم بن عبد الله الحسينيّ المحدث الثقة، كان جليل القدر عظيم المنزلة ذو ورع واجتهاد له باع في إظهار الحقّ، أدرك وروى عن الأئمة الرضا والجواد والهادي عليهم السلام. وكان وكيلاً للهادي في الريّ حيث توفّي، له روايات عديدة عن الجواد عليه السلام خاصّة في الإمامة والغيبة<sup>[٣]</sup>.

- موسى بن القاسم أبو عبد الله البجليّ، ثقة جليل القدر حسن الطريقة، عدّ في أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام، وله روايات عن أبي جعفر عليه السلام، صنّف ثلاثين كتاباً<sup>[٤]</sup>.

- محمّد بن أبي عمير الأزديّ (ت ٢١٧هـ)، جليل القدر عظيم المنزلة من أروع الناس وأتقاهم، أجمع الأصحاب على تصحيح ما يصحّ عنه، أقرّوا له بالفقه والعلم،

[١]- القمّي، عبّاس، منتهى الآمال في تواريخ النبيّ والآل، ج ٢، ص ٤٦٤-٤٦٥.

[٢]- القمّي، عبّاس، منتهى الآمال، م.س، ج ٢، ص ٤٦٢-٤٦٣؛ ابن شهر آشوب: معالم العلماء في فهرست كتب المصنّفين منهم قديماً وحديثاً، نشر إقبال عبّاس، ١٩٥٥، ص ١٢٥؛ الزركليّ، الأعلام، م.س، ج ٥، ص ١٤٩.

[٣]- العطارديّ، مسند الإمام الجواد، م.س، ص ٢٩٨-٣٠٨.

[٤]- م.ن، ص ٣٣٠.

عاصر الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام، قيل إنّه صنف ٩٤ كتاباً<sup>[١]</sup>.

- إبراهيم بن أبي البلاد الكوفي، ثقة قارئ أديب، صحب من الأئمة الصادق والكاظم والرضا والجواد عليهم السلام. روى عن الإمام الجواد عليه السلام، وأثنى عليه الإمام الرضا عليه السلام وخصّه برسالة بعثها إليه<sup>[٢]</sup>.

إبراهيم بن أبي محمود الخراساني مولى ثقة جليل القدر من أهل الحديث والرواية مصنف مكفوف البصر. عدّ في أصحاب الإمامين الكاظم والرضا، دعا له الإمام الجواد بالجنة<sup>[٣]</sup>.

- وعُدّ من أصحابه الأدباء: ابن السكّيت يعقوب بن إسحاق العالم النحوي، له مؤلّفات عديدة أشهرها إصلاح المنطق، وله عن أبي جعفر وأبي الحسن عليهما رواية ومسائل، وكان مقدّمًا لديهما يختصّانه. طلب إليه المتوكّل العبّاسيّ تأديب ولديه المعتزّ والمؤيد، فأدبهما حتّى كانا يتسابقان على تقديم نعليه. ولما رأى المتوكّل منها ذلك وكان يعلم بتشيعه، سأله هل ابناي هذان أفضل أم الحسن والحسين؟ فغضب ابن السكّيت وقال: والله إنّ قبراً خادماً عليّ بن أبي طالب خيرٌ منك ومن ولديك! فأمر المتوكّل حرسه فاستلّوا لسانه ومات من فوره (٢٤٤هـ)<sup>[٤]</sup>.

- الأديب الشاعر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ)، صاحب كتاب الحماسة، وحيد عصره في البلاغة والفصاحة، قال الجاحظ في كتاب الحيوان: «كان من رؤساء الرافضة»، ونقل الشيخ عبّاس القمّي عن العلامة في الخلاصة أنّه كان إمامياً له شعر كثير في أهل البيت عليهم السلام<sup>[٥]</sup>.

[١]- المامقاني، عبد الله، تنقيح المقال، ج ٢، ص ١-٦٤؛ القمّي، عبّاس، منتهى الآمال، م.س، ج ٢، ص ٥-٤٦٧؛ الخوئي، أبو القاسم الموسوي، معجم رجال الحديث، ج ١٤، ص ٢٧٩.

[٢]- العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، ص ٢٥٠.

[٣]- م.ن، ص ٢٥٠-٢٥١.

[٤]- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م.س، ج ٧، ص ٩١؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، م.س، ص ٣٩٤.

[٥]- رأى أحمد بن الحسين في نسخة عتيقة قصيدة يذكر الأئمة حتّى انتهى إلى أبي جعفر الثاني: القمّي، عبّاس، منتهى الآمال، م.س، ج ٢، ص ٤٦٣-٤٦٤.

#### ٤ - تراث الإمام الجواد عليه السلام حول الغيبة

خلف تراثاً متنوعاً من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، إلى روايات ونصوص في تفسير وتأويل بعض آيات القرآن الكريم، وفي بيان الأحكام الفقهيّة وفي الحكم والآداب والمواعظ والأدعية والأذكار والمناجاة.. مثال ذلك روايته عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام: «عليكم بطلب العلم، فإن طلبه فريضة والبحث عنه نافلة، وهو صلة بين الإخوان ودليل على المروّة، وتحفة في المجالس وصاحب في السفر وأنس في الغربة». ومن أدعيته التي كان يناجي بها ربّه بالتسبيح والتمجيد في محراب عبادته: «كيف يضيع من الله كافله؟ وكيف ينجو من الله طالبه؟ ومن انقطع إلى غير الله وكله الله إليه ومن عمل على غير علم أفسد أكثر ممّا يصلح»<sup>[١]</sup>.

تعددت روايات الإمام الجواد عليه السلام حول الغيبة في ظرف دقيق تطّلب من الأئمة الثلاثة الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام إعداداً وتهيئة شيعتهم لغيبة الإمام المهدي عليه السلام.<sup>[٢]</sup> روى عبد العظيم الحسيني قال: «قلت لمحمد بن علي بن موسى، يا مولاي، أني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً؟ فقال عليه السلام: ما منّا إلا قائم بأمر الله، وهاذ إلى دين الله، ولكن القائم الذي يطهر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، هو الذي تخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه، ويجرم عليهم تسميته، وهو سمّي رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي تطوى له الأرض ويذلّ له كلّ صعب. يجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر، ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض. وذلك قول الله ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٤٨)، فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل

[١]- انظر: ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي بن الحسين، تحف العقول، ص ٣٥٥؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، باب المواعظ والحكم والسنن، ص ٢٤٠.

[٢]- انظر: الطبرسي، الاحتجاج، م.س، ج ١، ص ٤٥٥؛ جمع له الشيخ العطاردي ثمانين روايات، العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، باب الغيبة، ص ٢٣١.

خرج بإذن الله، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى عز وجل. قال عبد العظيم: فقلت له، يا سيدي فكيف يعلم أن الله قد رضي؟ قال: يلقي في قلبه الرحمة»<sup>[١]</sup>.

وفي رواية أخرى للسيّد عبد العظيم قال: دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأنا أريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غيره، فابتدأني فقال لي: يا أبا قاسم إن القائم منّا، هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته، ويُطاع في ظهوره، هو الثالث من ولدي. والذي بعث محمدًا (صلى الله عليه وآله) بالنبوة وخصنا بالإمامة، إنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه، فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وإن الله تبارك وتعالى ليصلح له أمره في ليلة كما أصلح أمر كليمة موسى (عليه السلام)؛ إذ ذهب ليقبس لأهله ناراً، فرجع وهو رسول نبي، ثم قال (عليه السلام): أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج<sup>[٢]</sup>.

وروى النعماني أن أبا جعفر (عليه السلام) سئل: «من الخلف بعدك؟ فقال: ابني عليّ وابنا عليّ، ثم أطرق ملياً، ثم رفع رأسه، ثم قال: إنهما ستكون حيرة، قلت: فإذا كان ذلك فإلى أين؟ فسكت، ثم قال: لا أين - حتى قالها ثلاثاً - فأعدت عليه، فقال: إلى المدينة، فقلت: أيّ المدن؟ فقال: مدينتنا هذه، وهل مدينة غيرها؟!»<sup>[٣]</sup>.

## ٥ - شهادة الإمام الجواد (عليه السلام) وإمامة الهادي (عليه السلام)

أقام أبو جعفر (عليه السلام) مدة في بغداد عقب وفاة أبيه بعد أن استدعاه المأمون وزوجه ابنته، وضاق صدره من سوء معاشرته المأمون، فاستأذنه في الذهاب إلى الحج، والعودة إلى مدينة جدّه (صلى الله عليه وآله)، ولا يمكن موافقة الروايات التي تمدح ضمناً المأمون بأنه شُغف بأبي

[١]- الكليني، أصول الكافي، م.س، ص ٥٦؛ الطبرسي، الإحتجاج، م.س، ج ٢، ص ٢٤٩؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، ص ٩١.

[٢]- الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، م.س، ص ٣٧٧؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، ص ١٣١؛ الكوراني، علي، معجم أحداث الإمام المهدي، ج ٤، ص ١٨٤.

[٣]- النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة، ص ١٨٥؛ العطاردي، مسند الإمام الجواد، م.س، ص ١٣٣.

جعفر عليه السلام وأظهر إعجابه بفضله وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يدركه أحدٌ من مشايخ زمانه، فالمأمون داهية بني العباس وأبعدهم نظرًا وأشدّهم حزمًا، وبعد اغتياله للإمام الرضا عليه السلام، إنّما أراد بتزويجه ابنته أمّ الفضل التمويه على جريمته وإظهار براءته من دم أبيه، وبالتالي احتواءه وفرض المراقبة عليه، ولا ننسى أنّ ابنته تتّهمها أكثر الروايات بقتله<sup>[١]</sup>.

بقي الإمام الجواد عليه السلام في المدينة المنورة إلى أن توفّي المأمون وبويع أخوه المعتصم، وكان بدوره متوجّسًا من أبي جعفر عليه السلام بعد تحريض العباسيين ورجال بلاطه وتخويفهم من اجتماع الناس حوله ووثوبه على الخلافة! فلأجل ذلك مارس نفس السياسة التي مارسها أخوه المأمون من قبله، من إضمار المكر وإظهار الإعزاز والتبجيل مع الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام فلم يتغيّر منهجه ولا عدل عن كيد، وقد أخبر الإمام الجواد عليه السلام أصحابه بأثام رحلته الأخيرة، فقد روى محمد بن القاسم، عن أبيه قال: لما خرج أبو جعفر من المدينة في المرّة الأخيرة، قال: «ما أطيبك يا طيبة! فلستُ بعائد إليك»، وكان أوصى لولده عليّ الهادي عليه السلام وأخبرهم في تلك السنة التي توفّي فيها: «احملوا إليّ الخُمسَ فإنّي لستُ آخذُهُ مِنْكُمْ سِوَى عَامِي هَذَا». وقيل أنّ عمر بن الفرج الرخجيّ، وزير المعتصم أو واليه على المدينة حاول أن يغتال الإمام الجواد عليه السلام بالسمّ ولم يفلح<sup>[٢]</sup>، فاستقدمه إلى بغداد سنة ٢٢٠، مع زوجته أمّ الفضل، وقد علم بانحرافها عن أبي جعفر فأرادها ذريعة للذسّ عليه<sup>[٣]</sup>.

وسعى المعتصم لتضييق على الإمام، فجمع له العلماء ليحاووه عسى أن يجد له زلّة يؤاخذه عليها أو يسقط مقامه بها.. وزور عليه كتبًا تتضمن الدعوة لبيعته، وفي كلّ مناسبة كان يعلو شأن أبي جعفر عليه السلام وتظهر كرامته وفضله، ليزداد المعتصم حنقًا وغيظًا، وكان

[١]- ابن شعبة الحرّانيّ، تحف العقول، م، س، ص ٤٥١.

[٢]- المشهديّ، الثاقب في المناقب، م، س، ص ٥١٧، نقلًا عن: الكوراني، عليّ، الإمام محمد الجواد عليه السلام، ص ١٩٠-١٩١.

[٣]- ذكر ابن شهر آشوب أنّ زوجته أمّ الفضل بنت المأمون قامت بتسميمه. ابن شهر آشوب، المناقب، م، س، ج ٤، ص ٣٧٩؛ الطبرسيّ، إعلام الوريّ بأعلام الهدى، م، س، ص ٣٣٨.

قد شاع بين الناس مبلغ علم الإمام محمد الجواد عليه السلام وتصاعُر كبار الفقهاء والمحدثين بين يديه، وخاصة أبو دُوَادَ الإياديّ السجستانيّ قاضي قضاة المعتصم ومستشاره الأثير الذي حقد على الإمام الجواد عليه السلام حينما أخذ المعتصم برأيه في مسألة مقدار اليد المقطوعة من السارق وأهمل آراء بقية الفقهاء، فتميّز أبو دُوَادَ غيظًا وحنقًا على الإمام وسعى للشواية به وتدبير الحيلة في قتله<sup>[١]</sup>. وقال صاحبه زرقان أن أبا دُوَادَ حرّض المعتصم على قتل الإمام الجواد عليه السلام، رغم علمه ببطلان سعائته وأنه يدخل به النار<sup>[٢]</sup>!! وتكشف علته الواهية عن حقد وحسد كبيرين، فاستكثر ترجيح المعتصم كفة الإمام وأجاز حكمه بمحضر فقهاء وعلماء وأهل بيته وحاشيته. مع تصريحه بأن الجواد عليه السلام «يقول شطُرُ هذه الأمة بإمامته، ويدعون أنه أولى منه بمقامه»، وتذهب هذه الرواية إلى أن المعتصم أوكّل في اليوم الرابع من المناظرة إلى أحد وزرائه بأن يستدعي الإمام الجواد عليه السلام ويدسّ له السمّ في الطعام، فلم يزل يومه ذلك وليله حتى قبض. في حين ترجّح الروايات أن زوجته أمّ الفضل بنت المأمون سمّته بتحريض من عمّها المعتصم، لأنها كانت تضمر العداة والبغض للإمام، وكانت تتقد غيرة وحسدًا لزوجها أمّ الإمام عليّ الهادي عليه السلام.. وكانت دائمة الشكوى منه عند أبيها الذي عزم بعد اغتياله الإمام الرضا عليه السلام على عدم التعرّض لأهل البيت عليهم السلام. فتأمّرت مع عمّها وجعلت سُمًّا في عنب رازقيّ وضعت بين يديه، فلمّا أكل منه ندمت وجعلت تبكي، فقال: «ما بُكَأُوكُ؟ وَاللَّهِ لَيَضْرِبَنَّكَ اللَّهُ بِفَقْرٍ لَا يَنْجِبُ وَلَا يَنْسِرُ»، فهاتت بعلّة في جوفها، صار فيه ناسور (ورم) أنفقت مالها وأملاكها على تلك العلة واحتاجت إلى الاسترفاد والاستعانة بهال الآخرين.<sup>[٣]</sup>

كانت شهادته عليه السلام في آخر ذي القعدة سنة ٢٢٠ هـ بعد ثلاثين شهرًا، أي سنتين

[١]- يمكن اعتباره نموذجًا لوعاظ السلاطين ونصح الملوك، انظر نفوذه في الدولة ودالته على المعتصم: الدينوري، الأخبار الطوال، م.س، ص ٤٠٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، م.س، ج ١٠، ص ٣١٣.

[٢]- العطارديّ، مسند الإمام الجواد، م.س، ص ١٨٢-١٨٣، ص ٢٥٨؛ روى العياشيّ عن زرقان محمد بن شداد أبو يعلى المسمعيّ (ت ٢٧٨ أو ٢٧٩ هـ) من الفقهاء والمتكلمين ومن المقرّبين من ابن أبي داؤد الذي غضب عليه المتوكّل، فنكبه في ضياعه وأمواله وتوفي بالفالج سنة ٢٣٧ هـ. الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٧، ص ١٨٧.

[٣]- ابن عبد الوهّاب، حسين (ق ٥٥)، عيون المعجزات، ص ١١٨.

ونصف من هلاك المأمون مثلما روي عنه، «الفرج بعد المأمون بثلاثين شهراً»<sup>[١]</sup>. وعمره الشريف خمس وعشرون سنة وبضعة أشهر<sup>[٢]</sup>، وهو أصغر أئمة أهل البيت عليهم السلام سنّاً.. دُفن الإمام عليه السلام عند جدّه موسى بن جعفر عليه السلام في مقابر قريش في بغداد، صلّى عليه ظاهراً الوائق العبّاسيّ، وفي الحقيقة تولّى الإمام عليّ النقيّ الهادي عليه السلام أمر تجهيزه وتكفينه والصلاة عليه. فسلام الله على إمامنا الجواد يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً.

[١]- رواية ابن بزيع العطار ذكرها أبو الحسن الإربلي، كشف الغمّة في معرفة الأئمة، م.س، ج ٢، ص ٣٦٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٥٠، ص ٦٤.

[٢]- المفيد، الإرشاد، م.س، صص ٣٠٧-٣٢٦؛ الطبرسي، إعلام الوري، م.س، ص ٣٠٤.

## الخاتمة

نخلص في الأخير إلى نتائج مهمة انتهت إليها هذه الدراسة التاريخية التحليلية الموجزة لعصر الإمام الجواد عليه السلام وأدواره في الانتصار للعقيدة الحقّة، وإبطال المذاهب المنحرفة من داخل الدائرة الشيعية ومن خارجها، والنجاحات التي حقّقها في الحفاظ على مسيرة الإمامة، والجماعة المؤمنة في التاريخ رغم كلّ الظروف الصعبة التي اكتنفت هذه المسيرة ورغم التحديات التي واجهها والتي لا نجد لبعضها نظيراً في سيرة الأئمة السابقين له، ويمكن أن نجمل كلّ ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: جسّدت إمامة السّجاد تدشيناً لظاهرة جديدة في تاريخ الإمامة، ألا وهي الإمامة المبكرة، فكان أوّل إمام يتصدّى لهذا المنصب في سنّ الصبا؛ وذلك تمهيداً للإمامة المبكرة للأئمة من بعده كابنه الإمام الهادي عليه السلام وبالخصوص لإمامة المهدي عليه السلام.

ثانياً: إثبات جدارة خطّ أهل البيت عليهم السلام للقيادة والإمامة وإفشال كلّ مؤامرات السلطة لاحتواء الإمام، أو للاستفادة من تقرب الحكام منه لإضفاء شرعية على سلطانهم.

ثالثاً: إفشال كلّ محاولات التسقيط والتوهين التي سعت لها السلطة إزاء الإمام

رابعاً: تعميق المفاهيم العقائدية الأصيلة في التوحيد والتنزيه والنبوة والإمامة، والغيبة....

خامساً: مواجهة الفرق المنحرفة والاتجاهات الضالّة في الساحة الإسلامية العامّة: كالمعتزلة والمجسّمة، والمشبهة، وفقهاء السلطة.... وفي داخل الدائرة الشيعية: كالواقفة، والغلاة....

سادساً: التمهيد للإمامة المبكرة للإمام الهادي، وللإمام الحجّة أيضاً.

سابعاً: التمهيد لغيبة الإمام المهدي عليه السلام وتعزيز أسلوب الوكلاء وتضييق دائرة الاتصالات المباشرة بشيعته.

## قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. ابن الأثير، إسماعيل بن عمر (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ط ٢، بيروت، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٥.
٣. ابن الجوزي، عبد الرحمان بن الحسن، صفة الصفوة، تح: م فاخوري وقلعجي، لا. ط، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٦.
٤. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط ٢، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٥.
٥. ابن الصبّاغ الصفاقسيّ المالكيّ (ت ٨٥٥هـ)، الفصول المهمّة، تقديم: توفيق الفكيكيّ، بيروت، منشورات دار الأضواء، ١٤٠٩هـ.
٦. ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملقب (ت ٦٨٥هـ)، تاريخ مختصر الدّول، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٢.
٧. ابن بابويه القميّ، عليّ بن الحسين (ت ٣٢٩هـ)، الإمامة والتبصرة من الحيرة، قم، مدرسة الإمام المهديّ، ١٤٠٤هـ.
٨. ابن تغري بردي، ابو المحاسن الأتابكيّ (ت ٨٧٤هـ)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد أمين، لا. ط، القاهرة، ١٩٨٦.
٩. ابن حجر العسقلانيّ، شهاب الدين أبو الفضل، الصواعق المحرقة، تح: ع عبد اللطيف، القاهرة، شركة الطباعة الفنيّة المتّحدة، ١٩٦٥.
١٠. ابن حمزة الطوسيّ المشهديّ، محمد بن عليّ، الثاقب في المناقب، تح: نبيل رضا علوان، لا. ط، قم، مؤسّسة أنصار بيان للطباعة والنشر، ١٤١٢.

١١. ابن خلدون، عبد الرحمان، المقدمة، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.
١٢. ابن خلدون، عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢.
١٣. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٨.
١٤. ابن شعبة الحرّانيّ، الحسن بن عليّ بن الحسين: تحف العقول، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط٢، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، ١٤٠٤.
١٥. ابن شهر اشوب، محمد بن علي (ت ١١٩٢ م)، مناقب آل أبي طالب، النجف، نشر المطبعة الحيدريّة، ١٩٥٦.
١٦. ابن شهر اشوب، محمد بن عليّ، معالم العلماء في فهرست كتب المصنّفين منهم قديماً وحديثاً، نشر إقبال عباس، ١٩٥٥.
١٧. ابن قتيبة الدينوريّ، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم: كتاب عيون الأخبار، لا. ط، بيروت، دار الكتاب العربيّ، (د.ت).
١٨. ابن قتيبة الدينوريّ، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، القاهرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩٢ م.
١٩. ابن كثير الدمشقيّ، اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت).
٢٠. ابن كثير الدمشقيّ، اسماعيل بن عمر، تفسير ابن كثير، ط٥، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٨٦.
٢١. أبو الحسن الماورديّ الشافعيّ، علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ)، الأحكام السلطانيّة

١٩٩٠. والولايات الدينية. تح: السبع العلمي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٠.
٢٢. أبو القاسم البلخي؛ القاضي عبد الجبار؛ الحاكم الجشمي، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيد، ط٢، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦.
٢٣. أبو جعفر الإسكافي، محمد بن عبد الله (ت ٥٢٤٠هـ)، المعيار والموازنة في تفضيل علي عليه السلام، تح: محمد باقر المحمودي، بيروت، (دن)، ١٤٠٢هـ.
٢٤. أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، الاقتصاد في الاعتقاد، تح: عبد الله محمد الخليل، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤.
٢٥. أبو طالب الماروني، يحيى بن الحسين (ت ٤٢٤هـ)، الإفادة في تأريخ الأئمة السادة، ط٤، مكتبة أهل البيت عليهم السلام، ١٤٣٥.
٢٦. أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٣٨.
٢٧. الأربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمة، ط٢، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٥.
٢٨. الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد م عبد الحميد، ط٢، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٩.
٢٩. الأمين، محسن العاملي، أعيان الشيعة، بيروت، دار التعارف للمطبوعات.
٣٠. البحراني، هاشم (ت ١١٠٧هـ)، حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار، مؤسسة المعارف الإسلامية، (دت).
٣١. البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، بيروت، دار الكتب العلمية.
٣٢. البغدادي الإسفراييني، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق، بيروت، دار الكتب العلمية، (دت).

٣٣. الجهياري، محمد بن عبدوس، الوزراء والكتّاب، ط١، القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ١٩٣٨.

٣٤. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، بيروت، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، ٢٠٠٤.

٣٥. الحسن، عبد الله، مناظرات في العقائد والأحكام، انتشارات دليل، ١٤٢١هـ.

٣٦. الحسيني، هاشم معروف، عقيدة الشيعة الإمامية، بيروت، منشورات دار الكتاب اللبناني.

٣٧. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن عليّ (ت ٤٦٣ هـ)، تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب العلميّة، (د.ت).

٣٨. الخوارزمي، الموفق بن أحمد المكيّ، المناقب، مؤسسة النشر الجامعيّ، قم، ١٤١١ هـ.

٣٩. الخوانساري، محمد باقر الموسوي، روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، قم، نشر إسماعيليان، ١٣٩٠ هـ ش.

٤٠. الدميري، كمال الدين، حياة الحيوان الكبرى، لا.ط، بيروت، دار الفكر، (د.ت).

٤١. الدوري، عبد العزيز، الجذور التاريخية للشعبوية، ط٤، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٠.

٤٢. الدوري، عبد العزيز، العصر العباسيّ الأوّل، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ٢٠٠٦.

٤٣. الذهبيّ، شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ)، تذكرة الحفاظ، مكتبة الحرم المكيّ، دائرة المعارف العثمانيّة، حيدرآباد الدكن، (د.ت).

٤٤. الذهبيّ، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام المؤلف، تح: ع ع التدمريّ، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٩٩٣.

٤٥. الراوي، عبد الستار، ثورة العقل: مدرسة بغداد الاعتزالية: دراسة فلسفية، القاهرة، دار الخلود للتراث، ٢٠٠٦.
٤٦. الرفاعي، محمد سراج الدين، صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأبرار، تح: عارف أحمد عبد الغني.
٤٧. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط ١٠، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٢.
٤٨. السيد، رضوان، «رؤية الخلافة وبنية الدولة في الإسلام»، الاجتهاد، عدد ١٣، ١٩٩١.
٤٩. السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨.
٥٠. الشاكري، حسين، النحلة الواقفية، قم، ١٩٩٧.
٥١. الشبلي، عبد الكريم، مدونة النوازل المالكية، نسخة مرقونة تونس، ١٩٩٩.
٥٢. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تح: م بدران، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
٥٣. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، نهاية الإقدام في علم الكلام، القاهرة، مكتبة زهران، بدون تاريخ.
٥٤. الصدوق، محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، عيون أخبار الرضا، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٠.
٥٥. الطبرسي، أحمد (القرن ٥٦)، الاحتجاج، تح محمد باقر الموسوي، ط ٣، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٠.
٥٦. الطبري، محمد بن جرير: دلائل الإمامة، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، ط ١، قم، مؤسسة البعثة، ١٤١٣ هـ.ق.

٥٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٤، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩.
٥٨. الطوسي، محمد بن الحسن بن عليّ (ت ٤٦٠ هـ)، مصباح المتهجد وسلاح المتعبّد، ط ١، بيروت، مؤسّسة فقه الشيعة، ١٩٩١.
٥٩. الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة، تح: الطهراني وناصح، قم، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، ١٤١١ هـ.
٦٠. العطارديّ، عزيز (جمع وترتيب)، مسند الإمام الجواد، بيروت، دار الصفوة، ٢٠١٢.
٦١. العلويّ، نجم الدين عليّ (ق ٥ هـ)، المجدي في أنساب الطالبيين، تحقيق: الدكتور أحمد الدامغانيّ، قم، ١٤٠٩ هـ.
٦٢. القلقشنديّ، أحمد بن عليّ (ت ٨٢١ هـ)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح: ع أفراج، مطبعة الكويت، ١٩٨٥.
٦٣. القميّ، عباس، منتهى الآمال في تواريخ النبيّ وآل، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ.
٦٤. الكشيّ، محمد بن عمر، رجال الكشيّ، تح السيد الحسينيّ، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، ٢٠٠٩.
٦٥. الكلينيّ، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ، ٢٠٠٥.
٦٦. الكورانيّ، عليّ (إشراف)، معجم أحاديث الإمام المهديّ، قم، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، ١٤١١ هـ.
٦٧. الكورانيّ، عليّ العامليّ، الإمام محمد الجواد عليه السلام، قم المقدّسة، ١٤٣٣ هـ.
٦٨. المامقانيّ، عبد الله: تنقيح المقال، مؤسّسة أهل البيت لإحياء التراث.

٦٩. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، بيروت، مؤسّسة الوفاء، ١٩٨٣.
٧٠. المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، قم، مؤسّسة دار الكتاب الإسلامي.
٧١. المسعودي، علي بن الحسن (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بغداد، دار الكتاب العربي، (د.ت).
٧٢. المسعودي، علي بن الحسن، إثبات الوصيّة، ط النجف، ١٣٧٤هـ.
٧٣. المسعودي، علي بن الحسن، التنبيه والإشراف، بيروت، دار الهلال، ١٩٨١.
٧٤. المفيد، محمد بن محمد (ت ٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تح: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، ط٢، بيروت، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣.
٧٥. النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط٨، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١.
٧٦. التّوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشّيعيّة، المطبعة الحيدريّة النجف، ١٩٣٦.
٧٧. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠.
٧٨. بدوي، عبد الرحمن، التراث اليوناني في الحضارة الإسلاميّة، ط٤، وكالة المطبوعات (الكويت) ودار القلم (بيروت)، ١٩٨٠.
٧٩. بن الحجّاج بن مسلم القشيري، مسلم، صحيح مسلم، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٤.
٨٠. بن عبد الوهّاب، حسين (ق ٥هـ)، عيون المعجزات، نشر محمد كاظم الشيخ صادق الكتبي، المطبعة الحيدريّة النجف، ١٩٥٠.
٨١. تولو، إبراهيم، أبو الحسن الماوردي، رسالة ماجستير، جامعة المصطفى، دمشق، ٢٠٠٧.

٨٢. جار الله، زهدي، كتاب المعتزلة، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٤٧.
٨٣. جمال الدين أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر والطباعة، ١٩٧٢.
٨٤. حسن إبراهيم، حسن، تاريخ الإسلام، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٦٤.
٨٥. رسول جعفریان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، بيروت، دار الحق، ١٩٩٤.
٨٦. سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزعلي (ت ٦٥٤ هـ)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٧٠ هـ.
٨٧. سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزعلي البغدادي (ت ٦٥٤ هـ)، تذكرة الخواص، تح: م ص بحر العلوم، مكتبة نينوى، طهران (د.ت).
٨٨. ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، ط٦، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
٨٩. قراملكي، محمد حسن قردان، الإمامة، تر: حسن مطر، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ٢٠١٦.
٩٠. كمال، عبد اللطيف، في تشريح أصول الاستبداد، قراءة في نظام الآداب السلطانية، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٩.
٩١. محمد بن طلحة الشافعي، كمال الدين (ت ٦٥٢ هـ)، مطالب السؤل في مناقب آل الرسول، بيروت، مؤسسة البلاغ، (د.ت).
٩٢. مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تح: دي جونج، ليدن، ١٨٦٩.

# أدوار الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام في التأسيس الكلامي

د. عبد الكريم الشبلي (\*)

## مقدمة

تصدى الإمام الهادي عليه السلام لمسؤوليات الإمامة مبكراً بعد شهادة والده الإمام الجواد عليه السلام رغم صغر سنّه، فطُرحت من جديد إشكالية إمامة الصغير أو الإمامة المبكرة، وظهرت مفاهيم غيبة الإمام، وبالتالي المهديّة وعلم الإمام والمعجزة والكرامة.. وانشغل فترة إمامته في مناظرة المخالفين والتصديّ للعديد من الشبهات العقائديّة التي تسرّبت عند المسلمين وبيان مسائل تتعلّق بالتوحيد والقدر والزهد. وقد نصّت الروايات على إمامة الهادي عليه السلام ووصايته ومقامه عند الله عزّ وجلّ، وتؤكد التراجم التي عرّفت به نباهته الاستثنائية والثقة اللامتناهية ورباطة الجأش، وفصاحته أمام عدوّه قبل أوليائه، شكّل أيضاً إماماً معجزة، انفتحت إمامته على كلّ الواقع وهو بعدُ في سنّ الصّبي، وحيّر العقول بعلمه الوافر وإجاباته عن أعقد المسائل، وأظهر قدرته على تبيان حكم الله في شريعته، ما سئل عن مسألة إلاّ أجاب عنها محتجّاً بكتاب الله وسنّة رسوله. وما دخل مناظرة إلاّ أفحم خصومه مهما علا شأنه من شيوخ القوم وعلماهم. في عصر الإمام الهادي عليه السلام تصاعد نزاع العباسيين على الحكم، وبلغ المعتزلة ذروة نفوذهم والتأثير على القرار العباسيّ وفرض معتقداتهم، وخاصّة القول بخلق القرآن منذ خلافة المأمون، ومع تقلّب أهواء بني العباس حلّ محلّهم الأشاعرة. في عصره شاعت المدارس المنحرفة، مثل الجبريّة والمجسّمة، وظهرت في المجتمع الإسلاميّ آراء ونظريات كلاميّة متعدّدة أثارت الجدل والفتنة على قدم وساق حول مسائل كلاميّة مثل

(\*)- أستاذ التاريخ في الجامعة التونسية.

الجبر والتفويض وإمكان رؤية الله من عدمها وجسميته تعالى وكلامه.

وفي هذه الدراسة، نحاول الوقوف عند أدوار الإمام الهادي في مجال العقيدة وعلى كل الأصعدة: مواجهة الانجرافات العقدية، الترويح والتأصيل للمفاهيم العقدية الأصيلة، مناظرة الخصوم، إعداد الأصحاب وحماية الطليعة المؤمنة وتحصينها عقدياً.... في مسار بحثي وفق العناصر الآتية:

- التعريف بالإمام عليه السلام

- قضية الإمامة المبكرة وأبعادها المختلفة

- تقلبات العصر العباسي وانحرافات التي عاشها تحت الإقامة الجبرية في مدينة العسكر

- مناظراته وتصديده لانحرافات عصره

- تراثه العقائدي الذي يعكس كثرة الشبهات وأهمية النشاط الكلامي في عصره

- أهمية المدرسة التي تنسب للإمام الهادي عليه السلام

### أولاً: التعرّف على الإمام الهادي عليه السلام

الإمام علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أبو الحسن عاشر أئمة أهل البيت عليهم السلام، مثال آخر لإمامة الصغير، أظهر آيات الذكاء الخارق والنبوغ المبكر، ما ينبئ عن الرعاية الإلهية التي خص بها منذ نعومة أظفاره، وأحقية أهل البيت عليهم السلام في زعامة الأمة الإسلامية دينياً ودينياً، ونيابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في كل مناصبه القيادية والرسالية<sup>[١]</sup>. بشرّ الرسول صلى الله عليه وآله بولادته في حديث طويل حول الأئمة عليهم السلام بقوله: «..وأن الله ركّب في صلبه (الإمام الجواد عليه السلام) نطفة لا باغية ولا طاغية، بازة مباركة، طيبة طاهرة، سّأها عنده علي بن محمد فألبسها السكينة والوقار،

[١]- العطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد، ج ١، ص ١٣.

وأودعها العلوم، وكلَّ سرَّ مكتوم.. وفي صدره شيء أنبأه به، وحذَّره من عدوِّه»<sup>[١]</sup>.

وُلد أبو الحسن الثالث عليه السلام في قرية صريا التي أسَّسها الإمام الكاظم عليه السلام على ثلاثة أميال من المدينة، للنصف من ذي الحجة سنة ٢١٢هـ/ ٩ أذار ٨٢٨م<sup>[٢]</sup>. أشار ابن الجوزي والحافظ الخطيب البغدادي وابن الوردي وآخرون إلى مولده في رجب<sup>[٣]</sup>.

قال كمال الدين بن طلحة: «كنيته أبو الحسن، وألقابه أشهرها: الهادي والناصح والفتاح والنقي والمرضى، وأشهرها المتوكَّل وكان يخفي ذلك ويأمر أصحابه أن يُعرضوا عن ذكره لكونه كان لقب الخليفة أمير المؤمنين المتوكَّل يومئذ»<sup>[٤]</sup>. قال الصدوق في حديث معاني أسماء الأئمة عليهم السلام: سمِّي الإمامان علي بن محمد والحسن بن علي العسكريين عليهما السلام نسبة إلى المحلَّة التي سكنها بسرَّ من رأى وكانت العامَّة تسمِّيها عسكريًا. كان أسمر اللون، نقش خاتمه «الله ربِّي وهو عصمتي من خلقه»<sup>[٥]</sup>.

قال الكليني: «أمه أم ولد مغربيَّة يقال لها سمانه»، وقال ابن شهر آشوب: «سمانة المغربيَّة ويقال: إن أمه معروفة بالسيدة أم الفضل، وقيل اسمها جمانة»<sup>[٦]</sup>. روي عن أبي الحسن قوله: «أمِّي عارفة بحقي، وهي من أهل الجنة ما يقربها شيطان مريد ولا ينالها كيد جبَّار عنيد، وهي مكلاة بعين الله التي لا تنام ولا تتخلف عن أمهات الصديقين والصالحين»<sup>[٧]</sup>. خلف الإمام الهادي عليه السلام خمسة أولاد: أبو محمد الحسن الإمام من

[١]- ابن عبد الوهَّاب، حسين (ق ٥٥هـ)، عيون المعجزات، ج ١، ص ٦٢، ح ٢٩.

[٢]- وقبل سنة ٢١٤هـ. الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ج ١، ص ٤٩٧؛ المفيد، محمد بن محمد (ت ٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد، ص ٣٠٧؛ عزيز الله، العطاردي، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد، م. س، ج ١، ص ١٣.

[٣]- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزعلي البغدادي (ت ٦٥٤هـ)، تذكرة الخواص، ص ٣٦٢؛ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٥٧؛ ابن الصباغ الصفاقسي المالكي (ت ٨٥٥هـ)، الفصول المهمة، ص ٢٧٧.

[٤]- ابن طلحة الشافعي، كمال الدين محمد (ت ٦٥٢هـ)، مطالب السؤل في مناقب آل الرسول، ص ٨٨.

[٥]- سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، تذكرة الخواص، ص ٣٥٩؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، م. س، ص ٢٧٧.

[٦]- الخوارزمي، الموفق بن أحمد المكي، المناقب، ج ٢، ص ٤٤٢؛ الأربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٧٤؛ ابن طلحة الشافعي، كمال الدين محمد (ت ٦٥٢هـ)، مطالب السؤل في مناقب آل الرسول، ص ٨٨؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، م. س، ص ٣٥٩؛ روى الشيخ المفيد قصة شرائها وعقبتها: المفيد، الإرشاد، م. س، ص ٣٠٧؛ الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى، ص ٣٣٩.

[٧]- الرواية عن محمد بن الفرج وعلي بن مهزيار. المسعودي، علي بن الحسين، إثبات الوصية، ص ٢٢٠.

بعده، والحسين ومحمد وجعفر (الملقب بالكذاب) وابنته عليّة أو عائشة<sup>[١]</sup>.

كان الإمام الهادي عليه السلام مقبلاً على الله منيباً إليه، يُحْيِي ليليه بالعبادة ومناجاة الله وتلاوة كتابه، لم يرَ الناس في عصره مثله في عبادته وتقواه<sup>[٢]</sup>، ذكرت قصص كثيرة من استجابة دعاء الإمام عليه السلام، منها:

روى المنصوري عن عمّ أبيه، قال: قصدت الإمام عليّ الهادي عليه السلام، فقلت له: يا سيّدي إنّ هذا الرجل (المتوكّل) قد أطر حني وقطع رزقي، وملّني وما أتّم به في ذلك هو علمه بملازمتي لك، وطلب من الإمام التوسّط في شأنه عند المتوكّل، فقال عليه السلام: تُكفّي إن شاء الله، ولما صار الليل طرفته رسل المتوكّل راح معهم إلى قصره، فاستقبله الفتح وأدخله على المتوكّل، فقابلته منشرحاً وقضى له حوائجه وضاعف له الصلوات.

كما روي أنّ عليّ بن جعفر أحد وكلاء الإمام عليه السلام ببغداد سُعي به إلى المتوكّل فحبسه، وبقي في ظلمات السجون طويلاً حتّى ضاق به الأمر، وفشلت كلّ الوساطات في إطلاق سراحه، فكتب إلى الإمام الهادي عليه السلام جاء فيها: «يا سيّدي، الله الله فيّ، فقد خفت أن أرتاب». فوَّع الإمام على رسالته: «أما إذا بلغ بك الأمر ما أرى فسأقصد الله فيك»، وأصبح المتوكّل محمومًا ذنفاً ازدادت به الحمى فأمر بإطلاق جميع المساجين، وأمر بإطلاق سراح عليّ بن جعفر بالخصوص، وأن يلتمس منه أن يجعله في حلّ مما ارتكبه منه، ثمّ نزع إلى مكّة فأقام بها بأمر من الإمام عليه السلام.

## ثانياً: الإمام الهادي عليه السلام والإمامة المبكّرة

تقلّد أبو الحسن عليه السلام منصب الإمامة الإلهي بعد شهادة أبيه الجواد عليه السلام في الثامنة من عمره الشريف. ونجد عديد الروايات والشهادات التي نصّت على إمامته<sup>[٣]</sup>، يروى

[١]- المفيد، الإرشاد، م.س، ص ٣٠٧؛ المسعودي، إثبات الوصية، م.س، ص ٢٢٠؛ الطبرسي، إعلام الوري، م.س، ص ٣٤٩.

[٢]- الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج ٤ ص ٧٥٠.

[٣]- خصّص الشيخ عزيز الله العطاردي باباً لدلالات إمامته، العطاردي، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد، م.س، ج ١، صص ١٠٤-١٤٥.

منها أن «أبا الحسن كان جالساً يقرأ من اللوح لمؤدّب له يكتنّى أبو زكريّا، وكان أبو جعفر عليه السلام ببغداد، إذ بكى بكاءً شديداً فسأله المؤدّب: ممّ بكأوك؟ فلم يجبه. فقال: ائذن لي بالدخول فأذن له، فارتفع الصياح والبكاء من منزله، ثم خرج إلينا فسألنا عن البكاء، فقال: إن أبي قد توفّي الساعة! فقلنا: بم علمت؟ قال: دخلني من إجلال الله ما لم أكن أعرفه قبل ذلك، فعلمت أنّه قد مضى»<sup>[١]</sup>. وروى الكليني: «قيل له، وكيف عرفت؟ قال: لأنّه تداخلني ذلّة الله لم أكن أعرفها»<sup>[٢]</sup>.

كان المعتصم العباسي (٢١٨-٢٢٧هـ) مكابراً منكرًا مقام إمامة أبي الحسن الهادي عليه السلام، البالغ من العمر آنذاك ستّ سنين وأشهرًا، عهد به إلى الجنيديّ المؤدّب الذي كان شديد البغض للعلويين، بقصد تأديبه ومنع زيارته والاتّصال به. فذهل الجنيديّ ممّا كان يراه من حدّة ذكائه. والتقى محمّد بن جعفر بالجنيديّ، فقال له: «ما حال هذا الصبيّ الذي تؤدّبه؟ فأنكر الجنيديّ ذلك، وراح يقول: أتقول: هذا الصبيّ؟! ولا تقول هذا الشيخ؟ أنشدك بالله، هل تعرف بالمدينة من هو أعرف منّي بالأدب والعلم؟ قال: لا. فقال الجنيديّ: «إني والله لأذكر الحرف في الأدب، وأظنّ أنّي قد بالغت، ثمّ إنّه يملئ أبواباً أستفيدها منه، فيظنّ الناس أنّي أعلمه، وأنا والله أتعلّم منه. وقيل إنّ جانب النّصب لأهل البيت عليهم السلام، ودان لهم بالولاء واعتقد بإمامته»<sup>[٣]</sup>.

صرّح الإمام الجواد عليه السلام قبل استشهاده بإمامة ابنه عليّ الهادي عليه السلام في أكثر من مناسبة وأكثر من نصّ:

\* «عن إسماعيل بن مهران قال: لما أخرج أبو جعفر في الدفعة الأولى من المدينة إلى بغداد قلت له: إني أخاف عليك في هذا الوجه فإلى من الأمر بعدك؟ قال: فكرّ بوجهه إليّ ضاحكًا وقال: ليس حيث ظننت في هذه السنة. فلمّا استدعاه المعتصم صرت إليه فقلت: جعلت فداك أنت خارج فإلى من الأمر بعدك؟ فبكى حتى اخضلتّ لحيته، ثمّ

[١]- الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، ص ٤١٦.

[٢]- الكليني، الكافي، م.س، ج ١، ص ٣٨١؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد، م.س، ج ١، ص ١٠٤.

[٣]- المسعودي، إثبات الوصية، ص ٢٢٢؛ المحلّاتي، ذبيح الله، مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، ج ٣، صص ٩١-٩٥؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد، م.س، ج ١، صص ١١٥-١١٦.

التفت إليّ فقال: عند هذه يخاف عليّ، الأمر من بعدي إلى ابني عليّ»<sup>[١]</sup>.

\* «عن الخيراني أنّ أبا جعفر عليه السلام أوصى: إنّي ماض والأمر صار إلى ابني عليّ وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي». ولما أصبح أبي كتب نسخة الرسالة في عشر رقاع بلفظها وختمها ودفعها إلى عشرة من وجوه العصابة وقال لهم: إن حدث بي حدث الموت قبل أن أطالبكم بها فافتحوها واعملوا بها فيها»<sup>[٢]</sup>.

\* «عن محمد بن الحسين الواسطيّ أنّه سمع أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر عليه السلام يحكي أنّه أشهده على هذه الوصيّة المنسوخة: «شهد أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر أنّ أبا جعفر محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أشهده أنّه أوصى إلى عليّ ابنه بنفسه وإخوته وجعل أمر موسى إذا بلغ إليه، وجعل عبد الله بن المساور قائماً على تركته من الضياع والأموال والنفقات والرقيق وغير ذلك إلى أن يبلغ عليّ بن محمد»<sup>[٣]</sup>.

\* قال محمد بن عليّ: «حدثنا عبد الواحد بن محمد ابن عبدوس العطار، قال حدّثنا عليّ بن محمد بن قتيبة النيسابوريّ، قال حدّثنا حمدان بن سليمان، قال حدّثنا الصقر بن أبي دلف، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «الإمام بعدي ابني عليّ، أمره أمري وقوله قولي وطاعته طاعتي»<sup>[٤]</sup>.

\* «عن عليّ بن محمد السنديّ، قال محمد بن الحسن، قال حدّثنا عبد الله بن جعفر الحميريّ، عن أحمد بن هلال، عن [أمية بن عليّ] القيسيّ، قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام من الخلف من بعدك؟ قال: ابني عليّ. ثمّ قال: إنّه سيكون حيرة. قال: قلت وإلى أين؟ فسكت ثمّ قال: إلى المدينة. قلت: وإلى أيّ مدينة؟ قال: مدينتنا هذه، وهل مدينة غيرها؟»<sup>[٥]</sup>.

[١]- الكلينيّ، الكافي، م.س، ج ١، ص ٣٢٣؛ المجلسيّ، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، ج ٥٠، ص ١١٨؛ المفيد، الإرشاد، م.س، ص ٣٠٨.

[٢]- الكلينيّ، الكافي، م.س، ج ١، ص ٣٢٤؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي عليه السلام، م.س، ص ١٩.

[٣]- الكلينيّ، الكافي، م.س، ج ١، ص ٣٢٥؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي عليه السلام، م.س، ص ٢٠.

[٤]- الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٤٠٦.

[٥]- الخزاز القمي، أبو القاسم علي بن محمد كفاية الأثر، ص ٢٨٤.

روى الطبرسي أنّ إمامته المبكّرة واجهت معارضة، «رفع زيد بن موسى إلى عمر بن الفرج مرارًا يسأله أن يقدمه على ابن أخيه ويقول: إنه حدث وأنا عمّ أبيه! فقال عمر ذلك لأبي الحسن عليه السلام فقال: افعل واحدة أفعدني غدًا قبله ثم انظر. فلما كان من الغد أحضر عمر أبا الحسن عليه السلام فجلس في صدر المجلس. ثم أذن لزيد بن موسى فدخل فجلس بين يدي أبي الحسن عليه السلام، فلما كان يوم الخميس أذن لزيد بن موسى قبله تصدّر المجلس، ثم أذن لأبي الحسن عليه السلام فدخل، فلما رآه زيد قام من مجلسه وأقعده في مجلسه وجلس بين يديه»<sup>[١]</sup>.

### ثالثًا: عصر الإمام الهادي عليه السلام

اقتربت إمامته عليه السلام باستفحال نفوذ الأمراء الأتراك وتزايد نفوذهم في الحكم والتدخل بتعيين الخلفاء وعزلهم وقتل من عارضهم. عاصر الإمام عليّ الهادي عليه السلام ستة من خلفاء العباسيين: بقيّة ملك المعتصم (ت ٢٢٧هـ / ٨٤١م) وكان متشدّدًا مع العلويين، والواثق (٥ سنين و ٩ أشهر) الذي أحسن إليهم ولم يقتل أحدًا منهم<sup>[٢]</sup>، والمتوكّل (١٤ سنة) والمنتصر (٦ أشهر) والمستعين (ستتان و ٩ أشهر)، والمعتز (٨ سنوات و ٦ أشهر).

#### ١- تشديد العباسيين التضييق على الإمام عليه السلام

كان الإمام الهادي عليه السلام يمارس نشاطه العلمي والسياسي والاجتماعي في مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن أخرجه المتوكّل العباسي لوضعه تحت الإقامة الجبرية والرقابة المباشرة في سامراء، بحيث يُعزّل عن الأمة والمولين له. ورغم أنّه لم يثبت عليه التخطيط لثورة، كانوا يحيطونه بالعيون ويتابعون أخبار الإمام الهادي عليه السلام بعد اغتيال والده الإمام الجواد عليه السلام ويرون فيه سيّد أهل البيت عليه السلام وإمام الأمة ومنافسًا لهم في قيادة الأمة. وعانى الاضطهاد والأذى والسجون في ظلّ ملاحقة العباسيين للعلويين وأبناء فاطمة الزهراء عليها السلام.

[١]- العطاردي، مسند الإمام الهادي أبي الحسن عليّ بن محمّد، م.س، ج ١، ص ٣٦.

[٢]- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، م.س، ص ٤٧٦؛ المسعودي، علي بن الحسن (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، صص ٦٥-٦٨.

تعرّض المؤرّخون مثل ابن الأثير لتدهور وضع الخلافة أمام تسلّط أمراء الجند والوزراء، فقال: ولما بويع له (المعتصم) شغِبَ الجندُ ونادوا باسم العباس بن المأمون. فلمّا صار المعتصمُ خليفةً كان اسمها له، وكان معناها للفضل! استولى على الدواوين كلّها وكنز الأموال، وكان المعتصم يأمره بإعطاء المغني والنديم فلا ينفذ الفضل ذلك فثقل على المعتصم<sup>[١]</sup>. ويؤكد ذلك حوار بين المعتصم وبين مضحكه إبراهيم (يعرف بالهفتي) منعه الفضل أعطيته، فاستفزّ الهفتي مضحك المعتصم بقوله: لا والله، ما لك من الخلافة إلا اسمها، ما يتجاوز أمرك أذنيك إنما الخليفة الفضل!! ويصف المؤرّخون المعتصم أنه إذا غضب لا يبالي من قتل، ولا ما فعل<sup>[٢]</sup>، شخصية مستهترّة مولع بالمغنين واللهو واللعب. شغوفاً بغلامه عجيب ينظم فيه الشعر<sup>[٣]</sup>.

خلف المعتصم ولده هارون الواثق بالله، في شهر ربيع الأوّل سنة ٢٢٧ هـ. وكان أخفّ وطأة على العلويين من المعتصم، لم يحصل في عهده أن قتل أحداً منهم على قول الأصفهاني، ساواهم بغيرهم في العطاء، فتنفس العلويون الصعداء وخفّت عنهم المحنة طيلة مدة حكمه، كان الإمام عليّ الهادي عليه السلام خلالها يقيم في المدينة، متفرّغاً للعلم والعبادة والهداية، فكان نجمه يعلو وقلوب الناس تهوي إليه في الوقت الذي كان يتلاعب في الدولة العباسية القواد والحواشي الأتراك، والأموال والثروة ينهبها الولاة والكتّاب، وقصور الخليفة تمتلئ بالجواري والمغنين والمغنيات. اشتهر الواثق بحذقه العزف على العود<sup>[٤]</sup>.

ثم تولى الخلافة سنة ٢٣٢ هـ المتوكّل (جعفر بن المعتصم)، وكان شديد الحقد والكراهية لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته، لقي العلويون منه أذى شديداً، اضطهدهم وضيق عليهم ومنع عنهم كلّ أشكال المساعدة الماليّة وغيرها. ذكر المؤرّخون شدة بغضه وكراهيته لإمام المتّقين، وكان يُظهر استهائته بالإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام هزواً في مجالس لهوه<sup>[٥]</sup>، وهدم قبر رمز الثوّار على الطغاة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام وما حوله من

[١]- ابن الأثير، اسماعيل بن عمر (ت ٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٤٥٣.

[٢]- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٣١٦. (أحداث سنة ٢٢٧ هـ)

[٣]- السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، ص ٣٨١.

[٤]- م. ن، ص ٣٨٧.

[٥]- نقل ابن الأثير: «كان المتوكّل من جملة ندمائه عبادة المخنث، وكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدّة، ويكشف رأسه وهو

الدور وحرثه وبذره وسقى موضع القبر ومنع الناس من زيارته وشدد عليهم<sup>[١]</sup>.

من هنا حرص الإمام الهادي عليه السلام على إحياء شعيرة الزيارة وتركيز ثقافة زيارة الإمام الحسين عليه السلام خاصة، وسائر الأئمة عليهم السلام عامة، كما ورد عنه في الزيارة الجامعة، وقد روى الشيخ الكليني عن إبراهيم بن عقبة قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن زيارة أبي عبد الله الحسين وعن زيارة أبي الحسن وأبي جعفر عليهم السلام أجمعين، فكتب إلي: «أبو عبد الله عليه السلام المقدم وهذا أعظم أجراً»<sup>[٢]</sup>.

روي أن بريجة العبّاسي أحد رجال المتوكل، وقيل صاحب الصلاة بالحرمين كتب إليه: «إن كان لك بالحرمين حاجة، فأخرج منها علي بن محمد، فإنه قد دعا الناس إلى نفسه وتبعه خلق كثير». فلما بلغه ذلك أشخص إليه يحيى بن هرثمة لجلبه من المدينة المنورة سنة ٢٣٤هـ. قال يحيى: فلما دخلتها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله، خوفاً على علي الهادي، وقامت الدنيا على ساق، لأنه كان محسناً إليهم، ملازماً للمسجد لم يكن عنده ميل إلى الدنيا»<sup>[٣]</sup>. أخرج الإمام الهادي بولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى سامراء، وكان يحيى بن هرثمة يرى منه الكرامات وعظمة شأنه، حيث قال: «رأيت من دلائل أبي الحسن الأعاجيب في طريقنا»<sup>[٤]</sup>، وحجبه المتوكل لدى

أصلع ويرقص بين يدي المتوكل، والمغنون يُغنون: «قد أقبل الأصلح البطين، خليفة المسلمين!!» يحاكي بذلك علياً، والمتوكل يشرب الخمر ويضحك!! ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م.س، ج٦، ص٤٥٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، م.س، ج٧، ص٣١٦؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، م.س، ص٣٢٢.

[١]- ذكر الأصفهاني أنه بعث برجل يهودي يقال له الديزج خرب ما حوله وهدم البناء، وكرب ما حوله نحو منتي جريب، وأحضر قوماً من اليهود كربوه وأجرى الماء حوله، ووكل به مسالحوه لا يزوره زائر إلا أخذوه فقتلوه أو أنهكوه عقوبة. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، م.س، ص٥٩٧. وأثار المتوكل بهذه السياسة حفيظة المسلمين عامة وأهل بغداد خاصة، وقد ردوا على الإهانات التي ألحقها بأهل البيت، فسبوه في المساجد والطرقاات وعلى الحيطان.. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م.س، ج٧، ص٩١. ونقل جلال الدين السيوطي مما هجّاه به الشعراء (السيوطي، تاريخ الخلفاء، م.س، ص٥٩٣):

بالله إن كانت أمية قد أنت \*\*\* قتل ابن بنت نبيها مظلوماً  
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله \*\*\* هذا لعمرى قبره مهذوماً  
أسفوا أن لا يكونوا شاركوا \*\*\* في قتله فتبّعوه رميماً

[٢]- الكليني، الكافي، م.س، ج٤، ص٥٨٣؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد، م.س، ج١، ص٢٦١.

[٣]- الكليني، الكافي، م.س، ج١، ص٥٠١.

[٤]- قال يحيى: صارت إليه في بعض المنازل امرأة معها ابنها أرمده العين تستدل وتقول: معكم رجل علوي دلوني عليه حتى يرقى عين ابني هذا. فدللتها عليه، ففتح عين الصبي حتى رأيتها، ولم أشك في أنها ذاهبة، فوضع يده عليها لحظة يحرك شفتيه، ثم نحاها، فإذا عين الغلام مفتوحة صحيحة ما بها علة».

وروده سامراء مدينة العسكر وبالأصح ثكنته الموسعة، روى سبط ابن الجوزي أنه أخذ إلى القائد وصيف التركي في سر من رأى، فأدخلت على المتوكل فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقه وورعه وزهاده، وأني فتشت داره ولم أجد فيها إلا المصاحف وكتب العلم وأدعية<sup>[١]</sup>. وكان المتوكل يسعى للتخلص منه، فوضع له العيون والجواسيس يراقبونه، ثم اتهمه بحيازة السلاح في منزله وكتباً من شيعته من أهل قم، واعتزاه الوثوب بالدولة.. فهاجم غلمانه الأتراك داره ليلاً، فلم يجدوا فيها شيئاً، ووجدوه في بيت مغلق، وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرمل والحصى، متوجّهاً إلى الله تعالى يتلو آيات من القرآن<sup>[٢]</sup>. فحمل على تلك الحال فأدخل على المتوكل، وكان في مجلس الشراب والكأس في يده، فلما رآه هابه وعظّمه وأجلسه بجانبه وناوله الكأس التي كانت في يده، فقال الإمام عليه السلام: والله ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني، فأعفاه وألح عليه أن ينشده شعراً، فأنشده وهو جالس عنده:

باتوا على قتل الأجيال تحرسهم \*\*\* غلب الرجال فما أغنتهم القل  
واستنزلوا بعد عزّ من معاقلهم \*\*\* وأسكنوا حُفراً يا بئس ما نزلوا  
ناداهم صارخ من بعد دفنهم \*\*\* أين الأسرّة والتيجان والحلل  
أين الوجوه التي كانت منعمة \*\*\* من دونها تُضرب الأستار والكلل  
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم \*\*\* تلك الوجوه عليها الدود يقتل  
قد طال ما أكلوا دهرًا وما شربوا \*\*\* فأصبحوا بعد طول الأكال قد أُكلوا<sup>[٣]</sup>.

فبكى المتوكل وأبكى الحاضرين، ثم ردّ الإمام إلى منزله مظهرًا تكريمه بعدما تبين له عظمة شخصية الإمام الهادي عليه السلام وشدة تأثيره في الناس. وشدّدت السلطة العباسية

[١]- سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، م.س، ص ٣٢٢؛ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٥٠، ص ٢٠٢.

[٢]- ذكر الشيخ المفيد أنّ إقامته الجبرية امتدت عشر سنوات. المفيد، الإرشاد، م.س، ص ٣٣١؛ الكليني، أصول الكافي، م.س، ج ١، ص ٣٩٩.

[٣]- الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، م.س، ص ٤٨٠؛ الكليني، الكافي، م.س، ج ٥، ص ٢٠٩؛ ص ٥٠١؛ المسعودي، إثبات الوصية، م.س، ص ٢٣٤؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، م.س، ص ٣٥٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م.س، ج ٧، ص ٢٠.

المراقبة لإبعاده عن المواليين في سامراء مدينة العسكر الأتراك<sup>[١]</sup>. على درب سلفه، كان المتوكل يلجأ للإمام عليه السلام عندما يعجز فقهاؤه وعلماؤه عن حلّ المسائل محاولاً إفحامه أو تعجيزه، حتى قال ابن الأكثم القاضي يوماً للمتوكل: «ما نحبّ أن تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي هذه، وإنه لا يرد عليه شيء بعدها إلاّ دونها، وفي ظهور علمه تقوية للرافضة!!»<sup>[٢]</sup>.

عجز المتوكل عن استيعاب الإمام أو تحجيم دوره، أو إيجاد بديل يحلّ محله ليكون من أتباع القصر ووعاظه المتزلفين، ولمعرفته بمكانة أهل البيت وموقعهم في النفوس حاول اصطناع أخيه موسى كبديل منحرف، ولم يوفق للنيل من الإمام وتشويه سمعته وعزله عن الجماهير<sup>[٣]</sup>. فحاول في أكثر من مناسبة أن يقتل الإمام بعد أن أعيته الحيلة في إخفاء شخصيته، ومُحدّثنا المصادر عن حقد المتوكل وخوفه من قوة الإمام الهادي عليه السلام ومنافسته، وكان يشاور وزيره الفتح بن خاقان، فيحاول أن يسكّنه وهو يتلظى ويستشيط.

ولما عزم على قتله قال: «والله لأقتلنّ هذا المرأئي الزنديق، الذي يدّعي الكذب ويطعن في دولتي». وطلب أربعة من الخزر أجلاً، أمرهم أن يقتلوا أبا الحسن إذا دخل، وتوعّده: «والله لأحرّقنّه بعد قتله..»<sup>[٤]</sup>. فدخل أبو الحسن غير مكترث ولا جزع، متسلّحاً بالدعاء، فلما رآه المتوكل، رمى بنفسه عن السرير إليه، وانكبّ عليه يقبل بين عينيه ويديه، فاعتذر إليه إذ أحضره رسوله، وأمر بتشييعه إلى الباب. هنالك دعا الإمام الهادي عليه السلام ربّه بدعاء المظلوم على الظالم منقطعاً إليه، فلما كان في اليوم الثالث، وثبّ داغرٌ وأوتامشٌ وغيرهم تأمروا عليه مع ابنه المنتصر فقتلوه وهو سكرانٌ في قصره

[١]- الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج٥، ص٣١٢؛ المسعودي، مروج الذهب، م.س، ج٤، ص١١؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، م.س، ص٣٦٠.

[٢]- الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى، صص٣٤٤-٣٤٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م.س، ج٧، ص٥٥.

[٣]- الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، م.س، صص٣٤٤-٣٤٧؛ المفيد، الإرشاد، م.س، ص٣٣١؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، م.س، ص٤٧٩.

[٤]- ذكرت الرواية أنّ المتوكل طلب أربعة من الخزر أجلاً، ودفع إليهم أسياً، وأمرهم أن يقتلوا أبا الحسن إذا دخل، ولكن هيبة الإمام الهادي عليه السلام ودعاهه حالاً دون ذلك. العطاردي، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد، م.س، ج١، ص٣٦.

وبايعوا المنتصر خلفاً له»<sup>[١]</sup>. ثم عاشت خلافة بني العباس دوامة الصراع على الحكم وفتنة فوضى الترك (٢٤٧-٢٥٦هـ / ٨٦١-٨٦٩م) استبدوا بالحكم والإدارة «فكان الخليفة في يدهم كالأسير، إن شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلعوه وإن شاءوا قتلوه»<sup>[٢]</sup>. كان المنتصر متسامحاً مع العلويين، وأعاد إليهم أملاكهم وأوقفهم وخاصة أرض فدك، التي وهبها رسول الله ﷺ لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام وأصبحت شعاراً سياسياً ولها رمزية خاصة. وسمح للناس بزيارة قبر الإمام عليّ والحسين بن عليّ عليهما السلام. لكن حكمه لم يدم سوى ستة أشهر لتأمر الأتراك عليه وقلته عن طريق طبيبه طيفور سنة ٢٤٨هـ / ٨٦٢م ليخلفه المستعين بن المعتصم، الذي في عهده اشتدت الفتنة بين بغداد وسامراء، وتعاضم التذمر من تسلط الأتراك وهيمتهم على الخلافة العباسية، وبسبب اختياره بغداد عاصمة له توجس منه الأتراك خيفة، فتأمروا على خلع المستعين وهجموا على السجون وأخرجوا من كان فيها، ووقعت بينهما حرب دامت عدة أشهر انتهت باستبعاد المستعين ثم قتله غيلة. وولوا المعتز بن المتوكل مكانه.. ولم ينج بدوره من عنف وغطرسة قواد الجند الأتراك المتحكّمين في الدولة العباسية وقتل شر قتلة على أيديهم سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٩م<sup>[٣]</sup>.

## ٢- أهم الحركات العلوية ضد العباسيين:

سجّل لنا التاريخ ثورات علوية عديدة في حياة الإمام عليّ الهادي عليه السلام، بسبب ملاحقة المتوكل العلويين وشيعة أهل البيت عليهم السلام وقطع الأرزاق عنهم وسعيه لاستئصالهم، وتكرّر

[١]- الكليني، الكافي، م.س، ج٧، صص ٢٣٨-٤٦٣؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، م.س، ج٤، ص ٤٠٥؛ الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، م.س، ج٣٤٦؛ ابن طاووس، مهج الدعوات، ص ٢٦٧.

[٢]- عهد المتوكل سنة ٢٣٥هـ إلى أولاده الثلاثة المنتصر والمعتز والمؤيد، ثم بدا له أن يقدم المعتز على أخويه لمكانة أم المعتز (قبيحة)! فغضب المنتصر ودبر مع أخواله الأتراك مؤامرة اغتيال أبيه المتوكل. ابن الطقطقي، محمد بن عليّ، الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٩٧؛ المسعودي، مروج الذهب، م.س، ج٤، ص ١٣٥؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، م.س، ص ٤٧٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م.س، ج٥، ص ٣١١؛ الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، ص ٢٥٧.

[٣]- صور أحد شعراء العصر العباسي الأول الحالة السياسية والاجتماعية المتأزمة للدولة العباسية (المسعودي، مروج الذهب، م.س، ج٣، ص ٣٩٧).

أضاع الخلافة غش الوزير \*\*\* وفسق الإمام ورأي المشير  
..فعال الخليفة أعجوبة \*\*\* وأعجب منه فعال الوزير  
وأعجب من ذا وذا أنا \*\*\* نبايع للطفل فينا الصغير

محاولات قتل الإمام الهادي عليه السلام والقضاء عليه. ولئن أثر التقيّة وعدم الظهور مع هذه الحركات وتنوّع مشارب الثوّار، فبسبب مراقبته الشديدة. روى الكشيّ عن محمّد بن الحسن قال: «حدّثني أبو عليّ الفارسيّ قال: حكى منصور عن الصادق عليّ بن محمّد بن الرضا عليه السلام أنّ الزيدية والواقفية والنصاب بمنزلة عنده سواء»<sup>[١]</sup>.

خرج ضدّ المعتصم محمّد بن القاسم بن عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فاعتقل سنة ٢١٩هـ وروي أنّه قتل بالسّم<sup>[٢]</sup>.

وخرج محمّد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى في المدينة على المتوكّل وأسر وسجن في سامراء. وخرج يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن عليّ بن الحسين على المستعين في الكوفة سنة ٢٥٠هـ، ارتضاه أهل بغداد وليّاً للأمر وبايعه عدد من أهل الكوفة. وضجّ الناس لقتله وحزنوا عليه حزناً لم يُر مثله<sup>[٣]</sup>. وفيها خرج الحسين بن محمّد بن حمزة بن عبد الله بن الحسن المثنى سنة ٢٥١هـ. ثمّ عيسى بن جعفر العلويّ ثار مع عليّ بن زيد في الكوفة سنة ٢٥٥هـ.

وخرجت في طبرستان سنة ٢٥٠هـ الحركة الزيدية بزعامة الحسن بن زيد بن محمّد بن إسماعيل بن حسن بن زيد بن الحسن المثنى واستولى على الرّي وآمل ثمّ جرجان سنة ٢٥٧هـ، ثمّ خلفه أخوه محمّد بن زيد ٢٧٠هـ وكان فقيهاً أديباً وجواداً. ودعا له محمّد بن جعفر بن حسن في أهل الرّي سنة ٢٥٠هـ<sup>[٤]</sup>. وفي هذه السنة ثار في قزوین الحسن بن إسماعيل بن محمّد بن عبد الله بن عليّ بن الحسين.

في مكّة ثار إسماعيل بن يونس بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى سنة ٢٥١هـ. وثار أحمد بن محمّد بن عبد الله بن إبراهيم بن طباطبا سنة ٢٥٥هـ بين برقة والإسكندرية.

[١]- الكشيّ، محمّد بن عمر، رجال الكشيّ، ص ٤٣٢؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمّد، م.س، ص ١٦٤.

[٢]- الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٥، ص ٢٠٧؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، م.س، ص ٦٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، م.س، ج ٥، ص ٢٣١. الدوري، العصر العبّاسيّ الأوّل، م.س، ص ٢٤٧.

[٣]- الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٥، ص ٢٢٢؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، م.س، صص ٨٠-٤٨١؛ الدوري، العصر العبّاسيّ الأوّل، م.س، ص ٢٤٩.

[٤]- الطبري، تاريخ الطبري، م.س، ج ٥، صص ٢-٢٦٣؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، م.س، ص ٤٩٠.

ثم ثار إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الصوفي سنة ٢٥٦ هـ .

### ٣- الانحراف الفكري في ظلّ العباسيين

لضمان قيادة الأمة تقلّب العباسيون بين التعصّب للاعتزال والقول بالخلق وبين التعصّب للحشوية!! راهن العباسيون على التعددية المذهبية وإثارتهم ضد بعضهم، وضمان تبعية الفقهاء والمتكلمة من المترلفين لانتزاع غطاء الشرعية منهم مقابل أكياس الدنانير والدراهم، أو اختلاق الألقاب الرئانة مثل قاضي القضاة وأفضى القضاة.. وترويج الأحاديث الموضوعية لأنصاف العلماء ووعاظ السلاطين وشرعنة الفسق والفجور والتلاعب بأموال المسلمين، والكذب على رسول الله ﷺ، مع معرفتهم بتدليسهم عليه وتضليل المسلمين من أجل المال، وكان أكثر ما يقلقهم التفاف المسلمين والعلماء حول أئمة أهل البيت ﷺ والولاء لمرجعيتهم، ينهلون العقيدة والعلوم الشرعية من منبعها. لذا وجهوا حربهم العقديّة للنيل من قامات شامخة من العلم الإلهي والخلق الرفيع، وتحجيم دورهم العلمي والاجتماعي وإطلاق العنان للبدع والتشكيك واستيراد الأفكار والعقائد من الحضارات المجاورة اليونانية والفارسية والهندية مع انتعاش حركة الترجمة برعاية الخليفة منذ المنصور العباسي، أي في عهد الإمام الصادق عليه السلام.. لتسرّب العقائد الدخيلة على الإسلام وتشبّه الأمور وتشوش الأذهان<sup>[١]</sup>. وتكمن الخطورة في تسييس هذه الأفكار العقديّة وتدخّل الدولة للتأثير المباشر والانتصار لعقائد وقناعات دون أخرى لاعتبارات سلطوية وآخر همّها عقائد الأمة.

عمل العباسيون وأعوانهم كلّ ما بوسعهم لتطويق الأئمة المعصومين وإبعاد الناس عنهم، بغرض إفراغ الدين من محتواه وروحه، وجعله مجرد طقوس ومظاهر تستلب وعي الناس وتبعدهم عن مسؤوليّة التغيير الاجتماعي والسياسي وتسقطهم في فتنة «التمذهب». فلم يكن المسلمون يعرفون شيئاً عن المذهبية والطائفية بشكل رسمي

[١]- الكليني، أصول الكافي، م، ج ١، صص ٨-١١٩؛ الطبرسي، محمد جواد، حياة الإمام الهادي، صص ٨-٢٠٩.

خارج إطار الدين حتّى ظهور المأمون العباسيّ<sup>[١]</sup>، فانتشرت مقولات الاعتزال ثمّ الأشعرية، فبنّى المأمون العباسيّ الاعتزال مذهباً رسمياً للدولة وقرب رموزه ووظّفهم لخدمة شرعية سلطانه، وعلى خطاه سار المعتصم والواثق. ومع أنّ هذا المذهب يدّعي «التعقل» والاحتكام إلى العقل دون النقل في العقائد. وكان المأمون يعرض الناس على السيف أو القول بأنّ القرآن كلام الله مخلوق كسائر المخلوقات، ونفي الصفات عن الله تعالى، وأنّه ليس الرزاق ولا المصور ولا السميع!! وعدد من الآراء العجيبة في العقيدة. وفي عهد المتوكّل أصبحت الدولة العباسية أشعرية الهوى تنكر تماماً مقولات الاعتزال، وفعل ما فعله أسلافه بالمعارضين، فقتل الكثير من علماء المعتزلة، ومن يقول بخلق القرآن، علماً أنّهم اتفقوا مع المعتزلة في اعتماد العقل دون النقل، ونفي الصفات عن الله عزّ وجلّ، واستثنوا منها الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، كما أنّهم حصروا الإيوان على أنّه فعل قلبيّ فقط، ولا يستوجب الإيوان النطق بالشهادتين أو القيام بأيّ عمل صالح<sup>[٢]</sup>.

كانت هذه المقولات عاملاً فتنه وتحريض المذاهب على بعضها. شغلت العالم الإسلاميّ، فنهى الإمام الهادي عليه السلام أصحابه عن الخوض فيها مع الخائضين والسقوط في الجدل والمهرطقات: «عصمنا الله وإيّاك من الفتنة، نحن نرى أنّ الجدل في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فيتعاطى السائل ما ليس له، ويتكلّف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلّا الله عزّ وجلّ وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالّين»<sup>[٣]</sup>.

#### ٤ - الإمام الهادي عليه السلام والصوفيّة

تفشّت ظاهرة الصوفيّة في عصر الإمام الهادي عليه السلام وكان يحذّر من الاتّصال والاختلاط بهم؛ لأنّ أكثرهم يظهرون التقشّف والزهد رياء للعامة والسدّج، روى

[١]- باستثناء بعض الأفكار الشاذة مثل ظهور التشكيك في خضمّ المواجهة بين أمير المؤمنين ومعاوية، وإطلاق العنان للقدريّة منذ عهد معاوية، وإشاعة القول بأنّ الإنسان مجبر بإرادة إلهية ليس له إرادة أو حرية الاختيار. السيّد، رضوان: «رؤية الخلافة وبنية الدولة في الإسلام»، الاجتهاد، عدد ١٣، (١٩٩١)، ص ٤٤.

[٢]- المازندراني، محمّد صالح، شرح الكافي، ج ٧، ص ٣٠٦.

[٣]- الصدوق، محمّد علي بن الحسين بن بابويه القميّ، التوحيد، ص ٢٢٤. الطبسيّ، حياة الإمام الهادي، م.س، ٢٥٠.

محمد بن الحسين بن أبي الخطاب قال: «كنت مع أبي الحسن الهادي عليه السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله ومعنا أبو هاشم الجعفري، وكان متكلمًا بارعًا وصاحب مكانة رفيعة عند الإمام، إذ دخلت ثلثة من الصوفيّة المسجد فاعتزلوا جانبًا وشكّلوا حلقةً وأخذوا بالتهليل، فالتفت الإمام إلى أصحابه فقال لهم: «لا تغتروا بهؤلاء فهم أولياء الشيطان، وماحقو دعائم الدين، احترفوا الزهد لإراحة الأجسام، ويتهجّدون لإيقاع الناس في الأغلال. لم يتهلّل هؤلاء سوى لخداع الناس، ولا يقتصدون سوى لإغوائهم وبثّ الفرقة بينهم، فأورادهم الرقص وأذكارهم الترتّم، لم يتبعهم إلاّ السفهاء ولم يلحق بهم سوى الحمقى. من زار أحدهم حيًّا أو ميتًا، لم يزر في الحقيقة إلاّ الشيطان ومن أعانهم فكأنّا أعان معاوية ويزيد وأبا سفيان».

فقال أحد أصحابه: وإن كان معترفًا بحقوقكم؟ فزجره الإمام وصاح به قائلاً: «دع ذا عنك، من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا، أما تدري أنّهم أحسّ طوائف الصوفيّة، والصوفيّة كلّهم مخالفونا، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا، وإن هم إلاّ نصارى أو مجوس هذه الأمة، أو لك الذين يجتهدون في إطفاء نور الله بأفواههم ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨)»<sup>[١]</sup>.

وفي رواية ثانية للشيخ المفيد بإسناده عن الحسين بن سعيد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الصوفية فقال: «لا يقول أحد بالتصوف إلاّ خدعة أو ضلالة أو حماقة». وزاد في طريق آخر: «وأما من سمى نفسه صوفيًّا للتقية فلا إثم عليه». وفي طريق ثالث «وعلامته أن يكتفي بالتسمية»<sup>[٢]</sup>.

وقد حذّر الإمام الهادي عليه السلام من بعضهم مثل أحمد بن هلال العبرتائيّ وكان من غلاة الصوفيّة، كتب إلى شيعته في العراق: «احذروا الصوفيّ المتصنّع أحمد بن هلال لا رحمه الله!!!. وكان العبرتائيّ قد حجّ أربعًا وخمسين حجةً عشرون منها على قدميه!! لذلك أنكر أصحابنا بالعراق ما ورد في مذمّته فحملوا القاسم بن العلاء على أن يراجع في

[١]- الأردبيلي، أحمد بن محمد (ت ٩٩٣ هـ)، حديقة الشيعة، ص ٦٠٢-٦٠٣؛ القميّ، عباس، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، ج ٢، ص ٥٨؛ الخوانساري، محمد باقر الموسويّ، روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، ج ٣، صص ٤-١٣٥؛ جعفریان، رسول، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ج ٢، ص ١٦٤.

[٢]- القميّ، عباس، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، م.س، ج ٢، ص ٥٩؛ الخوانساريّ، محمد باقر، روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، م.س، ج ٣، ص ١٣٦.

أمره فخرج إليه: «قد كان أمرنا نفذ إليك في المتصنّع ابن هلال لا رحمه الله بما قد علمت لم يزل لا غفر الله له ذنبه، ولا أقاله عشرته، يداخل في أمرنا بلا إذن منا ولا رضى، يستبدّ برأيه فيتحامى من ديوننا لا يمضي من أمرنا إلّا بما يهواه ويريد، أرداه الله بذلك في نار جهنّم فصبرنا عليه حتى بتر الله بدعوتنا عمره، وكنا قد عرفنا خبره قومًا من مواليينا في أيامه لا رحمه الله، وأمرناهم باللقاء ذلك إلى الخاصّ من مواليينا، ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال لا رحمه الله وومن لا يبرأ منه». خاصّة وقد وصل الأمر بأحد الخطّابيّة في عهده وهو بزيع الحائك إلى القول إنّ كلّ مؤمن يوحى إليه! وكان عدّة من الصوفيّة يقولون إنّه يمكن للإنسان السالك بالمجاهدة الوصول إلى الله!!<sup>[١]</sup>.

في ظلّ الانحراف والفتن، عمل الإمام الهادي عليه السلام على توسيع دائرة النفوذ داخل جهاز السلطة، ليكون قريبًا من دار الخلافة ورؤاد البلاط، للتعرفّ على شخص الإمام عليه السلام وهديه وكراماته التي عاينها أهل دار الخلافة وشهد بها ندماء المتوكّل وحاشيته. فلم ينالوا من مكانة الإمام عليّ الهادي عليه السلام رغم حسد بعض الحواشي، ووجوه القوم في سرّ من رأى وتكرّر محاولاتهم إضعاف مكانته والتقليل من جلالته<sup>[٢]</sup>.

#### رابعًا: مدرسة وتراث الإمام الهادي عليه السلام

تميّز عصر الإمام الهادي عليه السلام عموماً بتشديد الضغط والمراقبة الدائمة عليه من قبل السلطة طيلة حياته هو وابنه الإمام الحسن العسكري عليه السلام. ومع ذلك، شارك الإمام الهادي أباه الجواد عليهما السلام تولّي مهمّة الإمامة في سنّ مبكرة قبل إتمام عقده الأوّل من العمر. وذكره المؤرّخون وأرباب السير بوصفه علمًا بارزًا من أعلام عصره في العلم والمعرفة، وفي التقوى والعبادة، وفي الوجاهة والقيادة والرّيادة، فكانت الإمامة المبكرة وتوجّس السلطة من قيادة خطّ المعارضة وترقّب ظهور المهديّ من آل محمّد عليهم السلام من ولده هي أبرز مميزات فترة إمامة الهادي عليه السلام ومتطلّبات الساحة الإسلاميّة في عصره.

[١]- الصدوق، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٧٦؛ الكشيّ، رجال الكشيّ، م.س، صص ٧٩-٣٨٠. يقارن الشيبانيّ بينه وبين أبي الخطّاب في عصر الإمام الصادق عليه السلام. الصلة بين التصوّف والتشيع.

[٢]- الطبرسي، إعلام الوري، م.س، صص ٣٤٤-٣٤٧. ذكر الشيخ المفيد أنّ إقامته امتدّت عشر سنوات: المفيد، الإرشاد، م.س، ص ٣٣١.

١ - منهج الإمام الهادي عليه السلام

استمرت إمامة عليّ الهادي عليه السلام أربعاً وثلاثين سنة، وكانت مرحلة انتقالية من الإمامة الظاهرة إلى الإمامة الغائبة التي يُراد لها أن تدبر الأمر من وراء الستار، ويراد للأمة أن تنتظر إمامها وتعتقد به وتتفاعل معه. فواجه الإمام الهادي عليه السلام التصورات والاعتقادات المنحرفة الساعية لترسيخ إسلام الحكام ومذهب السلطة، كمسائل الجبر والتفويض والقضاء والقدر، وإمكانية رؤية الله من عدمها، وركز جهده على نشر الثقافة والعقيدة التي خلفها رسول الله صلى الله عليه وآله للأمة. ونلخص منهج الإمام الهادي عليه السلام في:

أ- تجنّب مقارعة الحاكمين أو إثارتهم، منذ أن فرض عليه مؤدّب يتولّى تأديبه! ثم الاستجابة لدعوة المتوكّل لاستقدامه إلى سامراء وفسح المجال للتفتيش المتكرّر في المدينة وسامراء، لطمأنة المتوكّل بأنّه لا يقصد الثورة عليه. وحين استدعى الواثق قوّاته وقدراته العسكرية في استعراض مهيب، وأحضر الإمام ليريه جبروته ولثلاً يفكر أهل بيته بالخروج على الخليفة، وأمر الواثق جلاوزته، فعملوا تلاً عظيماً من التراب، ثم دعا الإمام الهادي عليه السلام لإرهابه. فقال له عليه السلام: «وهل تريد أن أعرض عليك عسكري؟» فقال الواثق: نعم، فدعا الله سبحانه، فإذا بين السماء والأرض ملائكة مدججون بالسلح، وغشي على الواثق. ولما أفاق قال له أبو الحسن عليه السلام: «نحن لا نناقشكم في الدّنيا نحن مشغولون بأمر الآخرة فلا عليك شيء ممّا تظن»<sup>[١]</sup>.

ب- اعتبر الإمام الهادي عليه السلام الغلوّ والتطرّف ظواهر منحرفة واجهها بالشكل المناسب؛ إذ أمر أصحابه مرةً بتجنّب واعتزال من يتقول عليه وقيل لعنهم<sup>[٢]</sup>، وأمّا ابن بابا القميّ ومحمد بن نصير النميريّ وأتباعه النصيرية، فقد ادّعوا النبوّة في عهد الإمامين العسكريين عليهما السلام، فتبرأ الإمام الهادي عليه السلام منها وقال لأصحاب القميّ: «إذا قدرتم عليه فاقتلوه»، وتفرّق أصحابه فرقاً شتى<sup>[٣]</sup>. وقال ابن نصير بربرويته وبالتناسخ وأباح

[١]- المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٥٠، ص ١٥٥.

[٢]- الكشي، رجال الكشي، م.س، ص ٥١٨-٥١٩؛ رسول جعفریان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ج ٢، ص ١٦٦-١٦٧.

[٣]- الكشي، رجال الكشي، م.س، صص ١٩-٥٢١؛ التوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة، ص ٩٣؛ جعفریان، الحياة الفكرية

المحرّمات. وادعوا النيابة أوّلاً عن الإمام الهادي عليه السلام وأنّه بابه، وقالوا فيه بمقالة الخطّابية، وأنّ الله قد حلّ بمحمّد بن نصير والشلمغاني وغيره، وتصدّى لهم الإمامان العسكريّان عليهما السلام كما كان موقف الباقر والصادق عليهما السلام من الخطّابية والبزيعية والمنصورية والجناحية وغيرهم من غلاة الصوفيّة الذين يلتقون معهم في أكثر نزعاتهم ومقولاتهم<sup>[١]</sup>.

ت- دعا أصحابه إلى عدم الخوض في المهاترات التي ذهبت بالأرواح البريئة، ولم يستفد منها إلّا الجهاز الحاكم بالهاء الناس. فكتب إلى بعض شيعته ببغداد: «بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإيّاك من الفتنة، فإن يفعل فأعظم بها نعمة، وإلّا يفعل فهي الهلكة. نحن نرى أنّ الجدال في القرآن بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، وتكلّف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلّا الله وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، لا تجعل له اسمًا من عندك فتكون من الضالّين. جعلنا الله وإيّاك من الذين يخشون ربّهم بالغيب، وهم من الساعة مشفقون»<sup>[٢]</sup>. أوجب هذا الموقف الذي اتخذته الأئمّة أن يتعد الشيعّة عن هذا النزاع الفتنة، وأن لا يخوضوا في هذه البدع المضلّة.

ث- لكن عند الضرورة لجأ الإمام عليه السلام إلى تحديّ السلطة وواجهتها من المتفكّهين: روى ابن شهر آشوب: «قال المتوكّل لابن السكّيت أسأل ابن الرضا مسألة عوصاء بحضرتي، فسأله، فقال: لم يبعث الله موسى بالعصا وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وبعث محمّدًا بالقرآن والسيف؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: بعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله السحر، فأتاهم من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم وأثبت الحجّة عليهم، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله في زمان الغالب على أهله الطّب، فأتاهم من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله فقهرهم وبهرهم. وبعث محمّدًا بالقرآن في زمان الغالب على أهله السيف والشعر فأتاهم من القرآن الزاهر والسيف القاهر ما بهر به شعرهم وبهر سيفهم وأثبت الحجّة عليهم، فقال ابن السكّيت: فما الحجّة الآن؟ قال: العقل، يعرف

والسياسيّة لأئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، م.س، ج ٢، صص ٧-١٦٨.

[١]- اعتبر الشبّيّ هذه الفئات من الشيعة الصلة بين التصوّف والتشيع.

[٢]- سورة غافر، الآيتان ٨٤-٨٥؛ سورة الأنبياء، الآية ٤٩؛ الصدوق، الأمالي، طبع بقم، ١٣٧٣هـ، ص ٥٤٦؛ الصدوق، التوحيد،

م.س، ص ٢٢٤؛ الطبسيّ، حياة الإمام الهادي، م.س، ص ٢٥٠.

به الكاذب على الله فيكذب. فقال يحيى بن أكثم: ما لابن السكيت ومناظرته؟! وإنما هو صاحب نحو وشعر ولغة، ورفع قرطاساً فيه مسائل فأملى عليّ بن محمد عليه السلام على ابن السكيت جوابها»<sup>[١]</sup>.

ج- واصل الإمام الهادي عليه السلام المسيرة الرسالية للأئمة من قبله، في بيان العقائد من معرفة الله وتوحيده، وفي صفات الخالق جاء في رسالة الإمام لأحد أصحابه أن «الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأتى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه أو أن تناله الأوهام والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به»<sup>[٢]</sup>. وتصدّى للانحراف الفكري والشبهات الدينية التي ابتليت بها الأمة، وخاصة محنة خلق القرآن والإثارة المستمرة للجبر والتفويض والاختيار. وعالجها الإمام الهادي عليه السلام بمنهج بديع، ومنها رسالته عليه السلام لأهل الأهواز التي تعدّ ردّاً علمياً تفصيلياً على شبهة الجبر والتفويض نعود إلى تفاصيلها فيما يلي.

ح- عمل الإمام الهادي عليه السلام على تكريس دعائم نظرية «الأمر بين أمرين» البديلة للجبرية والمفوضة منذ عهد الإمام الصادق عليه السلام، وقد توسّع الإمام الهادي عليه السلام «في تأصيل هذه النظرية في ضوء آيات القرآن الكريم، وما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام، وما دلّ عليه العقل، ثم ربط الإمام الهادي عليه السلام ذلك باستطاعة الإنسان وقدرته على اتباع ما أمر الله واجتناب ما نهى عنه من دون جبر ولا تفويض، وإنما أعطى الله سبحانه وتعالى الإنسان القدرة على الفعل والترك، واتباع طريق الحق أو الباطل، معبراً عن الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي أعطاها الله لنا، وبحسب اختياره يُثاب أو يعاقب، ينال رضى الله عزّ وجلّ إذا أطاعه واتبع أو امره، أو سخطه وغضبه إذا ما خالف أو امره واقترب المحرّمات وهذا من أبرز مظاهر العدل».

خ- سقّه القائلين بتحريف القرآن فأكد صحّته وعدم تحريفه: «اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم أن القرآن حقّ لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق وفي حال اجتماعهم مقرّون بتصديق الكتاب وتحقيقه مصيرون مهتدون، وذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تجتمع أمتي

[١]- العطارديّ، مسند الإمام الهادي أبي الحسن عليّ بن محمد، م.س، ج ١، ص ٢٥.

[٢]- م.ن، ج ١، ص ٤٧.

على ضلالة. فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً. والقرآن حق لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه. فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإن [هي] جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملة»<sup>[١]</sup>.

هـ- اعتمد الإمام الهادي عليه السلام الحوار الفكريّ طريقاً للتصحيح والتوضيح، مثل رسالته التفصيليّة حول الجبر والتفويض جواب أسئلة أهالي الأهواز أثبت وبرهن خلالها نظريّة لا جبر ولا تفويض بيان ساطع واستدلال قاطع. ونجح في إقناع قيصر الروم وكسبه إلى الإسلام من خلال الحوار الواعي وامتلاك مفاتيح السياسة ومحاوره العنصر الأجنبيّ، دون أن يتعرّض للخليفة بالذكر. حفظاً على شرعيّة الدولة وكيان الأمة، كجزء من النظام الاجتماعي والأخلاقيّ في إطار قانونيّ رادع.

كتب قيصر الروم كتاباً إلى خلفاء بني العباس يتحدّاهم: جاء في كتب الإنجيل أنّه من قرأ سورة خالية من سبعة أحرف حرّم الله جسده من نار جهنم! الأحرف عبارة عن (ث ج خ ز ش ظ ف) وفحصنا كثيراً فلم نعرث على هكذا سورة في كتب التوراة والإنجيل، فهل يوجد في كتابكم السماويّ تلك السورة؟ فجمع الخليفة العباسيّد جميع العلماء وعرض عليهم السؤال، فعجزوا عن الجواب. فطرحوا السؤال على الإمام الهادي عليه السلام فأجاب قائلاً: هذه السورة هي سورة الحمد التي تكون خالية من الأحرف السبعة. فسألوا الإمام ما فلسفة خلّو هذه السورة من الأحرف السبعة؟ فأجاب عليه السلام: إن حرف «ث» إشارة إلى الثبور، وحرف «ج» إشارة إلى الجحيم، وحرف «خ» إشارة إلى الخبث، وحرف «ز» إشارة إلى الزقوم، وحرف «ش» إشارة إلى الشقاوة، وحرف «ظ» إشارة إلى الظلمة، وحرف «ف» إشارة إلى الآفة. فأرسل الخليفة هذا الجواب إلى قيصر الروم الذي أعجب بالإجابة وقيل خرج من الدنيا مسلماً<sup>[٢]</sup>.

[١]- ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن عليّ بن الحسين، تحف العقول، ص ٣٣٨؛ رسول جعفریان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، م، ج ٢، ص ١٦٩.

[٢]- ننقل هذه الرواية باحتراز لاختلاف الحروف والشكل بين اللغات.. ابن أمير الحاج، محمد، شرح شافية أبي فراس، ص ٥٦٣؛ موسى الكعبي، علي، الإمام الهادي عليه السلام سيرة وتاريخ، ص ١٥٩.

## ٢- وكلاء الإمام الهادي عليه السلام

أمام شدة مراقبة العباسيين لتصرفات الإمام الهادي عليه السلام وأصحابه، استعان بجهاز الوكلاء الذي أسسه الإمام الصادق عليه السلام وأحكم دعائه أبوه الإمام الجواد عليه السلام، وسعى من خلال جهاز محكم التنظيم إلى تأمين الخدمات التي يحتاجها شيعته. ويعتبر جهاز الوكلاء حساساً ومهماً لتحصين الجماعة الصالحة أمنياً وعقائدياً وعلمياً وتربوياً وحتى اقتصادياً. اهتم الأئمة بهذا الجهاز وسعوا تطويره وصيانتته من عوامل الضعف والانهدام، وأعدّ وكلاء خاصين به في أنحاء البلدان الإسلامية ليثبوا علوم أهل البيت عليهم السلام وليمهدوا الأرضية لخلفهم من وكلاء للإمام العسكري عليه السلام، ومن ثمّة للإمام الحجة المنتظر عليه السلام في غيبته الصغرى. وكان الإمام الهادي عليه السلام يعين الوكلاء في بغداد ليكونوا همزة وصل بينه وبين الشيعة في مراجعاتهم ومسائلهم المالية والفقهية وغيرها، وباشر الإشراف عليهم والتنسيق بينهم بنفسه، بعد أن قلّص من ظهوره ولقائهم تدريجاً لهم وتمهيداً لغيبه الإمام المهدي عليه السلام. مثال مكاتبته وكيله ببغداد عليّ بن بلال: «ثمّ إنّي أقمت أبا عليّ مقام الحسين بن عبد ربّه، وائتمنته على ذلك بالمعرفة بما عنده الذي لا يقدره أحد، وقد أعلم أنّك شيخ ناحيتك، فأجبت إفرادك وإكرامك بالكتاب بذلك. فعليك بالطاعة له والتسليم إليه جميع الحقّ قبلك وأن تخصّ مواليّ على ذلك وتعرفهم من ذلك ما يصير سبباً إلى عونه وكفايته، فذلك موفور وتوفير علينا ومحبوب لدينا.. وكتبت بخطّي وأحمد الله كثيراً»<sup>[١]</sup>.

وبما أنّ الإمام الهادي عليه السلام أوكل إليهم مهمّات ومسؤوليّات متزايدة ومنحهم صلاحيّات متعاضمة، فقد كان يتدخّل لاستبدالهم لتجاوز وقع من أحدهم أو للتمويه على المراقبة، وكان يوجههم وينصحهم بأن لا يكتبوه إلا للضرورة أو أن يتجنّبوا التعاطي فيما بينهم. مثال كتابه عليه السلام: «وأنا أمرك يا أيّوب بن نوح أن تقطع الإكثار بينك وبين أبي عليّ، وأن يلزم كلّ واحد منكما ما وكلّ به وأمر بالقيام فيه بأمر ناحيته، فإنّكم إذا انتهيتم إلى كلّ ما أمرتم به استغنيتم بذلك عن معاودتي، وأمرك يا أبا عليّ بمثل ما أمرك به أيّوب أن لا تقبل من أحد من أهل بغداد والمدائن شيئاً يحملونه ولا يلي لهم استئذاناً

[١]- الكشيّ، رجال الكشيّ، م.س، ص ٥١٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٥٠، ص ٢-٢٢٣؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي، م.س، ص ١٦٣.

عليّ، ومُر من أهلك بشيء من غير أهل ناحيتك أن يصيرَه إلى الموكل بناحيته، وأمرَك يا أبا عليّ في ذلك بمثل ما أمرت به أيوب، وليعمل كل واحد منكما مثل ما أمرته به»<sup>[١]</sup>.

من وكلاء الإمام الهادي عليه السلام إبراهيم بن محمد الهمدانيّ وعليّ بن جعفر ومحمد بن إبراهيم بن مهزيار والحسين بن عبد ربّه وابنه عليّ بن الحسين وعثمان بن سعيد العمريّ الذي أصبح بعد ذلك سفيرًا للإمام الحجّة المنتظر عليه السلام.. وساعد الوكلاء الإمام الهادي عليه السلام في نشر فكر وثقافة أهل البيت عليهم السلام والتعريف بفقهم وعقائدهم، ودعم المؤمنين اقتصاديًا. وربّما انحرف بعضهم عن الطريق الذي رُسم له بسبب المال الذي يحصلون عليه أو لاستغلال منصب الوكالة لأغراض أخرى. فكان الإمام عليه السلام يتدخل ويراسلهم ليوضح الأمر ولا يسمح لهم بذلك<sup>[٢]</sup>. ولم يكن يسمّيهم في كتبه بل ينسبهم في توقيعاته مثلًا إلى زرارة توريةً وستراً لهم<sup>[٣]</sup>.

### ٣- إعداد الإمام عليّ الهادي عليه السلام لغيبة الإمام المهديّ عليه السلام

إنّ الحصار المضروب على الإمام عليه السلام والحدّ من الاتصال المباشر بشيعته واحتجابه عنهم شيئًا فشيئًا مهدّ الأرضية اللازمة لغيبة الإمام المهديّ عليه السلام، تتضح هذه الحقيقة بجلاء من ثنايا شهادة المؤرّخ المسعودي: «إنّ أبا الحسن الهادي عليه السلام صاحب العسكر احتجب عن كثير من الشيعة إلّا عن عدد يسير من خواصّه، فلما أفضى الأمر إلى أبي محمد عليه السلام كان يكلم شيعته الخواصّ وغيرهم من وراء الستر إلّا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان»<sup>[٤]</sup>. وبقي الإمامان العسكريّان محتجبين عن شيعتهما قسرًا بسبب المراقبة الشديدة في سرّ من رأى، ولقرب عصر الغيبة. واقتصر اتصاليهما بالشيعة عن طريق المكاتبات والتوقيعات والوكلاء<sup>[٥]</sup>. وأعدّ الإمام الهادي عليه السلام شيعته نفسيًا وعقائديًا

[١]- الكشيّ، رجال الكشيّ، م.س، ص ٤٣٢؛ المجلسيّ، بحار الأنوار، م.س، ج ٥٠، ص ٢٢٤؛ عطارديّ، مسند الإمام الهادي، م.س، صص ٣-١٦٤.

[٢]- الكشيّ، رجال الكشيّ، م.س، صص ٣-٥١٤؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي، م.س، ص ٣٢٠؛ رسول جعفریان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، م.س، ج ٢، صص ١٤٩-١٥٠.

[٣]- العطارديّ، مسند الإمام الهادي، م.س، ص ٣٠١؛ رسول جعفریان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، م.س، ج ٢، صص ٨-١٤٩.

[٤]- المسعودي، إثبات الوصية، م.س، ص ٢٣١.

[٥]- الموفق الخوارزمي، المناقب، م.س، ج ٣، ص ٥٣٣.

لمرحلة الغيبة، فأعلن أنه هو جدّ الإمام المهديّ عليه السلام، وزوّج الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام بالسيدة نرجس، ولكنه لم يشهد ولادة حفيده، فكان يمهد المقدمات ويهيئ المحيطين للإمام المهديّ عليه السلام ويبشّر باقتراب الموعد وأنّ السيّدة نرجس هي والدته<sup>[١]</sup>.

من أهمّ النصوص الواردة عن الإمام الهاديّ عليه السلام حول غيبة الإمام المهديّ عليه السلام: رواية الشيخ الصدوق في الإكمال بإسناده عن أبي دلف قال: سمعت عليّ بن محمّد الهاديّ عليه السلام يقول: إنّ الإمام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً<sup>[٢]</sup>. ورواية الكلينيّ في حديث متّصل عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: «إذ أرفع علمكم من بين أظهركم فتوقّعوا الفرج من تحت أقدامكم»<sup>[٣]</sup>.

عن أبي جعفر محمّد بن أحمد العلويّ عن أبي هاشم الجعفريّ قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الخلف بعدي ابني الحسن، فكيف بالخلف بعد الخلف؟! فقلت: ولم جعلني الله فداك؟ قال: إنكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه. قلت: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا الحجّة من آل محمّد عليه السلام<sup>[٤]</sup>. وعن إسحاق بن محمّد بن أيوب قال: «سمعت أبا الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى عليه السلام يقول: صاحب هذا الأمر من يقول الناس لم يولد بعد»<sup>[٥]</sup>.

وفي حديث مسند عن الصقر بن أبي دلف قال: «سمعت عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام يقول: إنّ الإمام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»<sup>[٦]</sup>.

[١]- العطارديّ، مسند الإمام الهاديّ أبي الحسن عليّ بن محمّد، م.س، ج١، صص ٩٨-١١١.

[٢]- الصدوق، كتاب التوحيد، م.س، صص ٩٧-١٠٤؛ عزيز الله عطاردي، مسند الإمام الهاديّ أبي الحسن عليّ بن محمّد، م.س، ج١، ص ١٤٦.

[٣]- الكلينيّ، أصول الكافي، م.س، ج١، ص ٣٤١.

[٤]- العطارديّ، مسند الإمام الهاديّ أبي الحسن عليّ بن محمّد، م.س، ص ١٤٧.

[٥]- ابن بابويه القميّ، عليّ بن الحسين (٣٢٩)، الإمامة والتبصرة من الحيرة، صص ١٠٩-١٣٧؛ الصدوق، إكمال الدين، م.س، ج٦، ص ٣٨١؛ ج٧، ص ٣٨٢؛ علي موسى الكعبيّ، الإمام الهاديّ عليه السلام سيرة وتاريخ، م.س، صص ٦-٢٢٧.

[٦]- العطاردي، مسند الإمام الهاديّ أبي الحسن عليّ بن محمّد، م.س، ص ١٤٩؛ الصدوق، كمال الدين، م.س، ص ٣٨٣.

وعن علان الكلابي عن إسحق بن إسماعيل النيشابوري قال حدّثني شاهويه بن عبد الله الجلاب قال: كنت رويت دلائل كثيرة عن أبي الحسن عليه السلام في ابنه محمد، فلما مضى بقيت متحيراً وخفت أن اكتب في ذلك فلا أدري ما يكون فكتبت أسأل الدعاء، فخرج الجواب بالدعاء لي وفي آخر الكتاب: «أردت أن تسأل عن الخلف وقلقت لذلك؟! فلا تغتم فإن الله عز وجل لا يضلّ قوماً بعد أن هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، وصاحبك بعدي أبو محمد ابني عنده علم ما تحتاجون إليه يقدم الله ما يشاء ويؤخر ما يشاء قد كتبت بما فيه تبيان لذي لب يقظان»<sup>[١]</sup>.

لهذا أشاد الإمام الهادي عليه السلام بفضل العلماء والحاجة إليهم ودورهم في حفظ الدين زمان الغيبة، فقد روي عنه عليه السلام: «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلا ارتدّ عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أزمنة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكرانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل»<sup>[٢]</sup>. ومن هنا كانت له عناية خاصة بإعداد الجماعة الصالحة وتوجيهها.

#### ٤ - أصحاب الإمام الهادي عليه السلام

كانت للإمام الهادي عليه السلام الريادة في خلق جبهة عريضة ومحصنة من رجال الإيمان والعلم والصدق والأمانة والإخلاص كما كان محمد بن مسلم وهشام بن الحكم وزرارة بن أعين في عهد الإمام الصادق عليه السلام. قام الإمام الهادي عليه السلام بتربيتهم وتهذيبهم ليلبغوا درجة الإفتاء كل حسب تخصصه، لا نعرف تفاصيل حياة هذه الصفوة، غير أن بصماتها وحفظها للتراث الذي وصلنا عنها، وتكريس ثقافة أهل البيت عليهم السلام من خلال

[١]- المسعودي، إثبات الوصية، م.س، ص ٢٠٩.

[٢]- الطبرسي، أحمد (القرن ٥٦)، الاحتجاج، ص ٤٥٥؛ علي موسى الكعبي، الإمام الهادي عليه السلام سيرة وتاريخ، م.س، ص ٢٢٧.

المراسلات ورواياتهم عن المعصومين في جميع المسائل، بفضل الجهد الكبير الذي بذله الوكلاء وتلاميذ الإمامين العسكريين المنتشرين في أنحاء العالم الإسلامي، تحوّلوا إلى مصادر موثوقة للرواية والفقهاء فيما بعد.

في جَوِّ الاضطهاد والظلم الذي تعرّض له وصعوبة الانتفاع به، كان الإمام عليّ الهادي عليه السلام مرجع أهل العلم والفقهاء والشريعة في عصره. حفلت كتب الرواية والحديث والفقهاء والعقيدة والمناظرة والتفسير بما أثار عنه واستفيد من علومه ومعارفه، ارتبط به وحدث عنه حوالي ٣٤٦ شخصاً، منهم الثقة والضعيف، والمتروك والمجهول، ذكر الشيخ أبو جعفر الطوسي في رجاله ١٨٥ ممن رَوَوْا عنه نذكر أهمّهم باختصار<sup>[١]</sup>:

السيد عبد العظيم الحسيني يعدّ من كبار العلماء الرواة وله مقام رفيع في الزهد والتقوى، من أنجب تلامذة الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام ومن أشهر الرواة عنهما. أدرك بعض أصحاب الإمام الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام، ألف كتاباً حول خطب أمير المؤمنين عليه السلام وآخر عنوانه اليوم واللييلة.. قال له الإمام الهادي عليه السلام: «أنت ولينا حقاً»، وأشار على أبي حمّاد الرازي: كلّما حدثت لك مشكلة فاسأل عنها عبد العظيم الحسيني وأبلغه سلامي. تعرّض السيد عبد العظيم لمطاردة العباسيين فاختم في مدينة الري، سكن سرّياً في دار رجل من موالي الشيعة، يصوم نهاره ويقوم ليله لا يخرج إلا للضرورة مستتراً، يروي محمد بن يحيى العطار: «سأل الإمام الهادي عليه السلام رجلاً زائراً من أهالي مدينة الري فقال له: أين كنت؟ قال: كنت ذاهباً إلى زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، فقال له الإمام: كن على علم بأنك لو زرت قبر عبد العظيم الموجود في مدينتكم لكنت كمن زار قبر الإمام الحسين عليه السلام»<sup>[٢]</sup>.

الحسين بن سعيد الأهوازي: من أصحاب الإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادي عليهم السلام روى عنهم. أصله من الكوفة انتقل إلى الأهواز ثم إلى قم، ألف ثلاثين كتاباً

[١]- الصدوق، التوحيد، م، س، صص ٩٧-١٠٠؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي أبي الحسن عليّ بن محمد، م، س، ج، ١، ص ٢٠٧.

[٢]- الصدوق، الأمالي، م، س، ص ٢٠٤؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي، م، س، ج، ١، ص ٣٤٥.

في الفقه والآداب والأخلاق، اتفق العلماء على وثاقته والعمل برواياته<sup>[١]</sup>.

الفضل بن شاذان النيسابوري: فقيه كبير ومتكلم متضلع من أصحاب الإمامين العسكريين عليهما السلام، أدرك مجموعة من كبار أصحاب الأئمة، مثل محمد بن أبي عمير وصفوان بن يحيى، يعدّ خليفة هشام بن الحكم ويونس بن عبد الرحمن. ألف كتباً كثيرة ربما تصل إلى ١٨٠ كتاباً، منها كتاب الإيضاح في علم الكلام وتحليل عقائد أصحاب الحديث<sup>[٢]</sup>. وكتاب اليوم والليلة عرضه على أبي محمد العسكري عليه السلام فقال: إنّه صحيح ينبغي أن يعمل به. يقول عنه القاضي نور الله الشوشتری: كان من أكبر المتكلمين وأفضل المفسرين والمحدثين وأعظم وأشرف الفقهاء والمجتهدين وأعيان القراء والنحاة واللغويين<sup>[٣]</sup>.

إلى جانب إبراهيم بن محمد الهمداني، ودلت الرواية على وثاقته وجلالة أمره وسمو مكانته عند الإمام الهادي عليه السلام. وإبراهيم بن عبده النيسابوري وإبراهيم بن مهزيار، وكان وكيلاً للإمام الهادي عليه السلام في قبض الحقوق الشرعية، وأحمد بن إسحاق بن عبد الله الأشعري القمي الذي كان من خاصة أبي محمد عليه السلام وممن رأى الإمام المهدي عليه السلام وله مسائل الرجال للإمام الهادي عليه السلام، وأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي، وأيوب بن نوح بن درّاج ثقة له كتب وروايات ومسائل عن الإمام الهادي عليه السلام، والحسن بن راشد وكيل الإمام<sup>[٤]</sup>.

في ظل الفتنة العقائدية وتفشي الأهواء كان الإمام الهادي عليه السلام يستعرض عقائد أصحابه فيصحّحها، مثلما جاء في باب الموت والمعاد، قال عبد العظيم الحسيني: «دخلت على سيدي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما بصر بي قال لي: مرحباً بك يا أبا القاسم أنت ولينا حقاً. قال،

[١]- العطاردي، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد، م.س، ج ١، ص ٣٣١-٣٣٢.

[٢]- طبعته جامعة طهران سنة ١٣٩٢ هـ ق. العطاردي، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد، م.س، ج ١، ص ٣٣٣.

[٣]- القمي، عباس، الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، ص ١٤٣.

[٤]- راجع قائمة مفصلة بـ ١٨٠ من الرواة لدى: العطاردي، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد، م.س، ج ١، صص ٣٠٩-٣٧٧.

فقلت له: يا ابن رسول الله، إنّي أريد أن أعرض عليك ديني، فإن كان مرضياً أثبت عليه حتى ألقى الله عزّ وجلّ؟ فقال: هات يا أبا القاسم. فقلت: إنّي أقول: إن الله تبارك وتعالى واحد، ليس كمثله شيء، خارج عن الحدّين حدّ الإبطال وحدّ التشبيه، وإنه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر. بل هو مجسّم الأجسام، ومصوّر الصّور، وخالق الأعراض والجواهر، وربّ كلّ شيء، ومالكة وجاعله ومحدّثه، وإنّ محمّداً عليه السلام عبده ورسوله خاتم النبيّين فلا نبيّ بعده إلى يوم القيامة، وأقول: إنّ الإمام والخليفة ووليّ الأمر من بعده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ عليّ بن الحسين ثمّ محمّد بن عليّ ثمّ جعفر بن محمّد ثمّ موسى بن جعفر ثمّ عليّ بن موسى ثمّ محمّد بن عليّ ثمّ أنت يا مولاي. فقال عليه السلام ومن بعدي الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف من بعده؟ قال فقلت: وكيف ذاك يا مولاي؟ قال: لأنّه لا يرى شخصه ولا يحلّ ذكره باسمه حتّى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. قال، فقلت أقررت، وأقول إنّ وليّهم وليّ الله وعدوهم عدو الله، وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، وأقول إنّ المعراج حقّ والمساءلة في القبر حقّ، وإنّ الجنة حقّ وإنّ النار حقّ، والصراط حقّ والميزان حقّ، وإنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وإنّ الله يبعث من في القبور. أقول، إنّ الفرائض الواجبة بعد الولاية الصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقال عليّ بن محمّد عليه السلام: يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده فاثبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة<sup>[١]</sup>.

## ٥- سلاح الدعاء وأدب الزيارة

في زمن تفسّي الأهواء والعقائد الفاسدة، استند الإمام الهادي عليه السلام إلى الدعاء وزيارة الأئمة عليهم السلام كوسيلة لتبليغ المفاهيم الفكرية السليمة والقيم الروحية لشيعة ومواليه، ولتركيزها وتنمية الجانب الروحيّ والفكريّ لأصحابه. وقد ورد عن الإمام

[١]- الصدوق، التوحيد، م.س، ص ٨١؛ الصدوق، الأمالي، م.س، ص ٢٠٤؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد، م.س، ج ١، ص ٨٩؛ الصدوق، إكمال الدين، م.س، ج ١، ص ٣٧٩، باب ٣٧.

الهادي عليه السلام الزيارة الجامعة وزيارة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير وعدة زيارات للأئمة عليهم السلام..

تعدّ الزيارة الجامعة من أشهر زيارات الأئمة الطاهرين عليهم السلام وأكثرها ذيوغاً وانتشاراً، رواها الشيخ الطوسي والشيخ الصدوق.. وقال العلامة المجلسي: «إنّ هذه الزيارة من أصحّ الزيارات سنداً وأعمقها مورداً وأفصحها لفظاً وأبلغها معنى وأعلاها شأنًا<sup>[١]</sup>. اهتمّ العلماء بالزيارة الجامعة اهتماماً بالغاً شريحاً لما فيها من المطالب العالية والأسرار المنيعة، وأقبل عليها أتباع أهل البيت عليهم السلام خصوصاً لما حوته من الأدب الرائع وجواهر البلاغة، ودقة المعاني، فهي تؤكد مكانة أهل البيت عليهم السلام واصطفاءهم، في قوله عليه السلام: «السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي..» فوجّه الإمام عليه السلام الأنظار إلى أنّ الله تعالى اختصّهم عليهم السلام بكرامته فجعلهم موضع رسالته ومختلف الملائكة لما بلغوه من قيمة الصفات الكمالية كالعلم والحلم والكرم والرحمة. اختارهم الله كأمناء لقيادة الأمة لتكاملهم، فهم دعائم الأخيار وساسة العباد وأركان البلاد.

وأكدت على قيادة أئمة أهل البيت عليهم السلام «أئمة الهدى ومصابيح الدجى وأعلام التقى وذوي النهى»، وهم: «ذوو الحجى وكهف الورى وورثة الأنبياء والمثل الأعلى». ويشير الإمام الهادي عليه السلام إلى أنّ حركة أهل البيت عليهم السلام محلّ معرفة الله ومساكن بركته ومعادن حكمته وحفظة سرّه وحملة كتابه وأوصياء أنبيائه..

لخصّ الإمام الهادي عليه السلام الأسس الفكرية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام في هذه الزيارة بقوله: «السلام على الأئمة الدعاة والقادة الهداة والسادة الولاة والذادة الخماة وأهل الذكر وأولي الأمر وبقية الله وخيرته وحزبه وعيبة علمه وحجّته على صراطه ونوره وبرهانه ورحمة الله وبركاته».. وتضمّنت الزيارة مفاهيم عظيمة ورسائل بليغة مثل

[١]- روى هذه الزيارة محمّد بن إسماعيل البرمكي عن موسى بن عبد الله النخعي عن الإمام علي الهادي عليه السلام. الكشي، رجال الكشي، م.س، ص ٥١٨-٥١٩؛ ابن شعبة الحراني، تحف العقول، م.س، صص ٣٣٨-٣٥٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٨٩، ص ١٢١.

الإيمان بإيائهم عليهم السلام وقيام دولتهم، وضرورة الاستعداد لنصرة دولتهم ولتتمكين لهم في الأرض، وذلك بالتواصل معهم بالزيارة والدعاء، وبالإيمان بسرهم وعلانياتهم. والبراءة من عدوهم، والوحدة تحت لوائهم عليهم السلام والإيمان بهم عن وعي وإدراك وبحث وتمحيص وليس عاطفياً فقط<sup>[١]</sup>.

## ٦ - احتجاجات الإمام الهادي عليه السلام

### أ- الرؤية

قال أحمد بن إسحاق: كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس؟

فكتب: لا تجوز الرؤية، ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر فإذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصح الرؤية، وكان في ذلك الاشتباه، لأن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان ذلك التشبيه لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات<sup>[٢]</sup>.

### ب- علم الله

وعن معلّى بن محمد، قال: «سئل العالم عليه السلام كيف علم الله؟

قال: علم وشاء وأراد وقدّر وقضى وأبدى فأمضى ما قضى، وقضى ما قدّر، وقدّر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة، وبمشيئته كانت الإرادة، وإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء. فالعلم متقدّم المشيئة والمشيئة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء، فله تبارك وتعالى البدء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بدء. فالعلم بالمعلوم قبل كونه،

[١]- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، من لا يحضره الفقيه، ج٢، صص ٦٠٩-٦١٧.

[٢]- الطبرسي، الاحتجاج، م.س، ص ٤٤٩.

والمشيئة في المنشأ قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً وقياماً، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام. المدركات بالحواس من ذي لون وريح ووزن وكيل وما دب ودرج من إنس وجن وطير وسباع وغير ذلك مما يدرك بالحواس، فله تبارك وتعالى فيه البداء مما لا عين له، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء. والله يفعل ما يشاء، وبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها وبالإرادة ميز أنفسها في ألوانها وصفاتها وحدودها، وبالتقدير قدر أوقاتها وعرف أوقاتها وأخرها، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودنهم عليها، وبالإمضاء شرح عللها، وأبان أمرها، وذلك تقدير العزيز العليم<sup>[١]</sup>. وقال عليه السلام: «إن الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه وأتى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه والأوهام أن تناله والخطرات أن تحده والأبصار عن الإحاطة به. نأى في قربه وقرب في نأيه، كيف الكيف بغير أن يقال: كيف، وأين الأين بلا أن يقال: أين. هو منقطع الكيفية والأينية الواحد الأحد جل جلاله وتقدست أسماؤه»<sup>[٢]</sup>.

### ج- رسالته عليه السلام المعروفة بالرد على أهل الجبر والتفويض<sup>[٣]</sup>

«من علي بن محمد سلام عليكم وعلى من أتبع الهدى ورحمة الله وبركاته، فإنه ورد علي كتابكم وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر ومقالة من يقول منكم بالجبر ومن يقول بالتفويض وتفرقكم في ذلك وتقاطعكم وما ظهر من العداوة بينكم، ثم سألتموني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كله. اعلموا رحمكم الله أننا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممن يعقل عن الله جل وعز لا تخلو من معينين: إما حق فيتبع وإما باطل فيجتنب. وقد اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق وفي حال اجتماعهم مقررون

[١]- الصدوق، التوحيد، م.س، ص ٣٣٤.

[٢]- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، م.س، ص ٣٥٧.

[٣]- رواها الطبرسي بإيجاز: الطبرسي، الاحتجاج، م.س، صص ٤٥٠-٤٥٢. ورواها مرسله ابن شعبة الحراني.

بتصديق الكتاب وتحقيقه، مصيبون مهتدون وذلك بقول رسول الله ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً، والقرآن حق لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه. فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإن [هي] جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملّة.

فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبرٌ ورد عن رسول الله ﷺ ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه بحيث لا تخالفه أقاويلهم حيث قال: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن تضلوا ما تمسكتم بهما وإني لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصّاً مثل قوله جلّ وعزّ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٥-٥٦)، وروت العامة في ذلك أخباراً لأمر المؤمنين ﷺ أنه تصدّق بخاتمه وهو راعع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه. فوجدنا رسول الله ﷺ قد أتى بقوله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». وبقوله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي». ووجدناه يقول: «عليّ يقضي ديني وينجز مواعيدي وهو خليفتي عليكم من بعدي».

فالخبر الأوّل الذي استنبطت منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم، وهو أيضاً موافق للكتاب. فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشواهد الأخر لزم على الأمة الإقرار بها ضرورة؛ إذ كانت هذه الأخبار شواهدا من القرآن ناطقة ووافقت القرآن والقرآن وافقها. ثمّ وردت حقائق الأخبار من رسول الله ﷺ عن الصادقين (عليهم السلام) ونقلها قوم ثقات معروفون فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كلّ مؤمن ومؤمنة لا يتعدّاه إلاّ أهل العناد. وذلك أن أقاويل آل رسول الله ﷺ متصلة بقول الله وذلك مثل قوله في محكم كتابه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ (الأحزاب: ٥٧) ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن ينتقم منه». وكذلك قوله صلى الله عليه وآله: «من أحبَّ علياً فقد أحبَّني ومن أحبَّني فقد أحبَّ الله». ومثل قوله صلى الله عليه وآله في بني وليعة: «لأبعثنَّ إليهم رجلاً كنفي يحبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله، قم يا عليُّ فسر إليهم». وقوله صلى الله عليه وآله يوم خيبر: «لأبعثنَّ إليهم غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله، كزاراً غير فرار لا يرجع حتَّى يفتح الله عليه». فقضى رسول الله صلى الله عليه وآله بالفتح قبل التَّوجُّيه فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فلمَّا كان من الغد دعا علياً عليه السلام فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه المنقبة، وسماه كزاراً غير فرار، وسماه الله محباً لله ولرسوله، فأخبر أنَّ الله ورسوله يحبَّانه.

وإنَّما قدَّمنا هذا الشَّرْح والبيان دليلاً على ما أردنا وقوَّة لما نحن ميِّنوه من أمر الجبر والتَّفويض والمنزلة بين المنزلتين وبالله العون والقوَّة وعليه نتوكَّل في جميع أمورنا فإنَّنا نبدأ من ذلك بقول الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين، وهي صحَّة الحلقة وتخلية السَّرب والمهلة في الوقت والزَّاد مثل الرَّاحلة والسَّبب المهيج للفاعل على فعله»، فهذه خمسة أشياء جمع به الصادق عليه السلام جوامع الفضل، فإذا نقص العبد منها حلَّة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، فأخبر الصادق عليه السلام بأصل ما يجب على النَّاس من طلب معرفته ونطق الكتاب بتصديقه فشهد بذلك محكمات آيات رسوله؛ لأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام لا يعدُّون شيئاً من قوله وأقوا يلهم حدود القرآن، فإذا وردت حقائق الأخبار والتُّمست شواهداها من التَّنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلاَّ أهل العناد كما ذكرنا في أوَّل الكتاب ولما التمسنا تحقيق ما قاله الصادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين وإنكاره الجبر والتَّفويض وجدنا الكتاب قد شهد له وصدَّق مقالته في هذا. وخبرٌ عنه أيضاً موافق لهذا أنَّ الصادق عليه السلام سئل: هل أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال الصادق عليه السلام: «هو أعدل من ذلك». فقيل له: فهل فوِّض إليهم؟ فقال عليه السلام: «هو أعزُّ وأقهر لهم من ذلك».

«النَّاسُ فِي الْقَدْرِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ: رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّ الْأَمْرَ مَفْوُضٌ إِلَيْهِ فَقَدْ وَهَّنَ اللَّهُ فِي سُلْطَانِهِ فَهُوَ هَالِكٌ، وَرَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ جَلٌّ وَعَزٌّ أَجْبَرَ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِي وَكَلَّفَهُمْ مَا لَا يَطِيقُونَ فَقَدْ ظَلَمَ اللَّهُ فِي حُكْمِهِ فَهُوَ هَالِكٌ، وَرَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ كَلَّفَ الْعِبَادَ مَا يَطِيقُونَ وَلَمْ يَكَلِّفَهُمْ مَا لَا يَطِيقُونَ، فَإِذَا أَحْسَنَ حَمْدَ اللَّهِ وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ فَهَذَا مُسْلِمٌ بِالْغَيْبِ، فَأَخْبَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ مَنْ تَقَلَّدَ الْجَبْرَ وَالتَّفْوِيزَ وَدَانَ بِهِمَا فَهُوَ عَلَى خِلَافِ الْحَقِّ. فَقَدْ شَرَحَتْ الْجَبْرَ الَّذِي مِنْ دَانٍ بِهِ يَلْزِمُهُ الْخَطَأُ، وَأَنَّ الَّذِي يَتَقَلَّدُ التَّفْوِيزَ يَلْزِمُهُ الْبَاطِلُ، فَصَارَتْ الْمَنْزِلَةُ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ بَيْنَهُمَا»<sup>[١]</sup>.

\* نقل الإمام عليه السلام عن آبائه الكرام أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان ما وقرته القلوب وصدقته الأعمال، والإسلام ما جرى به اللسان وحلَّت به المناكحة». و«أثنى بعض أصحابه عليه وأكثر من الثناء عليه فقال عليه السلام: «إن كثرة الملق يهجم على الفطنة، فإذا حللت من أخيك محلَّ الثقة فاعدل عن الملق إلى حسن النية» وقال عليه السلام للمتوكِّل: «لا تطلب الصفاء ممن كدرت عليه ولا الوفاء ممن غدرت به ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك إليه فإنما قلب غيرك لك كقلبك له»<sup>[٢]</sup>.

#### د. شهادته ووصيته بإمامة العسكري عليه السلام

بدأت معاناة الإمام الهادي عليه السلام مبكراً من ظلم وجور الحكام منذ إشخاصه من المدينة إلى سامراء حتى دُسَّ إليه السم مثل آبائه الطاهرين. وقد أعلن الإمام الحسن عليه السلام: «ما منّا إلا مقتول أو مسموم». خافه المتوكِّل على ملكه وزوال دولته فأوكل أمره إلى القواد الترك. فقضى عشرين سنة وأشهرًا حبس مدينة العسكر. قال الطبرسي وابن الصبَّاح المالكي: «استشهد وليّ الله عليّ بن محمّد عليه السلام بالسمِّ في آخر ملك المعتز العباسي، يوم الاثنين لثلاث خلون من رجب سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م وكان عمره الشريف يوم توفّي ٤٢

[١]- بقية الرسالة: الطبرسي، الاحتجاج، م.س، ص ٤٤٩؛ ابن شعبة الحراني، تحف العقول، م.س، صص ٣٣٨-٣٥٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٥٠، ص ٦٨؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي، م.س، صص ١٩٨-٢١٣.

[٢]- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، م.س، ص ٣٦٢؛ الطبرسي، حياة الإمام علي الهادي، م.س، صص ١٥٦-١٦٥؛ العطاردي، مسند الإمام الهادي، م.س، ص ٢٧٦..

سنة، وقد أحضر عليه السلام أبا محمد العسكريّ ابنه عليه السلام، فسلمه مواريث الأنبياء والسلاح وأوصى إليه بالإمامة<sup>[١]</sup>. وأمر المعتزّ باستدعاء الإمام الحسن عليه السلام إليه ليعزيه ويسأله، وذلك للتمويه والخداع والتسترّ على جريمته التي ارتكبها بحقّ أبيه، كما كان ديدن العباسيين تجاه الأئمة عليهم السلام<sup>[٢]</sup>.

هرعت جماهير المواليين إلى داره، وخيم على سامراء جوّ من الحزن والحداد. واجتمع في داره جملة بني هاشم من الطالبين والعباسيين والقواد وخلق من الشيعة، ولم يكن ظهر عندهم أمر أبي محمد العسكريّ عليه السلام ولا عرف خبره إلا الثقات، الذين نصّ أبو الحسن عليه السلام (عندهم) عليه. ثمّ فتح من صدر الرّواق باب خرج منه أبو محمد عليه السلام حاسراً مكشوف الرأس مشقوق الثياب، وعليه مبطنة (ملحمة) بيضاء، ثمّ خرج خادم فوقف بحذاء أبي محمد، فنهض عليه السلام وأخرجت الجنازة في شارع كثر فيه المواليون لآل البيت، وخرج يمشي حتّى الشارع الذي بإزاء دار موسى بن بغا، وذكر اليعقوبيّ أنّ المعتزّ بعث بأخيه أحمد بن المتوكّل، فصلّى عليه في الشارع المعروف بشارع أبي أحمد، وقد كان أبو محمد عليه السلام صلّى عليه قبل أن يُخرج إلى الناس. واجتمع الناس وضجّوا وعلا نحيبهم وثار تائرتهم إثر خروج الجنازة، ما يدلّ على أهميّة المواليين والمحبين رغم قسوة الظروف في سامراء، حتّى خاف الجهاز الحاكم الفتنة، فأمروا بردّ الجنازة ودفن الإمام عليه السلام في داره<sup>[٣]</sup>.

[١]- المسعودي، مروج الذهب، م.س، ج ٤، ص ٨٥؛ المفيد، الإرشاد، م.س؛ منتهى المقال، ص ٢٤٢؛ وذكر سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص، ص ٣٦٦: أنّ الإمام توفي في جمادى الآخرة أو ٣ رجب سنة ٢٥٤ هـ.

[٢]- وقال ابن بابويه والمسعودي وغيرهما سمّه المعتمد.

[٣]- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، التاريخ، ج ٢، ص ٥٠٣؛ الطبري، دلائل الإمامة، م.س، ص ٤٠٩؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، م.س، ج ٤، ص ٤٠١. المسعودي، إثبات الوصية، م.س، ص ٢٤٢-٢٤٤.

## الخاتمة

يعدّ هذا البحث محاولةً لدراسة تاريخ علم الكلام الشيعي وتطوّره في النصف الأوّل للقرن الثالث الهجريّ/ ٩م، وبالتحديد في زمن الإمام الهادي عليه السلام، وهو زمن سادت فيه مقولات المعتزلة، والحشوية، والغلاة، بدعم السلطة وتوجيهها، فتسرّبت الشبهات إلى العقائد. فكانت الحاجة ملحةً للتصدّي لهذا الانحراف من قبل الإمام عليه السلام. وعلى الرغم من التزام الإمام الهادي عليه السلام بالتيّة، وتعرّضه للإقامة الجبريّة في مدينة العسكر، وحظره من مخالطة المسلمين، إلّا أنّه سعى جهده للدفاع عن الدين الحنيف بطرق مختلفة. وأهمّ النقاط التي خلص إليها البحث، هي:

- استمرّت إمامة علي الهادي عليه السلام أربعاً وثلاثين سنة، وكانت مرحلة انتقاليّة من الإمامة الظاهرة إلى الإمامة الغائبة.
- اعتبر الإمام الهادي عليه السلام الغلو والتطرّف ظواهر منحرفة واجهها بأشكال مختلفة.
- دعا أصحابه إلى عدم الخوض في المهاترات التي ذهبت بالأرواح البريّة، ولم يستفد منها إلّا الجهاز الحاكم بإهواء الناس.
- عند الضرورة لجأ الإمام عليه السلام إلى تحدي السلطة عبر مواجهة المتفكّمين والردّ عليهم في مسائل كثيرة.
- واصل الإمام الهادي عليه السلام المسيرة الرساليّة للأئمّة من قبله، في بيان العقائد، كمعرفة الله وتوحيده وصفاته.
- عمل الإمام الهادي عليه السلام على تكريس دعائم نظريّة «الأمر بين أمرين» البديلة للجبرية والمفوضة منذ عهد الإمام الصادق عليه السلام، وقد توسّع الإمام الهادي عليه السلام «في تأصيل هذه النظريّة في ضوء آيات القرآن الكريم، وما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام، وما دلّ عليه العقل».
- اهتمّ الإمام عليه السلام بجهاز الوكالة وسعى إلى تطويره وصيانته من عوامل الضعف

والانهدام. وأعدّ وكلاء خاصّين به في أنحاء البلدان الإسلاميّة ليشوا علوم أهل البيت عليهم السلام وليمهدوا الأرضيّة لخلفهم من وكلاء للإمام العسكري عليه السلام، ومن ثمّة للإمام الحجّة المنتظر عليه السلام في غيبته الصغرى.

- في زمن تفسّي الأهواء والعقائد الفاسدة، استند الإمام الهادي عليه السلام إلى الدعاء وزيارة الأئمّة عليهم السلام كوسيلة لتبليغ المفاهيم الفكرية السليمة والقيم الروحية لشيعة ومواليه، ولتركيزها وتنمية الجانب الروحي والفكري لأصحابه.

وهكذا كان الإمام الهادي عليه السلام مصداقاً ثانياً ودليلاً واضحاً على خصوصيّة الإمامة المبكّرة التي أرادها الله تعالى تمهيداً للغيبة المهديّة وإعداداً لمواليه وأمتّه.. ورغم الحصار والمراقبة المشدّدة، فقد تصدّى للمعتزلة وأهل الأهواء والغلاة وفنّد شبهاتهم. كما استعمل سلاح الدعاء وركّز أدب الزيارة لربط الموالين بالأئمّة وغرس فيها المفاهيم الرساليّة والقيم الراسخة لتظلّ باسقة تؤتي أكلها كلّ حين بإذن الله.

## قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. ابن الأثير، اسماعيل بن عمر (ت ٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ، تح عبد الله القاضي، ط ٢، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٥.
٣. ابن الجوزي، عبد الرحمان بن الحسن، صفة الصفوة، تح: م فاخوري وقلعجي، لا. ط، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٦.
٤. ابن الصباغ الصفاقسي المالكي (ت ٨٥٥ هـ)، الفصول المهمة، تقديم توفيق الفيكيكي، منشورات دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٩ هـ.
٥. ابن أمير الحاج، محمد: شرح شافية أبي فراس، تحقيق: صفاء الدين البصري، ط ١، طهران، مؤسسة الطباعة والنشر، ١٤١٦ هـ.
٦. ابن بابويه القمي، علي بن الحسين (ت ٣٢٩)، الإمامة والتبصرة من الحيرة، مدرسة الإمام المهدي، قم. ١٤٠٤ هـ.
٧. ابن تغري بردي، أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لا. ط، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر والطباعة، ١٩٧٢.
٨. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل، الصواعق المحرقة، تح: ع عبد اللطيف، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، ١٩٦٥.
٩. ابن خلدون، عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم

والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية،  
١٩٩٢.

١٠. ابن خلّكان، أحمد بن محمّد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ)، وفيّات الأعيان وأنباء أبناء  
الزمان، تح: إحسان عباس، لا. ط، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٨.

١١. ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن عليّ بن الحسين: تحف العقول، تحقيق: علي أكبر غفاري،  
ط ٢، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي (التابعة) لجامعة المدرّسين بقم المشرفة، ١٤٠٤.

١٢. ابن شهر اشوب، محمّد بن عليّ (ت ١١٩٢م)، مناقب آل أبي طالب، النجف الناشر،  
نشر المطبعة الحيدريّة، ١٩٥٦.

١٣. ابن شهر اشوب، محمّد بن عليّ، معالم العلماء في فهرست كتب المصنّفين منهم قديماً  
وحديثاً، نشر إقبال عباس، ١٩٥٥.

١٤. ابن طاووس، عليّ بن موسى، مهج الدعوات، ط طهران، ١٣٢٣هـ.

١٥. ابن طلحة الشافعيّ، كمال الدين محمّد (ت ٦٥٢هـ)، مطالب السؤل في مناقب آل  
الرسول، مؤسّسة البلاغ، بيروت، (د.ت).

١٦. ابن كثير الدمشقيّ، اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف،  
بيروت، (د.ت)

١٧. ابن كثير الدمشقيّ، اسماعيل بن عمر، تفسير ابن كثير، ط ٥، بيروت، دار الكتب  
العلميّة، ١٩٨٦.

١٨. أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين، تحقيق: كاظم المظفر، ط٢، قم، مؤسّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، ١٩٦٥.
١٩. الأربليّ، علي بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمّة، ط٢، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٥.
٢٠. الأمين، محسن العامليّ، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
٢١. الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن: وسائل الشيعة، ط٢، قم، مؤسّسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، ١٤١٤هـ.
٢٢. الحسينيّ، هاشم معروف، عقيدة الشيعة الإماميّة، منشورات دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت.
٢٣. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن عليّ (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د.ت).
٢٤. الخوارزميّ، الموفق بن أحمد المكي، المناقب، مؤسّسة النشر الجامعيّ، قم، ١٤١١هـ.
٢٥. الخوانساريّ، محمد باقر الموسويّ، روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، نشر إسماعيليان، قم، ١٣٩٠هـ ش.
٢٦. الدوري، عبد العزيز، العصر العبّاسيّ الأوّل، لا.ط، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ٢٠٠٦.
٢٧. الذهبيّ، شمس الدين (ت ٧٤٨هـ) تذكرة الحفاظ، مكتبة الحرم المكيّ، دائرة المعارف العثمانيّة حيدرآباد الدكن. (د.ت).

٢٨. الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام المؤلف، تح: ع

التدمري، ط ٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٣.

٢٩. الرفاعي، محمد سراج الدين، صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأبرار، تح:

عارف أحمد عبد الغني.

٣٠. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط ١٠، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٢.

٣١. السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، لا.ط، بيروت، دار الكتب العلمية،

١٤٠٨.

٣٢. الصدوق، محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، الأمالي، طبع بقم، ١٣٧٣هـ.

٣٣. الصدوق، محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، التوحيد، تحقيق: السيد هاشم

الحسيني الطهراني، لا.ط، قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم

المقدسة.

٣٤. الطبرسي، أحمد (القرن ٦هـ)، الاحتجاج، تح: محمد باقر الموسوي، ط ٣، بيروت،

مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٠.

٣٥. الطبرسي، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، ط ١، قم،

مؤسسة البعثة، ١٤١٣ هـ ق.

٣٦. الطبرسي، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،

ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩.

٣٧. الطبسيّ، محمد جواد، حياة الإمام الهادي، ط ١، بيروت، دار جواد الأئمة عليهم السلام، ٢٠٠٥.

٣٨. العطارديّ، عزيز (جمع وترتيب)، مسند الإمام الهادي عليه السلام، دار الصفوة، بيروت، ٢٠١٢.

٣٩. العلويّ، نجم الدين علي (ق ٥٥)، المجدي في أنساب الطالبين، تحقيق: الدكتور أحمد الدماغاني، قم، ١٤٠٩ هـ.

٤٠. القميّ، عباس، الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، دار الأضواء، بيروت.

٤١. القميّ، عباس، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، طبع بطهران، ١٣٥٥.

٤٢. القميّ، عباس، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

٤٣. الكشيّ، محمد بن عمر، رجال الكشيّ، تح: السيّد الحسينيّ، لا. ط، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٩.

٤٤. الكلينيّ، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، مؤسسة الأعلميّ، بيروت، ٢٠٠٥.

٤٥. المازندرانيّ، محمد صالح، شرح الكافي، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٤٢٤ هـ.

٤٦. المجلسيّ، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط ٢، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣.

٤٧. المجلسيّ، محمد باقر، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، مؤسسة دار الكتاب الإسلاميّ، قم.

٤٨. المحلّائيّ، ذبيح الله، مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، انتشارات المكتبة الحيدريّة.
٤٩. المسعودي، إثبات الوصيّة، ط النجف، ١٣٧٤هـ.
٥٠. المسعودي، عليّ بن الحسن (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب العربيّ، بغداد، (د.ت).
٥١. المسعودي، التنبيه والإشراف، دار الهلال، بيروت، ١٩٨١.
٥٢. المفيد، محمّد بن محمّد (ت ٤١٣هـ): الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تح: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، ط ٢، بيروت، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣.
٥٣. المقدّس الأردبيليّ، أحمد بن محمد (ت ٩٩٣هـ)، حديقة الشيعة، تح: حسيني موسوي، مكتبة آستان.
٥٤. النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفيّ في الإسلام، ط ٨، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١.
٥٥. النوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة، المطبعة الحيدريّة، النجف، ١٩٣٦.
٥٦. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠.
٥٧. بدوي، عبد الرحمن، التراث اليونانيّ في الحضارة الإسلاميّة، ط ٤، وكالة المطبوعات (الكويت)، ودار القلم (بيروت)، ١٩٨٠.
٥٨. بن عبد الوهاب، حسين (ق ٥٥هـ)، عيون المعجزات، نشر محمد كاظم الشيخ صادق الكتبيّ، المطبعة الحيدريّة النجف، ١٩٥٠.

٥٩. جار الله، زهدي، كتاب المعتزلة، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٧.
٦٠. حسن إبراهيم، حسن، تاريخ الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.
٦١. رسول جعفریان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، دار الحق، بيروت، ١٩٩٤.
٦٢. سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزعلي البغدادي (ت ٦٥٤ هـ)، تذكرة الخواص، تح: م ص بحر العلوم، مكتبة نينوى، طهران (دت).
٦٣. ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، ط ٦، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
٦٤. قراملكي، محمد حسن قدريان، الإمامة، تر: حسن مطر، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ٢٠١٦.
٦٥. موسى الكعبي، علي، الإمام الهادي (عليه السلام) سيرة وتاريخ، مركز الرسالة، (دت).

# أدوار الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام في التأسيس الكلامي

الأستاذة زينب فهدا (\*)

## مقدمة

انبرى أئمة أهل البيت عليهم السلام منذ القرون الإسلامية الأولى إلى الدفاع عن حياض الإسلام ومعارفه، وصيانة عقيدتهم وشريعتهم، على الرغم من كل الظروف القاسية التي كانوا يعيشونها، سواء في زمن الأمويين أم العباسيين الذين لم يدخروا جهداً في محاولة إقصائهم عن الناس عامة وعن شيعتهم ومواليهم خاصة، مما دعاهم عليهم السلام إلى وضع خطوط عامة لسياستهم ضدّ الحكّام المنحرفين، وتشكيل كتل شيعية مؤمنة في مناطق مختلفة قادرة على التصدي للانحرافات السلوكية والفكرية والعقدية التي كانت سائدة آنذاك؛ وكان هذا حال الإمام العسكريّ مقتدياً بسيرة آبائه وأجداده.

لقد جهد ملوك العباسيين على ظلمه وإنزال أقصى العقوبات به، فكانوا ينقلونه من سجن إلى آخر، ويمنعونه عن الالتقاء بشيعته، ومنعوا العلماء والفقهاء من الانتهال من خزائن علمه. وعلى الرغم من ذلك كلّه، مارس الإمام العسكريّ عليه السلام دوره في توجيه أتباعه ومريديه وتوعيتهم وحماية الرسالة وتحمل مسؤوليتها، ولم تنل منه أواصد تلك السجون التي قبع في زنازينها، فانتشر مذهب أهل البيت عليهم السلام انتشاراً واسعاً في عصره، وذخرت الحركات العلمية التي ساهمت في إرساء مذهب الإمامية في مختلف بقاع الأرض، قاطعاً بذلك شوطاً جديداً من أشواط تطوّر علم الكلام في عصره.

(\*) - باحثة ومدرّسة في جامعة المصطفى (حوزة الزهراء عليها السلام) - بيروت.

وما نُقل ووصل إلينا من سيرة الإمام عليه السلام، وكتبه، وتوقيعاته، ورسائله، ووصاياه، تشكّل ثروة معرفية في مجالات العقيدة والفقه والأخلاق والفلسفة والاجتماع، وغيرها من العلوم الإسلامية.

وهذه الدراسة، محاولة لتلمّس البُعد الكلامي في هذا الإرث المبارك للإمام العسكري عليه السلام، وأدواره في بيان العقيدة، وتوجيه القاعدة المؤمنة وحماتها، ومواجهة الفرق المنحرفة والفئات الضّالة، وإبطال شبهات الملحدين والخصوم، وبالنتيجة التّعرف على ما بلغه علم الكلام في عصره من نضج واتّساع في الآفاق.

وقد اعتمدنا المنهج التحليلي النقلي عبر دراسة تحليلية لمجموعة من المفاصل المهمة في حياة الإمام العسكري عليه السلام، ودعمها بالأحاديث الشريفة عنه عليه السلام، التي كان لها أثر ودور مهم في التاريخ الإسلامي بشكل عام، ومسيرة الفكر العقدي وتطوره بشكل خاص. وفي ظل غياب دراسات سابقة في هذا الصدد، وقع الاعتماد على الدراسات العامة التي تُحاكي حياته عليه السلام وأبعادها.

وقد قسّمنا الدراسة إلى خمسة مطالب:

أولاً: السيرة الذاتية للإمام الحسن العسكري عليه السلام

ثانياً: الحياة السياسية والاجتماعية في زمن الإمام العسكري عليه السلام

ثالثاً: الحياة العلمية للإمام الحسن العسكري عليه السلام

رابعاً: الأدوار الكلامية للإمام العسكري عليه السلام

خامساً: أصحاب الإمام العسكري عليه السلام

## أولاً: السيرة الذاتية للإمام الحسن العسكري عليه السلام

نشأ الإمام العسكري عليه السلام وترعرع في ظل أبيه الإمام الهادي عليه السلام؛ حيث تلقى ميراث الإمامة، فكان كأجداده علماء، وأخلاقاً، ونبلاً، وعبادةً. تولى الإمامة بعد استشهاد والده وهو في السن الخامسة، ولم يكن أبوه يترك حدثاً أو ظرفاً إلا وأعلن فيه أنه الخليفة من بعده.

### ١. نبذة عن شخصية الإمام وحياته:

هو أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولد في شهر ربيع الأول سنة ٢٣٢ هـ بالمدينة المنورة. وقد اختلف المؤرخون في تحديد التاريخ الدقيق لولادته، وانسحب الاختلاف حتى طال مكان ولادته هل هو سامراء أم المدينة؟<sup>[١]</sup>. ذكره الكليني في الكافي بقوله: «وُلد أبو محمد الحسن بن علي في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين»<sup>[٢]</sup>. وقال ابن شهر آشوب: «ميلاده يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الآخر بالمدينة، وقيل: وُلد بسر من رأى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين»<sup>[٣]</sup>، وذكره المجلسي في بحاره بقوله: «وقيل يوم الاثنين»<sup>[٤]</sup>.

والده هو الإمام الهادي عليه السلام، الذي انتقل إلى مدينة سامراء سنة ٢٣٤ هـ، بعد أن استدعاه المتوكل العباسي، وللإمام العسكري عليه السلام من العمر ستان من العمر في أشهر الروايات. وقد عاش الإمام العسكري عليه السلام مع والده ثلاثة وعشرين سنة وأشهرًا، وعاش بعد والده مدة إمامته، وهي خمس سنين وأشهرًا أو ست سنين قضاها في

[١]- يراجع: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص ١٨.

[٢]- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ١، ص ٥٠٣.

[٣]- يراجع: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٥٢٧.

[٤]- يراجع: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٥٠، ص ٢٣٦.

سامراء، فكانت مدة حياته تسعاً وعشرين سنة أو أقلّ بحسب الروايات<sup>[١]</sup>. وإلى ذلك يُشير العلامة الحسيني بقوله: «وبقي مع أبيه طيلة حياته في سامراء إلى أن اختاره الله للإمامة سنة ٢٥٢ هـ وله من العمر اثنان وعشرون عاماً. واستمرت خلافته ستّ سنين إلى سنة ٢٥٩ هـ»<sup>[٢]</sup>.

أمّه هي أم ولد، يُقال لها حديثه، أو حديث. وقيل: سليل، وغزال المغربيّة، وحرّية، وكانت من العارفات الصّالحات كما ذكرها زوجها الإمام الهادي عليه السلام.<sup>[٣]</sup>

تزوج عليه السلام من جارية رومية تُدعى نرجس، وقد ذكر المؤرّخون لها أسماء ثمانية، منها: سوسن، صقيل، مليكة، ريجانه. ولم يكن لديه من الأبناء إلا المهديّ المنتظر، وهذا هو الرأي المشهور بين الشيعة الإمامية، كما صرح بذلك الشيخ المفيد في الإرشاد قائلاً: «ولم يخلف أبوه ولداً ظاهراً ولا باطناً غيره، وخلفه غائباً مستتراً»<sup>[٤]</sup>.

عُرف الإمام العسكري عليه السلام بألقاب مختلفة، جاءت بها النصوص الماثورة عن أهل العصمة عليهم السلام، أو التي وردت في كتب الرجال، ويعود السبب في ذلك إلى ظروف الرقابة الشديدة التي جعلت شيعة تتواصل معه عبر الألقاب تكون لهم ذريعة للخلاص، ومنها: الصّامت، الهادي، الزكي، السراج، الشّافي، المرضي، السّخي، الرّقيق، والفاضل. وكان هو وأبوه وجده يُعرف كلّ منهم في زمانه بلقب ابن الرضا<sup>[٥]</sup>، وأشهر ألقابه العسكريّ، كما كان أبوه يلقّبه بذلك؛ نسبة إلى محلّة تُعرف بالعسكر سكنها الإمام عليه السلام حينما دخل سامراء. وكُنّي الإمام بأبي محمّد، وهو اسم ولده الإمام المنتظر محمّد المهديّ عليه السلام أمل

[١]- يراجع: العواد، مهدي، سلسلة أهل البيت عليهم السلام، الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ، ص ١٤.

[٢]- الحسيني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، ج ٢، ص ٤٨١.

[٣]- يراجع: الأربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمة، ج ٣، ص ٢٢٦.

[٤]- المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ٢، ص ٣٤٦.

[٥]- يراجع: الأربلي، كشف الغمّة في معرفة الأئمة، م.س، ج ٣، ص ١٩٧.

المحرومين والمستضعفين في الأرض<sup>[١]</sup>. قال الشيخ الطوسي: «كنيته أبو محمد»<sup>[٢]</sup>، وقال ابن الصباغ: «أما كنيته فأبو محمد وأما لقبه فالخالص والسراج والعسكري»<sup>[٣]</sup>.

توفي عليه السلام في الخامس من شهر ربيع الأول سنة ٢٦٠هـ بعد أن دس له الحاكم المعتمد العباسي سماً قاتلاً في طعامه<sup>[٤]</sup>، حيث ذكر الشيخ المفيد أن روحه الشريفة قبضت يوم الجمعة لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومئتين، وله يومئذ ثمان وعشرون سنة<sup>[٥]</sup>، ودفن إلى جوار أبيه الإمام الهادي عليها السلام في داره بسر من رأى.

## ٢. صفاته عليه السلام:

اشتهر الإمام العسكري عليه السلام بكمال العقل، والعلم، والزهد، والشجاعة، والعصمة. وكان له مقاماً رفيعاً بين الناس وبين علماء عصره، الذين كانوا يأتون من كل صوب شوقاً إلى زيارته، حتى روى عنه ليف من الفقهاء والمحدثين ما يربو عن ١٥٠ شخصاً، أدرج العطاردي أسماءهم في مسند الإمام العسكري. وقد أفاض العلماء بذكر محاسن صفاته وأخلاقه: «وأما الحسن بن علي العسكري، فقد كانت أخلاقه كأخلاق رسول الله»<sup>[٦]</sup>، «وكفاه شرفاً ومزية أن جعل الله تعالى محمد المهدي بضعته، وأخرجه من صلبه، وجعله معدوداً من حزبه»<sup>[٧]</sup>.

وعُرف عليه السلام بجوده وكرمه، وقضائه لحوائج الناس، فكان يقصده القريب والبعيد لحل مشاكلهم المادية، ومنهم أبو طاهر بن بلبل الذي بعث له بمئة ألف دينار، وعمرو بن أبي مسلم الذي أرسل له خمسين ديناراً، وأرسل صرة فيها عشرة دنانير إلى الخزري،

[١]- يراجع: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، م.س، ص ٥٢٧.

[٢]- الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٩٢.

[٣]- الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى، ج ٢، ص ٣٤٩.

[٤]- يراجع: الحسيني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، م.س، ج ٢، ص ٥٠٧.

[٥]- يراجع: المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، م.س، ج ٢، ص ٣١٣.

[٦]- القمي، عباس، الأنوار البهية، ص ٢٥١.

[٧]- ابن صباغ، علي بن محمد، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ج ٢، ص ١٠٨١.

وخمسين دينارًا إلى رجل من العلويين بحسب ما ورد في المصادر التاريخية<sup>[١]</sup>.

لقد كان الإمام العسكري عليه السلام أعبد أهل زمانه، وأكثرهم طاعة لله، وقد عرفه الخاصة والعامة بكثرة العبادة والمناجاة والابتهاج لله عز وجل ليلاً ونهاراً، ويشهد بذلك من حُبس معه في سجون بني العباس.

وفي هذا المجال، نذكر بعض ما ورد من صلواته وصيامه عليه السلام. فعن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري قال: «كان الحسن يصوم في السجن، فإذا أفطر أكلنا معه من طعام كان يحملُه غلامه إليه في جوزة مختومة»<sup>[٢]</sup>. وجاء في رواية الكليني عن علي بن محمد بسنده إلى علي بن عبد الغفار أنه قال: «دخل العباسيون على صالح بن وصيف عندما حُبس أبو محمد العسكري، وطلبوا منه التضييق عليه، فقال لهم: ما أصنع به، وقد وكّلت به رجلين أشرّ من قدرت عليه، فقد صاروا من العبادة والصلة إلى أمرٍ عظيم، ثم أمر بإحضار الموكلين به فقال: لما ويحكم ما شأنكما في أمر هذا الرجل، فقالا له: ما تقول في رجل يصوم نهاره ويقوم ليله كله، لا يتكلّم ولا يتشاغل بغير العبادة»<sup>[٣]</sup>.

ولقد ترك عليه السلام ميراثاً عظيماً من الأدعية التي كانت وسيلة من وسائله في كشف ما يعانیه المسلمون من ظلم العباسيين واضطهادهم، داعياً إليّاهم على الصبر في النوائب، والثبات في العقيدة. فقد روى الحميري في الدلائل عن أبي هاشم الجعفري قال: كتب إلى أبي محمد بعض مواليه يسأله أن يعلمه دعاء، فكتب إليه: أدع بهذا الدعاء: «يا أسمع السامعين، يا أبصر المبصرين، يا أنظر الناظرين، يا أسرع الحاسبين، يا أرحم الراحمين، ويا أحكم الحاكمين، صلّ على محمد وآل محمد، وأوسع لي في رزقي، ومدّ لي عمري، وامن عليّ برحمتك، واجعلني ممن تتصر به لدينك، ولا تستبدل بي غيري»<sup>[٤]</sup>، وفي دعاء

[١]- الطوسي، محمد جواد، حياة الإمام العسكري دراسة تحليلية تاريخية علمية لحياة الامام الحسن العسكري، ص ٢٠٢.

[٢]- الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، م.س، ج ٢، ص ٢١٥.

[٣]- المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، م.س، ج ٢، ص ٣٣٤.

[٤]- ابن طاووس، علي بن موسى، مهج الدعوات ومنهج العبادات، ص ٦٣.

آخر جرى على لسانه عليه السلام جاء فيه: «اللهم إني أشهدك بحقيقة إيماني، وعقد عزمات يقيني، وخالص صريح توحيددي، وخفيّ سطوات سرّي، وشعري وبشري، ولحمي ودمي، وصميم قلبي وجوارحي ولبي، بأنك أنت الله لا إله إلا أنت، مالك الملك، وجبار الجبارة، وملك الدنيا والآخرة، تعزّ من تشاء، وتدّل من تشاء، بيدك الخير إنك على كلّ شيء قدير»<sup>[١]</sup>، وكان يدعو في صباح كلّ يوم بهذا الدعاء: «يا نور النور، يا مدبّر الأمور، يا باعث من في القبور، يا شافي الصدور، يا جاعل الظل والحور، يا عالماً بذات الصدور، يا منزل الكتاب والنور والفرقان والزبور، يا من تسبّح له الملائكة بالإبكار والظهور»<sup>[٢]</sup>.

### ٣. إمامته الشريفة:

استطاع الإمام الهادي عليه السلام -وعلى الرغم من الاضطهاد والرقابه المتشدّده التي كان يعاني منها من قبل العباسيين- أن ينصّ على إمامة ابنه العسكري عليه السلام، كلّما أُتيحت له الفرصة وساعدته الظروف، سواء في المدينة أو سامراء، وكثيراً ما كان يخبر أن صاحب هذا الأمر من بعده هو ابنه -أبو محمّد-. وفي ذلك، قال الشهيد السعيد القتال النيسابوري: «والإمام بعد أبي الحسن ابنه أبو محمّد الحسن عليه السلام لاجتماع خصال الفضل فيه، وتقدّمه على كافّة عصره، فيما يوجب له الإمامة، وتفضي له الرياسة من العلم والزهد وكمال العقل والعلم والعصمة والشجاعة ولنصّ أبيه عليه»<sup>[٣]</sup>، وعن محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن محمّد، عن جعفر بن محمّد الكوفي، عن بشار بن أحمد البصري، عن عليّ بن عمر النوفليّ قال: «كنت مع أبي الحسن عليه السلام في صحن داره، فمر بنا محمّد ابنه، فقلت: جعلت فداك، هذا صاحبنا بعدك؟ فقال: لا، صاحبكم بعدي ابني

[١]- م. ن، ص ٢٧٧.

[٢]- ابن طاووس، مهج الدعوات ومنهج العبادات، م. س، ص ٢٧٧.

[٣]- النسابوري، القتال، روضة الواعظين، ص ٢٤٧.

الحسن»<sup>[١]</sup>، وعن الكليني عن علي بن محمد عن محمد بن أحمد الهندي عن يحيى بن يسار القنبري قال: «أوصى أبو الحسن عليه السلام إلى ابنه الحسن قبل مضيّه بأربعة أشهر وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي»<sup>[٢]</sup>.

وقد واجهت الإمام العسكري عليه السلام مشكلة خطيرة تمثلت بكثرة المترددين والشاكين في إمامته، إذ إن الظروف السياسيّة الصعبة التي كان يعيشها الإمام الهادي من التضييق عليه، وعزله عن الناس حوالي عشرين عامًا، دعت عليه السلام إلى ألا يتوسّع في الإعلان عن إمامة ولده الحسن؛ خوفًا على حياته، وحرصًا على بقاء نسل الإمامة بعده؛ لذلك كان يحرص على إبقائه بعيدًا، بحيث لم يعرفه أحد إلا القليل من أصحابه ومواليه. لذلك كان الكثير من الشيعة يعتقدون بإمامة أخيه محمد بن علي، حتى إنهم كانوا يقومون له حال دخوله على أبيه الهادي، ولقد نهاهم الإمام عن ذلك، وكان يقول: «عليكم بصاحبكم وكان يُشير إلى ابنه الحسن العسكري»<sup>[٣]</sup>. وقد قام بعض الجهلة والخنوة كابن ماهويه وأصحابه وزمرته وجعفر بن علي الكذاب بإغراء الناس وحرفهم عن الحق بادّعائهم إمامة أخيه محمد.

ولكثرة مكاتبتهم ومراسلتهم حول هذه المسألة، خرج في بعض توقيعاته عليه السلام ما يُشير إلى ذلك، ومنها مكاتبة هارون بن مسلم وجوابه عليه، روى المسعودي عن سعد بن عبدالله عن هارون بن مسلم قال: «كتبت إلى أبي محمد بعد مضي أبي الحسن أنا وجماعة نسأله عن وصي أبيه، فكتب: قد فهمت ما ذكرتم، وإن كنتم إلى هذا الوقت في شك، فإنها المصيبة العظمى، أنا وصيّه وصاحبكم بعده، وأشهد الله تعالى وملائكته وأوليائه على ذلك، فإن شككتم بعد ما رأيتم خطي، وسمعتم مخاطبتي، فقد أخطأتم أنفسكم وغلطتم الطريق»<sup>[٤]</sup>. وفي رسالة أخرى أرسلها الإمام عليه السلام إلى شخص من

[١]- الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، م.س، ج ٢، ص ١٣٣

[٢]- الكليني، الكافي، م.س، ج ١، ص ٣٢٥.

[٣]- الطبرسي، حياة الإمام العسكري دراسة تحليلية تاريخية لحياة الامام الحسن العسكري، م.س، ص ١٦٦.

[٤]- م.ن، ص ١٦٤

شيعته حول المسألة نفسها، حيث أبدى فيها ضيقه وانزعاجه من بعض الشيعة الذين ضلّوا عن الطّريق، وانحرفوا عن الحقّ، وشكّكوا في إمامته وهذا نصّها: «ما مُني أحد من آبائي بمثل ما منيت به من شكّ هذه العصابة بأن كان هذا الأمر أمراً اعتقدتموه ودمتم به إلى وقت ثمّ ينقطع أفي الشكّ موضع، وإن كان متّصلاً ما اتّصلت أمور الله فما معنى الشكّ...»<sup>[١]</sup>. فلا مجال للشكّ في الإمامة كما يقول عليه السلام، فإنّما هي متّصلة إلى الإمام المهديّ عليه السلام حسب ما تواتر من الأخبار، وبعد ذلك فما معنى الشكّ؟

### ثانياً: الحياة السياسيّة والاجتماعيّة في زمن الإمام العسكريّ عليه السلام

فرضت السّلطة العبّاسيّة الإقامة الجبريّة على الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام في سامراء، وأحاطته بالرقابة لتشكّل كلّ تحرّكاته، وتحول بينه وبين ممارسة دوره القياديّ في أوساط الأئمة، التي ذاق ما ذاق من أنواع التنكيل والذلّ، ما جعلها تحمل لواء الثّورة على الظّالمين من بني العبّاس. وقد كان موقف الإمام عليه السلام امتداداً لموقف آباءه تجاه السّلطة الحاكمة.

#### ١. الوضع السياسيّ العامّ في عصر الإمام العسكريّ عليه السلام

عاش الإمام العسكريّ عليه السلام ظُروفاً مأساويّة قاسية، وهي الظروف التي كان يعيشها الأئمة من قبله، والتي كانت تفرضها السّلطات الغاشمة على الأئمة عليهم السلام واتباعهم من اضطهادٍ أو سجنٍ أو نفي، من أجل إيقاف أنشطتهم، وأنشطة أتباعهم، ولئلاّ يتّسع نشاط مدرسة أهل البيت عليهم السلام. وقد عاصر الإمام العسكريّ عليه السلام خلال عمره القصير الخليفة المعتزّ ابن المتوكّل العبّاسيّ (٢٥٥هـ) وبعده الخليفة المهديّ (٢٥٦هـ)، ثمّ توفّي الإمام العسكريّ في أوائل عهد المعتمد (٢٧٩هـ). ويبدو من الروايات الشّريفة حجم الاضطهاد والحقد ومحاولات القتل التي تعرّض لها، حيث إنّه حُبس أكثر من مرّة خلال السّنوات الست التي قضاها بعد أبيه من قبل الخلفاء الثلاثة الذين عاصروهم. كما تُشير إلى ذلك رواية لابن شهر آشوب، وقد جاء فيها أنّ المعتزّ العبّاسيّ أمر سعيد الحاجب

[١]- المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، م.س، ج٨، ص ٣٧٢.

بقتل أبي محمد الحسن العسكري بعيداً عن أعين الناس، فقال له: «أخرج أبا محمد إلى الكوفة ثم اضرب عنقه... فجاء توقيع الإمام إلينا إن الذي سمعتموه تكفونه إن شاء الله»<sup>[١]</sup>، فخلع المعتز بعد ثلاثة أيام وقتل.

وقد اتسم عصر الإمام العسكري عليه السلام بضعف القدرة المركزية للدولة الإسلامية، وفقدانها لهيبتها التي كانت قد ورثتها لأسباب عديدة منها: النفوذ الواسع للموالي ولا سيما للأتراك الذين غلبوا الخلفاء وسلبوهم زمام إدارة الدولة، وانشغال الحكام بملاذهم وانغماسهم في الشهوات والطرب والمجون. وقد نتج عن ذلك تعدد الإدارات السياسية وضعف الخلفاء، وقصر أعمال حكوماتهم، وسرعة تبدلهم، وعدم استقرار مركز الخلافة. الأمر الذي أدى إلى بروز حالات الشغب من قبل الخوارج باستمرار منذ سنة (٢٥٢ هـ) إلى سنة (٢٦٣ هـ)، وظهور الثورات فضلاً عن الثوار العلويين وفقدان الأمن.<sup>[٢]</sup>

أضف إلى أن سياسة العباسيين كانت واضحة منذ أيام الإمام الرضا عليه السلام تجاه الأئمة عليهم السلام، والتي تلخصت بالحرص على دمج إمام أهل البيت وصهره في الجهاز الحاكم، وضمان مراقبتهم الدائمة له، ومن ثم عزله عن قواعده ومواليه. هذه السياسة الخادعة كانت نافذة تجاه الإمام العسكري، فكان كوالده مجبراً على الإقامة في سامراء، مكرهاً على الذهاب والحضور إلى الخليفة كل يوم اثنين وخميس<sup>[٣]</sup>.

وقد بلغت موجة الإرهاب والضغط أوجها على يد الخليفة المعتمد، حيث تمثلت في خطّ عامّ وهو الخوف من الإمام ونشاطاته وتحركاته، وكان هذا الخطّ العامّ يقف ضدّ الإمام العسكري وأطروحة الفكرية والسياسية المتعارضة مع أطروحة الحاكم.

لقد كان أغلب وزراء بني العباس من الظالمين الطغاة الذين احتقروا الرعية وبالغوا

[١]- الطبرسي، حياة الإمام العسكري دراسة تحليلية تاريخية علمية لحياة الامام الحسن العسكري، م.س، ص ١٠٦.

[٢]- يراجع: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام: أعلام الهداية الإمام الحسن بن علي، ج ١٣، ص ١٠٧.

[٣]- المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية الإمام الحسن بن علي، م.س، ج ١٣، ص ٢٣٧.

في إذلالهم واضطهادهم، ولا سيما العلويين منهم، حيث قام العباسيون بملاحقتهم والتنكيل بهم، وفرضوا عليهم إجراءات قاسية تمثلت بالحصار الاقتصادي الذي أصابهم بضائقة ماليّة شديدة. كما امتنع المسلمون من الاتصال بهم والسلام عليهم؛ خشية إلقاء القبض عليهم وزجّهم في السجون. وقد أشارت المصادر التاريخية إلى أسماء بعض المسجونين من العلويين الذين قضوا نحبتهم في السجن زمن الإمام العسكري عليه السلام، منهم: عيسى بن إسماعيل الذي سُجن في حبس الكوفة ومات هناك، وهو من أحفاد عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وعليّ بن موسى، والعقيقيّ، ومحمد بن الحسين بن منّة، وغيره من أحفاد الإمام الحسن الزكي<sup>[١]</sup>. وأمام هذه الظروف والأوضاع القاسية من المعاناة قامت ثورات عدّة ضدّ بني العباس.

## ٢. الثورات في عصره وموقف الإمام منها:

اندلعت في عصر الإمام العسكريّ ثورات عدّة في وجه الحكّام العباسيين للمطالبة برفع الظلم عن الناس، وتحقيق العدالة الاجتماعيّة، ومنها؛ ثورة الشهيد يحيى بن عمر الطالبيّ الذي رفع راية الثورة على الحكم العباسيّ مطالباً بتوزيع فيء المسلمين على الفقراء والضعفاء، وقد أجهزت عليه الحكومة العباسيّة فقتلته ونصب في سامراء ليكون عبرة لمن يفكر بالثورة<sup>[٢]</sup>. وثورة الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، والذي بدأت ثورته عام ٢٥٠هـ، بطبرستان، فغلب عليها وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد استمرّ لعدّة سنوات، وبقيت في يده إلى أن مات في سنة ٢٧٠هـ وخلفه أخوه محمد بن زيد فيها، وكان هذان الأخوان يدعوان إلى الرضا من آل محمد.

ومنها: ثورة عليّ بن زيد العلويّ بالكوفة في عام ٢٥٦هـ، فاستولى عليها، وأزال

[١]- تراجع: الطبرسي، حياة الإمام العسكريّ دراسة تحليليّة تاريخيّة علميّة لحياة الامام الحسن العسكريّ، م.س، ص ١٠٦.

[٢]- تراجع: الحسنّي، هاشم معروف، سيرة الأئمّة الاثني عشر، م.س، ج ٢، ص ٤٨٩.

عنها نائب الخليفة واستقرّ فيها، فناجزته السلطة القتال عدّة مرّات، حتى قُتل بعكبرا سنة ٢٥٧ هـ. وغيرها من الثورات التي اندعلت في الشام ضدّ العبّاسيين وسلطتهم. ومن بين الثورات التي أرقّت مضاجعهم، ثورة عرفت بثورة الزنج (٥٢٥٥) تزعمها رجل فاسد يدعى عليّ بن عبد الرحيم من بني عبد القيس، وقد ادعى أنّه علويّ ينتهي نسبه إلى الشهيد زيد بن عليّ بن الحسين؛ لتلتفّ حوله الجماهير وتؤيّد ثورته. فجرت بينه وبين الدولة العبّاسيّة اشتباكات عظيمة وحروب دامية إلى أن قضى عليه الموفق في سنة سبعين ومئتين<sup>[١]</sup>. وقد نفى الإمام العسكريّ عليه السلام دعوى هذا الرجل في انتسابه لأهل البيت عليهم السلام في بيان قصير، جاء فيه: «صاحب الزنج ليس منا»<sup>[٢]</sup>.

وكان عليه السلام يقف من بعض هذه الأحداث موقف السّاكت دون تصريح إيجابيّ أو سلبيّ تجاهها، كما فعل مع صاحب ثورة الزنج، فعلى الرّغم من أنّ موقف الإمام إزاء سلوكيّات الثورة كان موقف الرفض لما ارتكب من أعمال تتنافى وأحكام الإسلام، ولكنّه أثر السّكوت والصّمت، والاكتفاء بهذا البيان وعدم التّعرض لتفاصيلها، حتّى لا يُعتبر عمله تأييداً للدولة؛ لأنّ الثورة بالرّغم من سلبيّاتها إلّا أنّها تتفق مع أهداف الإمام في إضعاف حكم العبّاسيين وكسر شوكتهم. كما أنّ الإمام عليه السلام كان يعمل بطريقة الخاطّفة في دعم الثورات الداعية إلى المبادئ الصحيحة<sup>[٣]</sup>، فقد عمل على إخفاء ذلك بلباقة تامّة وحذر عظيم، لكي لا يكون الإمام بموجب ذلك لقمّة سهلة بيد الحكومة الجائرة آنذاك، وخوفاً من أن تؤثر إرشادات الإمام وتوجيهاته الخاطّفة والعامّة في نفوس الثائرين، ممّا يؤدّي بهم إلى إعلان العصيان المسلّح ضدّ الدولة.

لقد كان الإمام عليه السلام يمثّل الجبهة المعارضة ضدّ الحاكم العبّاسيّ، لذلك حرّم على نفسه الاتّصال أو التّعاون بجميع صورته مع الحكّام العبّاسيين الذين جهدوا على إمالة

[١]- يراجع: ابن كثير، اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٣

[٢]- الطبسي، حياة الإمام العسكريّ دراسة تحليليّة تاريخيّة علميّة لحياة الامام الحسن العسكريّ، م.س، ص ٢١٥.

[٣]- يراجع: أديب، عادل، الأئمة الاثنا عشر، دراسة تحليليّة، ص ٢٣٨.

الإمام إلى معسكرهم من أجل الحفاظ على أصول الشريعة والقيم الرسالية أولاً، ورعاية الشيعة بوصفهم الكتلة المؤمنة ثانياً، انطلاقاً من الدور المشترك الذي كان الأئمة يمارسونه تجاهها من ناحية حماية وجودها وتنمية وعيها، والإشراف عليها إلى درجة تنظيم أساليب الحلّ للخلافات الشخصية بين أفراد الكتلة ورصد الأموال لها. ومدّها بكلّ أساليب الصمود، والارتفاع بها إلى مستوى الطليعة المؤمنة<sup>[١]</sup>، وإعدادها لدعم القيادة الربانية الهادية من أجل تحقيق أهدافها.

### ٣. التشييع في عهد الإمام العسكري عليه السلام

إنّ الأئمة عليهم السلام، بالرغم من محاولات إقصائهم المستمرة عن شيعتهم، كانوا يتبنون مصالح الرسالة والأئمة، ويتحملون باستمرار مسؤوليتهم في الحفاظ على خطّ الرسالة الإسلامية، وكانوا يتخذون التدابير اللازمة، وعليه ظلّ التشيع يزداد ويتسع خلال القرنين الثاني والثالث برعاية الأئمة الأطهار وتعاليمهم رغم القمع والاضطهاد العباسي. وفي عهد الإمامين الهادي والعسكريّ عليهما السلام، كان عدد الشيعة في بعض المناطق من إيران والكوفة وبغداد والمدائن ومصر واليمن والحجاز وحتى سامراء عاصمة العباسيين يقدّر بعشرات الملايين، ولم يكن لهم مرجع فيما أشكل عليهم من أمور دينهم ودنياهم سوى الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام، وقد اتّسعت رقعة التشيع في عهد الإمام العسكريّ وتمركز الشيعة زمن الإمام العسكريّ في مناطق مهمّة أصبحت هي المحور الأهمّ الذي كان يشغل باله واهتمامه؛ لأنّها الأداة الوحيدة الصالحة لتحقيق الأهداف الرسالية الكبرى، منها:

- بغداد: من المراكز المهمّة للشيعة، وكان يسكنها الكثير منهم؛ لذلك عمد الإمام عليه السلام إلى تعيين عثمان بن سعيد العمريّ والدهقان وغيرهم من الوكلاء فيها،

[١]- يراجع: الصدر، محمّد باقر، أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف، ص ١٠٣.

فكانت الرابط بين جميع الوكلاء وبين الإمام العسكري عليه السلام وكذلك بينه وبين شيعته<sup>[١]</sup>.

- سامراء: وقد أشار الشيخ المظفر إلى التشيع فيها قائلاً: «وظهر التشيع جلياً بعد أن أقام الإمامان - الهادي والعسكري - فيها وشاهد الناس ما لهما من العلم وسجايا حميدة ومزايا دلّت على أئمتها فرعان من شجرة النبوة وارثان لذلك العلم الإلهي على الرغم من مناوأة العباسيين لهما»<sup>[٢]</sup>. وقد اجتمع في سامراء عددٌ من كبراء الشيعة في زمن الإمام العسكري تمكّن بواسطته من إيصال رسالة الإمامة إلى معظم مناطق العالم الإسلامي. وقد أشار الإمام الخامنئي إلى أهميّة هذا الأمر بقوله: «يوجد حديث معروف حول وفاة الإمام الهادي يُعلم من عبارته تواجد جمع ملحوظ من الشيعة في سامراء، بحيث إنّ الجهاز الحاكم لم يكن يعرف عنهم شيئاً، لأنّه لو كان يعلم بهم لفضى عليهم عن بكره أبيهم، ولكن هذه الجماعة ولأئمتها استطاعت أن توجد شبكة قويّة، فإنّ الجهاز الحاكم لم يتمكّن من الوصول إليهم»<sup>[٣]</sup>.

- نيسابور: من المناطق الشيعيّة التي أظهرت الحبّ والولاء لأهل البيت عليهم السلام، وقد عيّن الإمام العسكري عليهم إبراهيم بن عبده النيسابوريّ وكيلاً عنه ليقبض من مواليه الحقوق الشرعيّة.

- قم: من المناطق المهمّة التي كانت تُعدّ من المراكز الرئيسيّة، بل من أكبر مراكز الشيعة في عصره عليه السلام. قال العلامة المظفر حولها: «وأصبحت قم في عهده - الإمام العسكري - وعهد أبيه من قبل عاصمة كبرى من عواصم العلم الشيعيّة، وفيها من روايتها ما لا عدد له، ومن المؤلّفين في الحديث وفنون العلم جمّ غفير»<sup>[٤]</sup>. وقد قدّمت هذه المدرسة العلميّة في عصره أكبر خدمة للشيعة، حيث نشرت علوم أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم حتّى قيل فيهم

[١]- يراجع: الطبسي، حياة الإمام العسكريّ دراسة تحليليّة تاريخيّة علميّة لحياة الامام الحسن العسكريّ، م.س، ص ١٦٨.

[٢]- م.ن، ص ١٦٨.

[٣]- الخامنئي، عليّ الحسيني، إنسان بعمر ٢٥٠ سنة، ص ٣٥٨.

[٤]- يراجع: الطبسي، حياة الإمام العسكريّ دراسة تحليليّة تاريخيّة علميّة لحياة الامام الحسن العسكريّ، م.س، ص ١٦٩.

لولا القمّيون لضاع الدين، وتخرّج منها آلاف العلماء في شتى العلوم والفنون.

لقد استطاع الإمام العسكري عليه السلام، كأبائه الأئمة عليهم السلام من خلال دعمهم لمراكز التشييع وللعلماء أن يقضوا على محاولات الإبادة لنهج أهل البيت عليهم السلام والتّمهيد لعصر الغيبة الذي أخبر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام عن حتميته وضرورته.

#### ٤. الخطوط العامة لسياسة الإمام العسكري في الحفاظ على شيعته:

اعتمد الإمام العسكري عليه السلام نهج آباءه في المحافظة على شيعته وأتباعه الذين يمثلون الجماعة الصالحة في المجتمع الإسلامي، ومن نماذج عنايته وإرشاداته المباشرة لشيعته:

أ- التّكتم وعدم المجاهرة بالانتماء لمدرسة أهل البيت عليهم السلام: قال عليه السلام لشيعته في سنة ستين ومئتين: أمرناكم بالتختّم في اليمين ونحن بين ظهرانيكم. والآن نأمركم بالتختّم في الشّمال لغيبتنا عنكم إلى أن يظهر الله أمرنا وأمركم، فإنّه من أدلّ دليل عليكم في ولايتنا<sup>[١]</sup>.

ب- اعتماد أسلوب العمل السّري: كان عليه السلام يُعيّن بيتاً من بيوت الشيعة في سامراء أحياناً ويأمر الشيعة بالاجتماع هناك بعد صلاة المغرب والعشاء؛ ليلتقي بهم ويحجب عن مسائلهم السّريّة. بالإضافة إلى إحكامه لجهاز الوكلاء ليكون قادراً على أداء دوره القيادي بشكل تام، فكان بعض وكلائه يتنكّرون بزّي البيّاعين ويتظاهرون بذلك؛ لكي يستطيعوا إرسال رسائل شيعته إليه عليه السلام. جاء في الغيبة للشيخ الطوسي أنّ عثمان بن سعيد العمري كان من وكلاء الإمام أبي محمّد العسكري، ويلقب بالسّمان؛ لأنّه كان يتّجر بالسمن تغطية لأمره، فإذا أراد الشيعة أن يرسلوا لأبي محمّد العسكري عليه السلام ما يجب عليهم من الأموال، أنفذوا إلى أبي عمرو عثمان بن سعيد ودفعوه إليه، فيجعله في جراب السّمن وزفاهه ويحمّله إلى الإمام عليه السلام تقيّةً وخوفاً من الحكّام وأجهزتهم<sup>[٢]</sup>.

[١]- الحرّاني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، ص ٤٨٨.

[٢]- ارجع: الحسيني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، م.س، ج ٢، ص ٤٩٤.

وتكشف بعض الروايات وبكل وضوح عن وجود مكاتبات سرية بين الإمام وأصحابه، وقد استخدم الإمام طريقة خاصة في إخفائها بحيث خفيت حتى على المرسل بها. روى أبو هاشم الجعفري عن داود بن الأسود، وقاد حمام أبي محمد عليه السلام قال: دعاني سيدي أبو محمد فدفع إليّ خشبة كأثرها رجل باب مدورة، طويلة ملء الكف، فقال: صرت بهذه الخشبة إلى العمري، فمضيت، فلما صرت إلى بعض الطريق عرض لي سقاء معه بغل، فزاحني البغل على الطريق، فناداني السقاء صح على البغل! فرفعت الخشبة التي كانت معي فضربت البغل، فانشقت، فنظرت إلى كسرهما فإذا فيها كتب، فبادرت سريعاً فرددت الخشبة إلى كمي، فجعل السقاء يناديني ويشتمني ويشتم صاحبي، فلما دنوت من الدار راجعاً استقبلني عيسى الخادم عند الباب فقال: يقول لك مولاي أعزه الله لم ضربت البغل وكسرت رجل الباب؟ فقلت له: يا سيدي، لم أعلم ما في رجل الباب فقال: ولم احتجت أن تعمل عملاً تحتاج أن تعتذر منه، إياك بعدها أن تعود إلى مثلها! وإذا سمعت لنا شاماً فامض لسبيلك التي أمرت بها، وإياك أن تجاوب من يشتمنا أو تعرفه من أنت، فإننا ببلد سوء، ومصر سوء، وامض في طريقك فإن أخبارك وأحوالك ترد إلينا فاعلم ذلك»<sup>[١]</sup>. فلقد أوصاه الإمام بالحذر والسكوت وعدم إجابة الشام؛ لأن البلد بلد سوء والمصر مصر سوء، والتكلم والإجابة خلاف السرية التي ينتهجها الإمام.

### ت - اعتماد نظام الوكلاء والدعم المالي لشيعة:

أسس الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) نظام الوكلاء حين اتسعت الرقعة الجغرافية لقاعدة مواليهم، وقد اختار الأئمة من بين أصحابهم وثقاتهم من أؤكلوا لهم جملة من المهام، كقبض الأموال التي ترسل إليهم، وتلقي الأسئلة والاستفتاءات، وتوزيع الأموال على مستحقيها بأمر الإمام، بالإضافة إلى مهمة الإرشاد وبيان الأحكام. وكان الوكيل من خلال ذلك يخفف العبء على الإمام وشيعته في ظل

[١]- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، م، ج ٣، ص ٥٢٨.

الرقابة الشديدة عليهم من قبل السلطة، كما كان يتولّى بيان مواقف الإمام السياسيّة حين لا يكون هناك مصلحة من أن يتلوها الإمام بنفسه<sup>[١]</sup>. وقد تطوّر نظام الوكالة حتى بلغ درجة متقدّمة من التكامل في زمن الإمام الحسن العسكري عليه السلام. وقد عيّن الإمام عليه السلام وكلاء له في أكثر المناطق الشيعيّة، لأخذ الحقوق الشرعية من النّاس، وصرّفها على المستحقين والضعفاء، فأصبحوا مأوى للشّيعيّة في تلك المناطق، بل وعمل الإمام عليه السلام انطلاقاً من حرصه على أموال النّاس من الصّياح والتلف إلى مراقبتهم والاهتمام بشؤونهم، ومن هؤلاء الوكلاء إبراهيم بن عبده النيسابوري، وأيوب بن نوح بن دراج النّخعي، وأحمد بن إسحاق الرازي، وعثمان بن سعيد العمري، وحفص بن عمرو العمريّ الجمال وغيرهم<sup>[٢]</sup>. لقد كان عصر الإمام العسكريّ يستدعي الاعتماد الكبير على الوكلاء، ويستدعي إحكام نظامهم، وكثرة مهامهم، واتساع دائرة نشاطهم وتواجدهم كي يعتاد الشيعة على دورهم تمهيداً للانتقال الجوهريّ من عصر الحضور إلى عصر الغيبة، حيث لن يتمكن الشيعة من رؤية القيادة المعصومة في عصر الغيبة، فأصبح نظام الوكلاء هو المعتمد في عصر الغيبة الصغرى ثمّ الكبرى، وأصبح نظام الوكلاء نظام معتمد إلى هذا العصر من قبل المرجعيّات الدينيّة، يؤمّن الاتصال بين أتباع أهل البيت عليهم السلام في كلّ مكان ومرجعياتهم الدينيّة.

ث- الحذر من بطش السّلطة وتنكيلها: روى المجلسيّ توقيع الإمام عليه السلام لبعض شيعته: «ألا لا يُسلمنّ عليّ أحد لا يُشير إليّ بيده ولا يومئ فإنكم لا تؤمنون على أنفسكم»<sup>[٣]</sup>.

### ثالثاً: الحياة العلميّة للإمام الحسن العسكريّ عليه السلام

أجمع الباحثون والمحقّقون على أنّ الإمام العسكريّ كان في عصره من أثرى

[١]- يراجع: المجمع العالميّ لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية الامام الحسن بن علي، م.س، ج ١٣، ص ١٦٩.

[٢]- الطبسي، حياة الامام العسكريّ دراسة تحليليّة تاريخيّة علميّة لحياة الامام الحسن العسكريّ، م.س، ص ٢٤٨.

[٣]- المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، م.س، ج ٥٠، ص ٢٦٩.

الشخصيات العلميّة، وكانت منزلته العلميّة معروفةً ومشهورةً لدى الخاصّة والعامّة، كما كانت معلومة لدى خلفاء عصره ولمن يعمل في بلاطهم من وزراء وأطباء، ومنهم بختيشوع طيب الأسرة الحاكمة والمُع شخصيّة طبّيّة في عصر الإمام العسكريّ. حيث احتاج الإمام ذات يوم إلى طبيب، فطلب من بختيشوع أن يرسل إليه بعض تلامذته، فاستدعى بختيشوع أحد تلاميذه وأوصاه أن يعالج الإمام وحدثه عن سموّ منزلته ومكانته العالية، ثمّ قال له: «طلب منّي ابن الرضا من يفصده فصر إليه وهو أعلم في يومنا هذا بمن تحت السماء فاحذر أن تعترض عليه في ما يأمرك به»<sup>[١]</sup>.

والمأثور عن الإمام العسكريّ، هو مجموعة من النصوص يمكن تصنيفها تحت عناوين متعدّدة:

### ١. التفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام:

اعتنى العلماء بهذا التفسير عناية كبيرة، ونقلوا بعض فصوله في مؤلفاتهم. وعلى الرغم من اختلاف الفقهاء في مدى صحّة نسبة التفسير إلى الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، اعتمد عليه كبار العلماء، كالشيخ الصدوق، والطبرسي، والشهيد الثاني، والمجلسيّ الأوّل، والحرّ العامليّ، والفيض الكاشاني<sup>[٢]</sup>. وقد ذكره العلامة المجلسيّ في بحاره بقوله: «كتاب تفسير الإمام العسكريّ من الكتب المعروفة، واعتمد الصدوق عليه وأخذ منه، وإن طعن فيه بعض المحدثين، ولكن الصدوق أعرف وأقرب عهداً ممن طعن فيه»<sup>[٣]</sup>. وواجه هذا التفسير مؤاخذات عدّة، وهي أنّه مُني بضعف السند، فقد جاء في طريقه محمّد بن القاسم المفسّر الاسترباديّ، وهو ضعيف. قال ابن الغضائريّ: «محمّد بن القاسم المفسّر الاستربادي روى عنه أبو جعفر بن بابويه

[١]- يراجع: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية، م.س، ج ١٣، ص ٩٠.

[٢]- يراجع: الطبسيّ، حياة الإمام العسكريّ دراسة تحليليّة تاريخيّة علميّة لحياة الامام الحسن العسكريّ، م.س، ص ١٤٩.

[٣]- المجلسيّ، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، م.س، ج ١، ص ٢٨.

ضعيف كذاب»<sup>[١]</sup>. وقد أضاف بعض الباحثين بأن هذا التفسير قد مُني بكثير من التفكك، والفجوات، وأشار إلى ذلك السيد الخوئي بالقول: إن الناظر في هذا التفسير لا يشك في أنه موضوع، وجلّ مقام عالمٍ محقق أن يكتب مثل هذا التفسير، فكيف بالإمام<sup>[٢]</sup>. وقد كثر الأخذ والردّ في هذه المؤاخذات، ما بين قابل ورافض، إلاّ أنّه لا يمكننا الوقوف عندها.

ومّا جاء من نماذج لهذا التفسير، أنّه سأل محمّد بن صالح الأرمنيّ أبا محمّد عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِئُ ۗ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٣٩)، فقال الإمام عليه السلام: هل يمحو الله إلاّ ما كان وهل يثبت إلاّ ما لم يكن.. تعالى الجبار العالم بالأشياء قبل كونها، الخالق إذ لا مخلوق، والربّ إذ لا مربوب<sup>[٣]</sup>.

وسأله أيضاً عن قول الله عزّ وجلّ: «اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ» قال عليه السلام: «له الأمر من قبل أن يأمر به، وله الأمر من بعد أن يأمر بما يشاء، فقلت في نفسي هذا قول الله: ألاّ له الخلق والأمر تبارك الله»<sup>[٤]</sup>.

## ٢. كتاب المنقبة والمآثور الفقهيّ:

كان الإمام العسكريّ المرجع الأعلى للفقهاء في أخذ أحكام الشريعة ومعالم الدين، وقد خرج عنه كتاب فقهيّ عُرف برسالة المنقبة، يشتمل على أحكام فقهيّة، ذكره المجلسي، فقال: «وخرج من عند أبي محمّد في سنة خمس وخمسين ومائتين كتاب ترجمته رسالة المنقبة يشتمل على أكثر علم الحلال والحرام»<sup>[٥]</sup>. وذكر ابن شهر آشوب أنّه: «خرج من عند أبي محمّد عليه السلام في سنة خمس وخمسين ومائتين كتاب ترجمه في جهة رسالة

[١]- الطيبي، حياة الإمام الحسن العسكريّ، م.س، ص ١١٠.

[٢]- م.ن، ص ١١١.

[٣]- الأربلي، كشف الغمّة، م.س، ج ٣، ص ٢١٥.

[٤]- م.ن.

[٥]- المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، م.س، ج ٥٠، ص ٤١٠.

المتقبة، يشتمل على أكثر علم الحلال والحرام»<sup>[١]</sup>.

وكان الإمام عليه السلام يؤيد بعض الكتب الفقهيّة والأصوليّة المصنّفة، التي جمعت في عصره أو قبل ذلك، ويدعو الناس للعمل والاستهداء بها، كتأييده كتاب الفضل بن شاذان وكتاب يونس بن عبد الرحمن وغيره. وقد عرض عليه كتاب لأحمد بن عبد الله بن خانبه، فقرأه وقال لأصحابه: إنّه صحيح فاعملوا به. وروى الفقهاء عنه في أبواب فقهيّة شتى في أبواب: الطّهارة، الصّلاة، الصّوم، الخمس، الزّكاة، النّكاح والطلاق، القضاء، الشّهادات. وروى عنه كلّ من أبو خلف العجليّ، وأبو محمّد الإسكافيّ، علي بلال، وأبو البختريّ.

### ٣. المكاتبات والرسائل:

كانت مراسلات الإمام أبي محمّد العسكريّ أسلوباً من أساليب رعايته لشيعته، وقد مهّد بها الإمام عليه السلام لفترة الغيبة، ويكشف بعضها عن طبيعة الظروف التي كان يعيشها الإمام وشيعته فيما يرتبط بالوضع السياسيّ والعقائديّ والفكريّ، والتي عُرفت في ذلك العصر بالاضطراب وعدم الالتزام بالدين، وقد اتّصفت مكاتباته مع الشّيعّة بالحدّز الشّديد؛ من أجل المحافظة على الشريعة الإسلاميّة وتراث أهل البيت عليهم السلام من الهلاك في الصّراع القائم مع الحكّام الظالمين.

تمتعت رسائله عليه السلام بأهميّة بالغّة في المدوّنات الحديثيّة؛ لما تضمّنته من قيم أخلاقيّة ومواعظ ثمينّة، ومن تبيين لعلل بعض الأحكام والتشريعات<sup>[٢]</sup>. وقد صدرت منه كتب في أجوبة المسائل لأصحابه، كالحسن بن ظريف، وسهل بن زياد، وأهل قم، وإسحاق بن إسماعيل. وقد جمع مكاتيب الإمام العسكريّ عليه السلام علم الهدى محمّد بن الحسن الفيض الكاشانيّ (ت/ ١١١٥ هـ) في معادن الحكمة<sup>[٣]</sup>. ومن رسائله عليه السلام:

[١]- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، م.س، ج٤، ص٤٥٧.

[٢]- يراجع: المجمع العالميّ لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية، م.س، ج١٣، ص٢٠٠.

[٣]- يراجع: المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، م.س، ج١٧، ص٢٠٨.

أ- رسالته إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري: نعى فيها الإمام العسكري عليه السلام المنحرفين عن الحق، حيث جاء فيها: «سترنا الله وإيتاك بستره، وتولاك في جميع أمورك بصنعه،... ونحن بحمد الله ونعمته أهل بيت نرقُّ على موالينا، ونسرُّ بتتابع إحسان الله إليهم، وفضله لديهم، ونعتدُّ بكلِّ نعمة ينعمها الله تبارك وتعالى عليهم، فأتَمَّ الله عليك بالحقِّ، ومن كان مثلك ممن قد رحمه وبصره بصيرتك، وقدّر تمام نعمته دخول الجنة. وليس من نعمة وإن جَلَّ أمرها وعظم خطرها إلا والحمد لله تقدّست أسماؤه عليها مؤدِّ شكرها»<sup>[١]</sup>.

ب- رسالته إلى أهالي قم وأبه: رسالة تحكي عن مدى تعاطفه عليه السلام مع المؤمنين الأخيار الذين تحرّجوا في دينهم، جاء فيها: «إنَّ الله تعالى بجوده وكرمه ورأفته قد منَّ على عباده بنبيِّه محمدٍ بشيراً ونذيراً ووفّقكم لقبول دينه وأكرمكم بهدأيته، وغرس في قلوب أسلافكم الماضين رحمة الله عليهم وأصلابكم الباقين تولى كفايتهم، وعمّهم طويلاً في طاعة حبِّ العترة الهادية، فمضى من مضى على وتيرة الصواب ومنهاج الصّدق وسبيل الرشاد»<sup>[٢]</sup>.

ت- رسالته إلى الفقيه ابن بابويه القميّ: أرسل الإمام عليه السلام إلى الفقيه والمحدّث الجليل أبي الحسن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ رسالة أوصاه فيها بالتّحلي بمكارم الأخلاق وسمو الصّفات من كظم الغيظ، وصلّة الأرحام، ومواساة الأخوان، والتّفقه في الدين، وانتظار الفرج حتّى ظهور صاحب العصر والزمان عليه السلام، جاء فيها: «أوصيك -يا شيخي ومعتدي وفقيهي أبا الحسن علي بن الحسين القميّ، وفقك الله لمرضاته وجعل من صلبك أولاداً صالحين برحمته- بتقوى الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإنّه لا تقبل الصّلاة من مانعي الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب وكظم الغيظ وصلّة الرحم.... أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج، ولا يزال شيعتنا في حزن حتّى يظهر

[١]- الطبسي، حياة الإمام العسكري دراسة وتحليل، م.س، ص ٧٨.

[٢]- م.ن، ص ٧٨.

ولدي الذي بشر به النبي، إنه يملا الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»<sup>[١]</sup>. وقد تضمّنت فقرات عدّة أشاد فيها الإمام عليه السلام بمكانة الفقيه الجليل من خلال ما أضافه من النعوت الكريمة التي تدلّ على عظيم شأنه، ودعوته له بالذريّة الصالحة، فرزقه الشيخ الصدوق.

ث - رسالته إلى بعض شيعته: كتب إليه بعض شيعته يُعرّفه باختلاف الشيعة في أمر إمامته، فأجابه الإمام عليه السلام برسالة جاء فيها: «والناس فيّ على طبقات: المستبصر على سبيل نجاة، متمسك بالحقّ، متعلّق بفرع الأصل غير شاكّ، ولا مرتاب، ولا يجد عنيّ ملجأ وطبقة لتأخذ الحقّ من أهله فهم كراكب البحر يموج عند موجه ويسكن عند سكونه، وطبقة استحوذ عليهم الشيطان شأنهم الردّ على أهل الحقّ ودفع الحقّ بالباطل حسداً من عند أنفسهم»<sup>[٢]</sup>.

ج - رسالته إلى عبدالله بن حمدويه البيهقي: أقام الإمام العسكري عليه السلام وكلاء من العلماء في المناطق التي تدين بإمامته، وعهد إليهم بقبض الحقوق الشرعية وحملها إليه أو إنفاقها في سبيل البرّ، فعين إبراهيم بن عبده وكيلاً عنه في قبض الحقوق الشرعية، وأرسل إلى البيهقي في ذلك: «وبعد فقد بعثت لكم إبراهيم بن عبده، ليدفع النواحي - وأهل ناحيتك - حقوقي الواجبة عليكم إليه، وجعلته ثقتي وأميني عند مواليّ هناك، فليتقوا الله، وليراقبوا، وليؤدّوا الحقوق، فليس لهم عذر في ترك ذلك..»<sup>[٣]</sup>. وقد سئل عليه السلام عن تلك الرسالة هل هي بخطّه؟ فأجاب عليه السلام: «وكتابي الذي ورد على إبراهيم بن عبده بتوكيليّ إياه بقبض حقوقي من مواليّنا هناك، نعم، هو كتابي بخطّي إليهم أقمته لهم ببلدهم حقاً غير باطل، فليتق الله حقّ تقاته وليخرجوا من حقوقي وليدفعوا إليه، فقد جوّزت له ما يعمل به فيها، وفقه الله ومنّ عليه بالسّلامة من التقصير»<sup>[٤]</sup>.

[١]- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، م، س، ج ٣، ص ٥٢٧.

[٢]- المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، م، س، ج ٧٨، ص ٣٧٠.

[٣]- الطبسي، حياة الإمام العسكري دراسة وتحليل، م، س، ص ٨٤.

[٤]- م، ن، ص ٨٥.

كانت رسائل الإمام أبي محمد العسكري تحمل في طياتها دعوة للإسلام، وإرشاداً للناس، وحثاً على العمل بتعاليمه والاهتداء بهديه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث كان عدد منها موجَّهاً إلى شيعته في مختلف البلدان والأقطار وإلى غيرهم من وجوه القبائل وزعماء الأمصار، وحتَّى لمن خالفوه في المذهب والعقيدة، فلم يبخل بمواصلتهم وحثهم على المنهج القويم للدين الحنيف.

#### ٤. وصاياه وحكمه:

كانت وصاياه لشيعته وأصحابه عليهم السلام مملوءة بالمواعظ، حافلة بالنصائح. وقد جمعت حكمه القصار الأصول العقديَّة والتعاليم الأخلاقيَّة والنصائح التوجيهية لهم. ومما أوصى شيعته به: «أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برِّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله. صلُّوا في عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإنَّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا شيعيٌّ فيسرني ذلك. اتَّقوا الله، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جرّوا إلينا كلَّ مودَّة، وادفعوا عنَّا كلَّ قبيح، فإنَّه ما قيل من حسن فنحن أهله، وما قيل من سوء فما نحن كذلك، لنا حقٌّ في كتاب الله، وقربة من رسول الله، وتطهير من الله لا يدعيه أحد غيرنا إلاَّ كذاب، أكثروا ذكر الله، وذكر الموت، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، فإنَّ الصلاة على رسول الله عشر حسنات، احفظوا ما وصيتمكم به، واستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام»<sup>[١١]</sup>.

ومما ورد من حكم الإمام العسكري عليه السلام، قوله: «إنَّ في الجنة باباً يُقال له باب المعروف لا يدخله إلاَّ أهل المعروف»<sup>[١٢]</sup>. وقال عليه السلام: «ليست العبادة كثرة الصيام

[١]- المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، م، س، ج، ١٧، ص ٢١٦.

[٢]- ابن صباغ، علي بن محمد، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، م، س، ص ٢٠٧.

والصلاة وإنما العبادة كثرة التفكير في أمر الله»<sup>[١]</sup>. ورُوي عنه عليه السلام قوله: «لا تمار فيذهب بهاؤك»، وقال عليه السلام: «من رضي بدون الشرف من المجلس لم يزل الله وملائكته يصلون عليه حتى يقوم»<sup>[٢]</sup>. وقال عليه السلام: «حصلتان ليس فوقهما شيء: الإيمان بالله، ونفع الإخوان».

### رابعاً: الأدوار العقديّة للإمام العسكري عليه السلام

كان الأئمة عليهم السلام يُحافظون على المقياس العقائدي والرسالي في المجتمع الإسلامي، ويحرصون على ألا يهبط إلى درجة تُشكّل خطراً على الرسالة. وقد تصدّى الإمام أبو محمد عليه السلام للذبّ عن الإسلام والدفاع عن حريمه، ولم يتوان، شأنه شأن آبائه في الحرص على هداية العباد وإخراجهم من الظلمات إلى النور، من خلال تذكيرهم بأصولهم التوحيدية، وإبطال شبهات المنحرفين وتبيين فساد آرائهم العقديّة، حيث كان لاحتجازه عليه السلام في سامراء أثر كبير في انتشار الفرق والمذاهب الباطلة في عصره، وعلى الرغم من ذلك كلّه لعب الإمام دوراً عقائدياً مهماً، تمثل في:

#### ١. التذكير بالأصول العقديّة وترسيخها:

ما رُوي عنه في التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد يُعدّ من الذخائر المهمّة في مدرسة آل البيت عليهم السلام. فقد روى الصدوق في التوحيد عن محمد بن القاسم قال: حدثنا يوسف بن محمد بن زياد وعليّ بن محمد بن سيّار عن أبيهما عن الحسن بن عليّ بن محمد بن عليّ الرضا عن أبيه عن جده قال: «قام رجل إلى الرضا فقال له: يا بن رسول الله، صف لنا ربك فإنّ من قبلنا قد اختلفوا علينا، فقال الرضا: إنّه من يصف ربّه بالقياس لا يزال الدهر في الالتهاب مائلاً عن المنهاج، ظاعناً في الاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل، أعرفّه بما عرّف به نفسه من غير رؤية، وأصفه بما وصف به نفسه من غير

[١]- المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، م.س، ج.١٧، صص ٢١٦-٢١٨

[٢]- الحزاني، ابن شعبة، تحف العقول، م.س، ص ٤٨٦.

صورة، لا يُدرك بالحواس ولا يُقاس بالناس، معروف بغير تشبيه، ومدان في بعده لا بنظير، لا يمثل بخليقته ولا يجور في قضيتته، الخلق إلى ما علم منقادون...»<sup>[١]</sup>. وروى الشيخ الصدوق بسنده عن سهل بن زياد قال: «كتبت إلى أبي محمد سنة خمس وخمسين ومائتين: قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد: منهم من يقول جسم ومنهم من يقول صورة، فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني من ذلك ما أفق عليه ولا أجوزه: فعلت متطوِّلاً على عبدك، فوقَّع بخطه: سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول، الله واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوءاً أحد خالق ليس بمخلوق يخلق الله تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك ويصوِّر ما يشاء وليس بمصوَّر جلّ ثناؤه وقدّست أساؤه تعالى أن يكون له شبيه ولا غير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»<sup>[٢]</sup>.

وقد وردت مجموعة من النصوص عنه عليه السلام فيما يخص السيرة النبوية، ممّا يشير إلى ضرورة اهتمامه بهذا الجانب في عصره. روى الطبرسي عن أبي محمد الحسن العسكري أنّه قال: «قلت لأبي عليّ بن محمد هل كان رسول الله يناظر اليهود والمشركين إذا عاتبوه ويحاجّهم؟ قال: مراراً كثيرة وذلك أنّ رسول الله كان قاعداً ذات يوم بفناء الكعبة، فابتدأ عبد الله بن أبي أمية المخزومي، فقال: يا محمد لقد ادّعت دعوى عظيمة، وقلت مقالاً هائلاً، زعمت أنّك رسول ربّ العالمين، وما ينبغي لربّ العالمين وخالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله بشراً مثلنا، تأكل كما نأكل وتمشي في الأسواق كما نمشي، فقال رسول الله: اللهم أنت السامع لكلّ صوت، والعالم بكلّ شيء، تعلم ما قاله عبادك، فأنزل الله عليه الآية ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ...﴾ (الفرقان: ٧)<sup>[٣]</sup>.

وقد أشاد الإمام عليه السلام بفضل أهل البيت، الذين هم مصدر الوعي والإيمان، حيث

[١]- الصدوق، محمد بن عليّ بن بابويه، التوحيد، ص ٤٧.

[٢]- م.ن، ص ١٠١.

[٣]- الحويزي، عبد علي، تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٣١٤.

قال: «قد سعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية، ونورنا السبع الطرائق بأعلام الفتوة، فنحن ليوث الوعى، وغيوث الندى، وفينا السيف والقلم في العاجل، ولواء الحمد والعلم في الآجل، وأسباطنا خلفاء الدين، وحلفاء اليقين، ومصايح الأمم، ومفاتيح الكرم، فالكليم ألبس حلّة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء، وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة، وشيعتنا الفئة الناجية، والفرقة الزاكية، صاروا لنا رداءً وصورنا، وعلى الظلمة إلباء. وسينفجر لهم ينياع الحيوان، بعد لظى النيران»<sup>[١]</sup>. ومما جاء من آثاره في مسألة العدل قوله: «قيل للصادق عليه السلام صف لنا الموت، قال عليه السلام: للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كله عنه، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب أو أشد»<sup>[٢]</sup>.

## ٢- التوطئة للإمام المهدي (التمهيد العملي لإمامة الحجة عليه السلام):

كان للإمام عليه السلام دورٌ متميزٌ، وهو دور الإعداد العملي لمرحلة إمامة ابنه الحجة بن الحسن العسكري، وكان دوره متشعب الأطراف والأبعاد. لقد كان على الإمام العسكري عليه السلام أن يوفق بين أمرين مهمين: كتمان الأمر وإخفائه عن السلطة العباسية من جهة، وإبلاغ المواليين وإعلامهم بالولادة المباركة من جهة أخرى. فعن أبي هاشم الجعفري، قال: «كنت محبوسًا مع أبي محمد في حبس المهدي بن الواثق، فقال لي يا أبا هاشم، إن هذا الطاغية أراد أن يعذب بالله في هذه الليلة، وقد بتر الله عمره، وجعله للقائم من بعده، ولم يكن لي ولد وسأرزق ولدًا»<sup>[٣]</sup>. وقد قام عليه السلام بتكليف بعض أصحابه الثقات بتوزيع كمية من الطعام بمناسبة ولادة الإمام عليه السلام، فقد روي عن أبي جعفر العمري أنه قال: «لما ولد السيد عليه السلام قال أبو محمد ابعثوا إلى أبي عمرو - عثمان بن سعيد - فبعث إليه، فصار إليه فقال له: اشتر عشرة آلاف رطل خبز وعشرة آلاف رطل لحم وفرقه»<sup>[٤]</sup>.

[١]- المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٧٥، ص ٣٧٨.

[٢]- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، علل الشرائع، ج ١، ص ٢٩٨.

[٣]- الطوسي، الغيبة، ص ٢٠٩.

[٤]- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٣١.

ولقد أعدَّ الإمام العسكريُّ شيعته ومواليه لمرحلة الغيبة وهياً لهم الأرضية، تارة باحتجابه عنهم؛ حيث استخدم أسلوب الاحتجاج عن النَّاس أكثر مما كان، بل ولم يكن يظهر حتى لشيعته وكان يكلمهم بالسّر. قال المسعودي وروي أنَّ ابن الحسن صاحب العسكر احتجب عن كثير من الشيعة إلا عن عدد يسير من خواصه، فلمَّا أفضى الأمر إلى أبي محمد، كان يكلم شيعته الخواص وغيرهم من وراء السّتر إلا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان، وأنَّ ذلك كان منه ومن أبيه قبله مقدّمة لغيبة صاحب الزمن لتألف الشيعة ذلك، ولا تنكر الغيبة، وتجري العادة بالاحتجاج والاستتار<sup>[١]</sup>.

وتارة أخرى، بإرجاع الشيعة إلى الوكلاء؛ حيث عيّن الإمام أبي محمد عليه السلام نواباً من قبله؛ ليكونوا جسر الوصل بينه وبين شيعته في حلِّ مشكلاتهم الدنيّة والدنيويّة تارة، وليألفوا الرجوع إلى النّواب مباشرة تارة أخرى، بعد غيبة الإمام المهدي عليه السلام.

### ٣- احتجاجاته والرّد على الشبهات:

وقد ذكرت احتجاجاته في أنواع شتى من علوم الدين، ذكرها الشّيخ الطبرسيّ في كتابه الموسوم بالاحتجاج، وجاء فيه: «قال كتبت إلى أبي الحسن عليّ بن محمد العسكريّ أسأله عن الرّؤية وما فيه الخلق، فكتب: «لا تجوز الرّؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئيّ هواء ينفذه البصر، فمتى انقطع الهواء وعدم الضياء لم تصحّ الرّؤية، وفي جواب اتصال الضياءين الرائي والمرئيّ وجوب الاشتباه، والله تعالى منزّه عن الاشتباه، فنثبت أنّه لا يجوز عليه سبحانه الرّؤية بالأبصار؛ لأنّ الأسباب لا بدّ من اتّصالها بالمسببات»<sup>[٢]</sup>. وقد تفشّت فكرة عدم علمه سبحانه بالأشياء قبل أن تُخلق تأثراً ببعض المدارس الفكرية الفلسفيّة اليونانية، فسأله محمد بن صالح عن قوله تعالى: يمحو الله ما يشاء ويثبت، فقال عليه السلام: هل يمحو إلا ما كان، وهل يثبت إلا ما يكون. فقلت في تفسير هذا خلاف

[١]- إراجع: الطبرسي، حياة الإمام العسكري دراسة تحليلية تاريخية علمية لحياة الامام الحسن العسكري، م.س، ص ٢١.

[٢]- الطبرسي، الفضل بن حسن: الاحتجاج، لاط، النجف، دار النعمان، ١٩٦٦م، ج ٢، ص ٢٥١.

ما يقوله هشام الفوطي أنه لا يعلم الشيء حتى يكون. فنظر إليّ شرّاً وقال: تعالَى اللهُ الجبّار العالم بالشيء قبل كونه الخالق إذ لا مخلوق، والرّبّ إذ لا مربوب، والقادر قبل المقدور عليه»<sup>[١]</sup>.

وفي بيانه لمن أشكل عليهم مفهوم الإمامة من جهال الناس، جاء عن أبي يعقوب وأبي الحسن أنّهما قالوا: «حضرنا عند الحسن بن علي أبي القاسم، فقال له بعض أصحابه: جاءني رجل من إخواننا الشيعة قد امتحن بجهال العامة يمتحنونه في الإمامة، ويخلفونه فقال لي: كيف أصنع معهم؟ فقلت له: كيف يقولون؟ قال: يقولون لي: أتقول إنّ فلاناً هو الإمام بعد رسول الله؟ فلا بدّ لي من أن أقول نعم، وإلا أثنوني ضرباً، فإذا قلت: نعم، قالوا لي: قل: والله. فقلت له: قل: نعم، وأريد به نعماً من الإبل والبقر والغنم، فإذا قالوا: قل والله، فقل: والله وأريد به ولي في أمر كذا، فإنهم لا يميزون وقد سلمت، فقال لي: فإنّ حقّقوا عليّ وقالوا: قل: والله وبينّ الهاء؟ فقلت: قل: والله برفع الهاء فإنّه لا يكون يميناً إذا لم يخفّض الهاء، فذهب، ثم رجع إليّ فقال: عرضوا عليّ وحلّفوني وقلت كما لقّنتني، فقال له الحسن عليه السلام: أنت كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: الدالّ على الخير كفاعله، وقد كتب الله لصاحبك بتقيّته بعدد كلّ من استعمل التقيّة من شيعتنا وموالينا ومحبيّنا حسنة، وبعدد من ترك منهم التقيّة حسنة أدناها حسنة لو قوبل بها ذنوب مائة سنة لغفرت، ولك لإرشادك إياه مثل ما له»<sup>[٢]</sup>.

ولم يكتفِ الإمام عليه السلام بأسوب المحاجة في بيان صحّة العقيدة، بل كان يتصدّى لكلّ الشبهات التي كانت تستهدف العقيدة، ومنها شبهة الكنديّ فيلسوف العراق في زمانه، الذي حاول استهداف القرآن سند الرسالة والنبوة الأوّل، من خلال تأليف كتاب حول تناقض القرآن الكريم بعد أن راودته بعض الشبهات حوله، فأشاع في الأوساط العلميّة أنّه ألف كتاباً أسماه تناقض القرآن، وقد شغل نفسه بذلك، وانتهى

[١]- السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، ج ١٠، ص ٣٥٠.

[٢]- الطبرسي، الاحتجاج، م، ج ٢، ص ٥١٧.

الخبر إلى الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام، الذي التقى ببعض تلامذة الكندي، فأدلى الإمام عليه بالحجة القاطعة، قائلاً له: «أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عمّا تشاغل فيه، فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منّا الاعتراض عليه؟ فقال الإمام: أعلمك كلاماً تقوله له وتجعله بصيغة سؤال حتى لا يتصوره اعتراضاً منك فما تقول؟ فقال التلميذ: نعم. قال الإمام: اذهب إليه وقل له عندي مسألة أسألك عنها، ثم قل له: إذا جاءك أحد وقال لك إنّي أفهم من كلمات وآيات القرآن فهماً غير الفهم الذي أنت تستفيده منها أيجوز ذلك؟ فإنّه سيقول لك: نعم يمكن ذلك، وعندئذ سوف يفهم المقصود في أنّ كتابه (تناقض القرآن) غير صالح؛ لأنّ للقرآن عدّة تفاسير ويحتمل عدّة وجوه من المعاني ولا يقتصر على معنى واحد. فذهب هذا التلميذ وفعل ما أشار به الإمام عليه السلام وعندما سمع الكنديّ هذا السؤال تفكّر في نفسه ورأى أنّ ذلك محتمل في اللغة وسائغ، فعرف أنّ المعاني التي دونها قد تنقض بمعانٍ أخرى محتملة، ففهم أنّ مشروعه فاشل إلاّ أنّه قال للتلميذ: أقسمت عليك إلاّ أخبرتني من أين لك هذا؟ فقال: إنّه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك. فقال: كلا، ما مثلك من اهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرفني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمّد. فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلاّ من ذلك البيت. ثمّ إنّه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه<sup>[١]</sup>.

#### ٤ - مواجهة الانحراف:

تصدّى الإمام عليه السلام والأئمة الأطهار من قبله للفرق الضّالة في عصورهم، باعتبارهم حماة الرسالة، حيث نجد في بعض مواقفه إرشاداً لبعض أتباع الفرق الضّالة وتوجيهاً لهم، بينما نجده صارماً مع رموز بعض الفرق وجاداً في التحذير منهم لعزلهم والحيلولة دون تأثيرهم في القاعدة الشعبيّة التي تدين بالولاء لأهل البيت عليهم السلام، ولا سيما بعد أن

[١]- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، م، س، ج، ٤، ص ٥٢٧.

اتخذت الانحرافات العقديّة في عصره أشكالاً عدّة، تملّت في الفرق المنحرفة، الغلو، ادّعاء تصوّف المصطنع، ومن نماذج مواجهة الإمام لهذا الانحراف العقديّ:

أ- إبطال الشعوذة: كشف الإمام العسكريّ عليه السلام النقاب عن شعوذة الراهب النصرانيّ، الذي أراد أن يضلّل المسلمين ويشكّكهم في دينهم. إذ أمر المعتمد العباسيّ المسلمين بالخروج إلى الاستسقاء ثلاثة أيام بعد أن أصابهم قحط شديد، فخرجوا ولم يغاثوا بالمطر، وخرج النصارى ومعهم راهب كلّمًا مدّ يده إلى السماء هطلت، فشكّ بعض الجهلة في دينهم وارتدّ آخرون. وشقّ ذلك على المعتمد، ففزع إلى الإمام العسكريّ وهو في سجنه، فقال له: أدرك أمة جدّك رسول الله قبل أن يهلكوا، فقال له الإمام: يخرجون غدًا وأنا أزيل الشكّ، فأخرجه المعتمد من سجنه وطلب منه أن يطلق سراح أصحابه من السجن فاستجاب له، وأخرجهم وفي اليوم الثاني خرج الناس للاستسقاء ولم يسقوا، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء ومعه النصارى والرهبان فرفع الراهب يده إلى السماء فغميت ومطرت، فأمر الإمام عليه السلام بإلقاء القبض على يده وأخذ ما فيها، وإذ فيها عظم آدمي فأخذه منه.. فعجب الناس من ذلك وبادر المعتمد الإمام قائلاً: ما هذا يا أبا محمد، فقال عليه السلام هذا عظم نبيّ ظفر به هذا الراهب من بعض القبور، وما كشف عظم نبيّ تحت السماء إلّا هطلت المطر.. فزالت الشبهة وانتفى الشكّ<sup>[١]</sup>.

ب- محاربة الوضّاعين: من آفات عصر الإمام العسكريّ عليه السلام انتشار الكذّابين والوضّاعين، ومن أشهرهم عروة بن يحيى الدهقان النخّاس، وفي بعض النسخ البغداديّ، فقد كان يكذب ويقطع الأموال التي ترد للإمام عليه السلام من شيعته لنفسه، حتّى لعنه الإمام وأمر الشيعة بالبراءة منه لئلاّ يُفسد عقيدتهم<sup>[٢]</sup>.

ت- مواجهة الفرق المنحرفة: تصدّى الإمام العسكريّ عليه السلام للفرق الضالّة

[١]- الأربلي، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، م.س، ج٣، ص ٢٢٥.

[٢]- العطارديّ، عزيز الله، مسند الإمام العسكريّ، ص ٣٢٢.

والمنحرفة بكلّ حزم وصلابة، محذّراً المسلمين من اتّباعهم أو الافتتان بأرائهم، ومن هذه الفرق:

- فرقة الواقفة: وهم الذين وقفوا على إمامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، ولم يقولوا بإمامة ولده الإمام الرضا عليه السلام، ولقد ذمهم الإمام العسكري وتبرأ منهم. ومن التوقيعات التي صدرت عن الإمام عليه السلام في البراءة منهم ومن وقف على الإمام موسى بن جعفر ما رواه العلامة المجلسي عن أحمد بن مطهر، قال: كتب بعض أصحابنا إلى أبي محمّد من أهل الجبل يسأله عمّن وقف على أبي الحسن موسى أتولّاهم أم أتبرأ منهم؟ فكتب «تبرأ منهم، أنا إلى الله منهم بريء فلا تتولاهم ولا تعد مرضاهم ولا تشهد جنازتهم ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً»<sup>[١]</sup>.

- فرقة الثنوية: واجه الإمام العسكري الأفكار المنحرفة التي قالت بها فرقة الثنوية، والتي أثبتت مع القديم قديماً غيره، وقالت بإله الخير وإله الشر. وقدر روى الشيخ الكليني عن اسحاق أنّه قال: «أخبرني محمّد بن الربيع الشامي قال: ناظرت رجلاً من الثنوية بالأهواز، ثمّ قدمت سرّ من رأى وقد علق بقلبي شيء ممّا قاله، فإني لجالس على باب أحمد بن الخصيب إذ أقبل أبو محمّد من دار العائمة يوم المركب، فنظر إليّ وأشار بسبباته أحد أحد فرد، فسقطت مغشياً عليّ»<sup>[٢]</sup>.

- الصوفية المتصنّعة: من جملة الفرق الفاسدة التي تبرأ الإمام العسكري منها، وحذّر النّاس من انحرافها عن الشريعة الإسلامية، تلك الطائفة التي استطاعت أن تُغري البسطاء من المسلمين تحت ستار الإسلام منذ ظهورها، وقد أشار إليهم الإمام الهادي قائلاً: «إنّهم خلفاء الشياطين ومخربوا قواعد الدين يتزهدون لراحة الأجسام ويتجهّدون لتقييد الأنام، أو رادهم الرقص والتّصديّة وأذكارهم الترنم والتغنية»<sup>[٣]</sup>.

[١]- يراجع: الطبسي، حياة الإمام العسكري دراسة تحليلية تاريخية علمية لحياة الإمام الحسن العسكري، م.س، ص ٢١٩.

[٢]- الكليني، الكافي، م.س، ج ١، ص ٥١١.

[٣]- الطبسي، حياة الإمام العسكري دراسة تحليلية تاريخية علمية لحياة الامام الحسن العسكري، م.س، ص ٢١٨.

وروى الأربلي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال لأبي هاشم الجعفري: «يا أبا هاشم سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة وقلوبهم مظلمة متكذرة.. علمواؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض؛ لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتّصوف، وأيم الله إنهم أهل العدول والتحرّف يبالغون في حبّ مخالفينا ويضلّون شيعتنا وموالينا... ألا أنّهم قطع طريق المؤمنين والدعاة إلى نحلة الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم وليصن دينه وإيمانه»<sup>[١]</sup>.

ث- مكافحة الغلو: وهم الذين غالوا وتجاوزوا الحدّ في حقّ الأنبياء والأولياء، والاعتقاد بالوحيّتهم وربوبيّتهم، وقد استمرّت ظاهرة الغلو في زمن الإمام الصادق عليه السلام وبعده إلى أن استفحلت في عصر الإمامين العسكريين، حيث برزت في زمن الإمام الهادي مجموعات تدعو إلى آراء وتوجّهات خاصّة بهم، تحاول خداع السذج من الناس؛ لصرفهم عن قيادة الإمام وتشكيكهم في معتقداتهم، لغرض تفتيت الحركة الشيعيّة، وتحجيم دورها، ومن هولاء الغلاة والمنحرفين عليّ بن حسكة والقاسم اليقطيني<sup>[٢]</sup>. ولما سُئل الإمام عليه السلام من قبل أصحابه عن معتقداتهم قال: «ليس هذا ديننا فاعتزله»<sup>[٣]</sup>. واستطاع الإمام العسكري عليه السلام أن يكافح فساد معتقدتهم، ويحذّر من عاقبته الوخيمة، ولأجل ذلك كان يُركّز في تفسيره للآيات القرآنيّة الشريفة على محاربتهم، ومنها قوله تعالى في سورة الحمد ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ حيث ذكر معناها بأنّ الصراط المستقيم لكلّ مسلم هو التجنّب عن الغلوّ والتّقصير<sup>[٤]</sup>.

### خامساً: أصحاب الإمام العسكري عليه السلام

سار الإمام العسكري عليه السلام على الخطّ الذي أسسه أباه الطاهرون، وهو بناء الجماعة

[١]- الطبسي، حياة الإمام العسكري دراسة تحليليّة تاريخيّة علميّة لحياة الامام الحسن العسكري، م.س، ص ٢١٧.

[٢]- المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية الإمام الحسن بن عليّ العسكري، م.س، ج ١٣، ص ٦٧.

[٣]- المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج ٢٥، ص ٣١٦.

[٤]- السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، م.س، ج ١٠، ص ٣٤٩.

الصالحة التي تمثل خطّ أهل البيت الفكريّ والعقائديّ والأخلاقيّ والسلوكيّ، وقد اهتمّ الأئمّة عليهم السلام بشكل خاصّ بإعداد وتربية مجموعة من الرواة والفقهاء، فتمثّلت فيهم مدرسة علميّة استوفت في عهد الإمام العسكريّ كلّ متطلبات المدرسة العلميّة، وقد بلغ عدد أصحاب الإمام ورواة حديثه ٢١٣ محدّث وراوٍ، وذلك رغم الظروف الحرجة المحيطة بالإمام العسكريّ وقصر الفترة التي عاشها إمامًا ومرجعًا للأمة والشيعة. فإنّ هذه النسبة من الرواة تشكّل رقمًا قياسيًّا طبيعيًّا<sup>[١]</sup>.

ولقد ساهم أصحاب الإمام عليه السلام وتلاميذه في إظهار عقيدة أهل البيت عليهم السلام، وكان لهم الدور البارز في حفظ تراث أهل البيت الرساليّ ومبادئ الإسلام أوّلاً، ومن ثمّ كان لهم الأثر الكبير في نشر فكرة الغيبة وتهيئة الذهنيّة العامّة لتقبّلها ثانيًا، والمساهمة في توجيه الشيعة بالرجوع إلى الفقهاء الذين هم حصن الإسلام الواقعي للمسلمين من الأعداء ثالثًا، ونشر الأصول العقديّة وبيانها من خلال ما تمّ تدوينه وتأليفه من كتب. وعلى الرغم من الإجراءات القاسية التي اتّخذوها لحجب الإمام عنهم، إلّا أنّ هناك كوكبة من العلماء اتّصلت به، ومنهم:

### ١. عليّ بن الحسن بن فضال:

ابن فضال الكوفيّ، ثقة، كثير العلم، واسع الأخبار، ذكره النجاشيّ بقوله: «أبو الحسن عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضال بن عمر بن أيمن مولى عكرمة بن ربعي الفيّاض». عدّه الطوسيّ في رجاله من أصحاب الهادي والعسكريّ عليهما السلام. من آثاره كتاب الصيام. نقل عنه السيّد ابن طاووس في الإقبال قوله: «ومن ذلك ما رواه عليّ بن الحسن بن فضال في كتاب الصيام»<sup>[٢]</sup>. صنّف مؤلّفات عدّة دلّت على مدى ثروته العلميّة، وأنّه كان في طليعة علماء عصره، كتّاب التنزيل من القرآن والتحريف،

[١]- المجمع العالميّ لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ، م.س، ج١٣، ص ١٧٥.

[٢]- الجلاي، محمّد حسين الحسينيّ، فهرس التراث، ص ١٧٦.

الأنبياء، الدلائل، الجنة والنار، الدعاء، وكتاب عجائب بني إسرائيل.

## ٢. الفضل بن شاذان:

أبو محمد الفضل بن شاذان بن الخليل الأزديّ النيسابوريّ، متكلم بارع، كان في طليعة علماء عصره إنتاجاً وتأليفاً، قال الطوسيّ عنه: «فقيه متكلم، جليل القدر له كتب ومصنفات»<sup>[١]</sup>. وترجم عليه أبو محمد العسكريّ مرتين. ونقل ابن داود الحليّ خبر ترجم الإمام العسكريّ عليه، ثم قال: «وذكر أنّه قال: أغبط أهل خراسان لمكان الفضل وكونه بين أظهرهم». له كتاب في إثبات الرجعة، الإيضاح، العلل<sup>[٢]</sup>. وذكر الكنجي أنّه صنّف مئة وثمانين كتاباً وقع إلينا، منها: كتاب النقض على الإسكافي في تقوية الجسم، كتاب العروس وهو كتاب العين، كتاب الوعيد، كتاب الردّ على أهل التعطيل، كتاب الاستطاعة، كتاب مسائل في العلم، كتاب الأعراض والجواهر، كتاب العلل، كتاب الإيوان، كتاب الردّ على الثنويّة، كتاب إثبات الرجعة، كتاب الرجعة حديث، كتاب الردّ على الغالية المحمدية، كتاب تبيان أصل الضلالة، كتاب الردّ على محمد بن كرام، كتاب التوحيد في كتب الله، كتاب الردّ على أحمد بن الحسين، كتاب الردّ على الأصمّ، كتاب في الوعد والوعيد، كتاب الردّ على البيان بن رثاب، كتاب الردّ على الفلاسفة، كتاب محنة الإسلام، كتاب السنن، كتاب الأربع مسائل في الإمامة، كتاب الردّ على المنايئة، كتاب الفرائض الكبير، كتاب الفرائض الأوسط، كتاب الفرائض الصغير، كتاب المسح على الخفين، كتاب الردّ على المرجئة، كتاب الردّ على القرامطة<sup>[٣]</sup>. ويظهر من سعة موضوعات مؤلفاته أنّه كان يخوض صراعاً مع الفئات المختلفة المخالفة لأهل البيت (عليهم السلام). كما يظهر أنّه ألف كتاباً في الإمام المهديّ وغيبته، وهو كتاب الغيبة ويسمّى الرجعة، ذكره المجلسي في بحاره.

## ٣. محمد بن الحسين الزيات:

حفيد أبي الخطّاب، من ثقات محدّثي الإماميّة، كان فقيهاً فاضلاً، وعالماً عظيم

[١]- الطوسي، رجال الطوسيّ، ج ٦، ص ٤٠١.

[٢]- الجلال، فهرس التراث، م، س، ص ١٧٧.

[٣]- اللجنة العلميّة في مؤسّسة الامام الصادق، معجم طبقات المتكلمين، ج ١، ص ١٩٢.

المنزلة، وملكاً كثير الرواية، ذكره النجاشي في رجاله بقوله: إنّه جليل من أصحابنا، عظيم القدر، كثير الرواية، ثقة، عين، حسن التصنيف، مسكون إلى روايته، له كتب عدّة، منها: التوحيد، المعرفة والبداء، الردّ على أهل القدر، كتاب الإمامة، كتاب وصايا الأئمة عليهم السلام، توفي سنة ٢٦٢هـ<sup>[١]</sup>.

وعده ابن شهر آشوب من ثقات الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام، وقد صحب الأئمة: الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام. جاء اسمه في ١٨٩ موردًا في أسناد الروايات. له روايتان: قال في الرواية الأولى: «كتبتُ إلى أبي محمد العسكري عليه السلام: رجلٌ دفع إلى رجلٍ وديعةً فوضعها في منزل جاره، فضاعت، فهل يجب عليه إذا خالف أمره وأخرجها من ملكه؟ فوقع عليه السلام: هو ضامنٌ لها إن شاء الله»<sup>[٢]</sup>.

وفي الرواية الثانية، قال: «كتبتُ إلى أبي محمد عليه السلام: رجلٌ كانت له قنأةٌ في قرية، فأراد رجلٌ أن يحفر قنأةً أخرى إلى قرية له، كم يكون بينهم في البعد حتى لا يضرَّ بالأخرى في الأرض إذا كانت صلبةً أو رخوة؟ فوقع عليه السلام: على حسبِ الأيِّضَرِ إحداهما بالأخرى إن شاء الله»<sup>[٣]</sup>.

#### ٤. محمد بن الحسن الصفار القمي:

صاحب كتاب بصائر الدرجات، كان من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام، وله إليه مسائل. قال النجاشي: كان وجهًا في أصحابنا القميين، ثقةً عظيم القدر راجحًا، قليل السقط في الرواية. له كتبٌ منها: كتاب الوضوء، كتاب الصلاة، كتاب الجنائز، كتاب الصيام. توفّي بقم سنة ٢٩٠هـ. ومن رواياته الوافرة العديدة، أنّه كتب إلى أبي محمد العسكري عليه السلام: «رجلٌ أوصى إلى وُلده، وفيهم كبارٌ قد أدركوا وفيهم صغار، أيجوز للكبار أن ينفذوا وصيته ويقضوا دينه لمن صحَّ على الميت بشهودٍ عدولٍ قبل أن يدرك الأوصياء الصغار؟ فوقع عليه السلام: نعم، على الأكابر من الولدان أن يقضوا دين أبيهم، ولا يحبسوه بذلك»<sup>[٤]</sup>.

[١]- الطبسي، حياة الإمام العسكري دراسة وتحليل، م.س، ص ١٦٦.

[٢]- الكليني، الكافي، م.س، ج ٥، ص ٢٩٣.

[٣]- م.ن، ج ٥، ص ٢٩٣.

[٤]- الطبسي، حياة الإمام العسكري دراسة وتحليل، م.س، ص ١٦٤.

## ٥. عبدالله بن جعفر الحميري:

صاحب الإمامين الهادي والعسكريّ عليهما السلام، وقال النجاشي عنه: «عبد الله بن جعفر بن الحسن بن مالك بن جامع الحميريّ أبو العباس القميّ، شيخ القميين ووجههم، قدم الكوفة سنة نيّف وتسعين ومائتين، وسمع أهلها منه فأكثرُوا، وصنّف كتبًا كثيرة يعرف منها: كتاب الإمامة، كتاب الدلائل، كتاب التوحيد والبداء، كتاب المسائل والتوقيعات، كتاب الغيبة ومسائلها، مسائل أبي محمّد وتوقيعاته، مسائل لأبي محمّد الحسن بن عليّ على يد محمّد بن عثمان العمريّ<sup>[١]</sup>».

شارك في كثير من العلوم، جاء اسمه في ٧٥ موردًا في أسناد الروايات. له روايات عديدة، منها: قوله: كتبتُ إلى أبي محمّد عليه السلام: امرأة ماتت وتركت زوجها وأبويها، أو جدّها أو جدّتها، كيف يُقسّم ميراثها؟ فوقع عليه السلام: للزوج النصف، وما بقي فلا يؤين.. وقد روي أيضًا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أطعم الجَدَّ والجَدَّةَ السدسَ».

## ٦. داود بن القاسم بن إسحاق بن جعفر بن أبي طالب:

المعروف بأبي هاشم الجعفريّ أو داود بن قاسم الجعفريّ، كان فذاً من أفذاذ الإسلام وعلماً من علماء العقيدة، ينتهي نسبه الكريم إلى جعفر بن أبي طالب الطيّار، كان شديد الولاء للأئمّة الطاهرين عليهم السلام، وكانت له مكانة مرموقة عند من عاصرهم من الأئمّة الطاهرين، فقد قال له الإمام الهادي عليه السلام: «يا أبا هاشم أيّ نِعَمِ الله عزّ وجلّ عليك تريد أن تؤدّي شكرها؟ قال أبو هاشم فوجمت ولم أدِر ما أقول، فقال: «رزقك الإيَّمان فحرّم به بدنك على النَّار، ورزقك العافية فأعانتك على الطّاعة، ورزقك القنوع فصانك عن التبدّل». كان ورعًا زاهدًا ناسكًا عالمًا، ولم يكن أحد في آل أبي طالب مثله في زمانه في علو النسب، كان جريئًا لا يهاب السّلطان، انتقل إلى رحمة الله في جمادى الأولى سنة ٢٦١ وذلك بعد وفاة الإمام أبي محمّد عليه السلام بسنة<sup>[٢]</sup>.

روى عنه جماعةٌ من مشاهير علماء الإماميّة، وأثنى علماء الرجال والمؤرخون على زهده وعلمه، وعدّوه من الثقات. كان أبو هاشم جسورًا شجاعًا، وكانت

[١]-م.ن، ص ١٥١.

[٢]-يراجع: الطبسي، حياة الإمام العسكريّ دراسة وتحليل، م.س، ص ١٤٥.

له منازعات مع الأمراء والخلفاء العباسيين، وقد أودع السجن لمرة عديدة، وفي الوقت نفسه كان مكرماً لدى كبار الدولة، بحيث إنه بعث في ٢٥١ هـ خلال ثورة الكوفة بقيادة الحسين بن محمد العلوي كوسيط للتفاوض مع الحسين من قبل مزاحم بن خاقان عامل العباسيين. ويظهر من الروايات أن أبا هاشم الجعفري كان قد حُبس مع الإمام الحسن العسكري عليه السلام مراراً، وله عنه أخبار كثيرة، منها: قال: «دخلت على أبي محمد عليه السلام يوماً وأنا أريد أن أسأله ما أصوغ به خاتماً أتبرك به، فجلستُ وأنسيت ما جئت له، فلما ودّعتُ ونهضت رمتني إلي بالخاتم قال: أردت فضة فأعطيناك خاتماً، ربحت الفص والكرء، هناك الله يا أبا هاشم! فقلت: يا سيدي، أشهد أنك ولي الله، وإمامي الذي أدين الله بطاعته. فقال: غفر الله لك يا أبا هاشم»<sup>[١]</sup>.

#### ٧. علي بن الحسين بن موسى بن بابويه:

شيخ القميين في عصره، كان فقيهاً جليلاً ثقة. قال الشيخ عباس القمي في حقه: «أبو الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، العالم الفقيه، المحدث الجليل بل شيخ القميين في عصره وفقههم وثقتهم، صاحب المقامات العالية، والدرجات الرفيعة التي دلّ عنها ما في التوقيع الشريف عن الإمام العسكري: «أوصيك يا شيخي ومعتدي وفقهيه يا أبا الحسن. وقد كان الأصحاب يأخذون الفتاوى من رسالة علي بن بابويه إذا أعوزهم النص، ثقة واعتماداً عليه»<sup>[٢]</sup>. وله كتب كثيرة، منها: التوحيد، الوضوء، الصلاة، الجنائز، الإمامة والبصيرة من الحيرة، الإملاء، النطق، كتاب الإخوان. قَدِمَ العراق، واجتمع مع الحسين بن روح وسأله مسائل، ثم كاتبه يسأله أن يوصل له رقعة إلى الإمام المهدي عليه السلام يسأله فيها الولد. فكتب عليه السلام إليه: قد دَعَوْنَا الله لك بذلك، وستُرزق ولدين خيرين. تُوفي سنة ٣٢٩ هجرية<sup>[٣]</sup>.

[١]- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، م.س، ج ٢، ص ٤٢٤.

[٢]- الطبسي، الإمام العسكري دراسة تحليلية تاريخية لحياة الإمام الحسن العسكري، م.س، ص ١٧٣.

[٣]- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، م.س، ج ٢، ص ٤٢٠.

## الخاتمة

إنّ الحديث عن الإمام العسكري عليه السلام عليه السّلام حديثٌ لا ينضب، حيث استطاع أن ينهض بمهمّته الرّساليّة، فكان له رصيّدٌ علميٌّ وعطاءٌ معرفيٌّ واسع، فواصل مسيرة آبائه الأئمّة المعصومين عليه وعليهم أفضل الصّلاة والسّلام. ولقد استعرضنا معالم هذا العصر، وأدواره التبليغيّة التي مارسها الإمام في التّوجية والإرشاد ورعاية شؤون شيعته، وتشكيل الكتلة المؤمنة من مواليه، والتّصدي لتحرّيف كتاب الله وأحكامه. بالإضافة إلى دوره المهّم والخطير في العمل على التّصدي للشبهات العقديّة والكلاميّة التي حاولت النيل من الرّسالة المحمّديّة. وذلك كلّه رغم أساليب التكنيل والاضطهاد التي كانت تُمارسها السّلطة العبّاسيّة ضد الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام. فقد استطاع بسياسته المرنة الحكيمة، وتخطيطه الدقيق أن يسقط الحواجز التي صنعتها السّلطة للفصل بينه وبين المؤمنين، واستطاع رغم قصر عمره الشّريف بناء الكتلة المؤمنة، والإشراف عليها بوصفها المجموعة المرتبطة به، والتخطيط لسلوكها وحماية وجودها وتنمية وعيها وإسعافها بكلّ الأساليب التي تُساعد على صمودها في خضمّ المحن، وارتفاعها إلى مستوى الحاجة الإسلاميّة إلى جيش عقائديّ حامٍ للرّسالة الإسلاميّة بوصفها رسالةً عقديّةً.

كان الإمام العسكري عليه السلام يُمارس هذه الأدوار بوسائل متعدّدة، امتاز بها عن غيره من الأئمّة عليهم السلام، منها وسيلة المكاتبات، حيث كانت له رسائل كثيرة للشّيعّة الذين كانوا منتشرين في أقطار الحضارة الإسلاميّة: خراسان، قم، الأهواز، اليمن، وغيرها من البلدان الإسلاميّة. واحتجّ من خلال هذه الرسائل على النّظام العبّاسيّ الفاسد، وبيّن موقفه العام من الأحداث التي اكتنفت السّاحة الإسلاميّة.

ويجدر بنا بعد هذه المحاولة في دراسة الأدوار التأسيسيّة للكلام في عصر الإمام العسكري عليه السلام أن نضع هذه التوصيات في عهدة المفكرين والباحثين والمهتمين بهذا المجال:

أولاً: إعادة دراسة حياة الأئمة عليهم السلام وترجمتها، ولا سيّما إنتاجاتهم وطاقاتهم العلميّة والثّقافيّة. والاستنارة بخطوات الحركات التغيّريّة التي مارسوها، وفي ضوء المحدّدات التي تفرضها كل مرحلة من مسيرة الأمة وما تستوجبه من متطلّبات.

ثانياً: إعادة دراسة تراث الإمام العسكري عليه السلام في القضايا العقديّة بطريقة علميّة، والاستفادة منها في دفع الشّبّهات المثارة في عالمنا المعاصر وتفنيدها وردّها بالأدلّة والبراهين العقليّة والفلسفيّة التي اعتمدها الإمام عليه السلام.

ثالثاً: تعزيز برامج المدارس العلميّة الدينيّة، والجامعات، والحوزات، بالموروث الروائي لأئمة أهل البيت وتاريخ سيرهم، واستكشاف الأدوار العلميّة والحضارية التي أداها الأئمة الأطهار في تأسيس العلوم الإسلاميّة (خاصة علم الكلام)، وفي نهضة الأمة.

رابعاً: تعميق نظرية تكامل أدوار الأئمة (وحدة الهدف وتنوع الأدوار)، وتحليل التكامليّة في أداء الأئمة على جميع الأصعدة: الديني، والعقدي، والسياسي، والاجتماعي، وتعميق النظر أكثر في ترابط أداء الأئمة على مستوى تأسيس العلوم وعلم الكلام خاصة.

وصلّى الله على الإمام الحسن العسكري عليه السلام، سائلين الله تعالى أن ينفعنا ببركته وبركة ولده الإمام الحجّة بقيّة الله في الأرض، وأن يرزقنا شفاعتهم في الآخرة.

## قائمة المصادر والمراجع

١. ابن صبّاغ، عليّ بن محمّد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة، ط ١، قم، دار الحديث، ١٣٨٠.
٢. ابن طاووس، عليّ بن موسى بن جعفر، مهج الدعوات ومنهج العبادات، لا.ط، قم، دار الزخائر، ١٤١١ هـ.ق.
٣. ابن كثير، اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط ١، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ١٩٨٨ م.
٤. الأديب، عادل، الأئمّة الاثنا عشر دراسة تحليليّة، ط ٣، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ، (لات).
٥. الأربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، ط ١، بيروت، دار الأضواء، لا.ت.
٦. الجلايّي، محمّد حسين الحسينيّ، فهرس التراث، ط ٣، بيروت، دار الولااء، ١٤١٢ هـ.
٧. الحرّانيّ، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، ط ٢، إيران، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤٠٤ ق.
٨. الحسينيّ، هاشم معروف، سيرة الأئمّة الاثني عشر، لا.ط، بيروت، دار المعارف، ١٩٩٠ م.
٩. الحويزيّ، عبد علي، تفسير نور الثقلين، تصحيح: السيد هاشم الرسوليّ المحلّاتي، ط ٤، إيران، مؤسّسة اسماعيليان، ١٤١٢ هـ.
١٠. الخامنائيّ، عليّ (الإمام)، إنسان بعمر ٢٥٠ سنة، ط ١، بيروت، مركز نون، ٢٠١٣ م.
١١. السبحانيّ، جعفر، مفاهيم القرآن، ط ٣، قم، مؤسّسة الإمام الصادق، ١٤٢٨ هـ.ق.
١٢. الصدر، محمد باقر، أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف، ط ١، بيروت، مؤسّسة أمّ القرى، ٢٠٠٣ م.

١٣. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، التوحيد، تعليق: السيد هاشم الحسني الطهراني، لا.ط، قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، (لات).
١٤. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، لا.ط، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٥هـ.
١٥. الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى، ط١، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٧م.
١٦. الطبرسي، الفضل بن الحسن، الاحتجاج، لا.ط، النجف، دار النعمان، ١٩٦٦م.
١٧. الطبرسي، محمد جواد، حياة الإمام العسكري دراسة تحليلية تاريخية علمية حياة الإمام، ط١، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٤م.
١٨. الطوسي محمد بن الحسن، رجال الطوسي، لا.ط، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٥هـ.
١٩. الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة، ط١، قم، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١١هـ.
٢٠. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، لا.ط، طهران، دار الكتب الإسلامية، (لات).
٢١. العطار، عزيز الله، مسند الإمام العسكري، لا.ط، قم، أمير، ١٤١٠هـ.
٢٢. العواد، مهدي، سلسلة أهل البيت عليهم السلام الإمام الحسن بن علي العسكري، ط١، بيروت، دار المحجة، ٢٠٢٢م.
٢٣. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ط١، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٨م.
٢٤. القمي، عباس، الأنوار البهية، ط١، د.م، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ.
٢٥. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٥، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣ش.

٢٦. اللجنة العلميّة في مؤسسة الإمام الصادق ع، معجم طبقات المتكلمين، إشراف: جعفر السبحاني، ط ١، قم، مؤسّسة الإمام الصادق، ١٤٤٢ ق.
٢٧. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، ط ٢، بيروت، مؤسّسة الوفاء، ١٩٨٣ م.
٢٨. المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، أعلام الهداية الإمام الحسن بن عليّ العسكري، ط ١٣، بيروت، المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، ٢٠٠٩ م.
٢٩. المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ط ٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤ هـ.
٣٠. النيسابوري، الفتال، روضه الواعظين، لا. ط، قم، منشورات الرضي، لا. ت.
٣١. شهر شوب، محمّد بن عليّ، مناقب آل أبي طالب، لا. ط، النجف، المطبعة الحيدريّة، ١٩٩٥ م.

# التأسيسات الكلامية في عصر الغيبة الصغرى

الأستاذ قاسم شعيب(\*)

## المقدمة

لا نكاد نجد ديناً لم يتحدّث عن ظهور مخلص في آخر الزمان. ورغم اختلاف الأديان في اسم هذا المخلص، إلا أنها متّفقة حول جوهر حكمه، والقيم التي يدعو لها، والشريعة التي سيطبقها، والعدالة التي يلتزم بها. فهو، مثلاً، عند الهندوس كرشنا، وعند البوذيين بوذا أو ميتريا اميدا، وعند الزرادشتيين سوشيانت الثالث، وعند الصابئة المندائية سيتيل، وفي الأكادية والبابلية إيليا، وعند اليهود مسياً، وعند النصارى المسيح، وعند المسلمين المهديّ المنتظر.

مرّ على الناس، عبر التاريخ، أنبياء منذ آدم وشيث وحتى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليه السلام. وحسب النصوص الإسلامية، كلّهم بشر بالنبيّ الخاتم عليه السلام، كما بشر بالإمام المهديّ عليه السلام. ومع التشويه الذي عرض على رسالاتهم ضاع الاسم وبقيت الفكرة.

بل إنّ الإيديولوجيات الوضعية نفسها، وهي أديان بالمعنى العامّ الواسع للدين، لم تخل من فكرة التبشير بأحلام المساواة والعدالة والحرية والرخاء. في الماركسيّة، مثلاً، تمثّل الشيوعيّة المرحلة الختامية التي تحقّق فيها الإنسانيّة أحلامها في المساواة والرخاء بعد أن تجد التناقضات الاجتماعيّة طريقها إلى الحلّ. ولدى الليبراليين الذين يحكمون العالم اليوم حديث عن النظام العالميّ الجديد الذي يهيمن فيه دين واحد وتحكمه حكومة عالميّة واحدة.

(\*)- باحث متخصص في الفلسفة والكلام - تونس.

إن هذا يعني أن فكرة الخلاص تملك أساساً نفسياً في داخل الإنسان، ولم يفعل الدين سوى التفاعل مع هذا الأمل الإنسانيّ والتبشير بتحقيقه يوماً. والإسلام بوصفه خاتم الرسالات، أراد التأكيد على جدية هذا الأمل وإعطائه كلّ المبررات والأطر النظرية التي تجعل منه مشروعاً ينتظر التحقيق.

حوّل الإسلام الأمل الإنسانيّ الكبير إلى واقع إيمانيّ عندما جعل من الإمامة، كما النبوة، أصلاً للدين؛ لأنها هي التي تُرشد إلى عقائده وأحكامه وقيمه. وفي الحقيقة، فإنّ الإمامة أو الزعامة الدينية والسياسية ليست أصلاً إيمانياً للإسلام فحسب، بل إنّها أصلٌ دينيٌّ وإيديولوجيٌّ لدى كلّ الشعوب؛ ولذلك لا نجد شعباً أو أمةً بلا زعماء سياسيين ودينيين. ورغم أنّهم لا يقولون ذلك دائماً وبشكلٍ نسقيّ، إلا أنّ الممارسة أقوى من أيّ كلام يمكن أن يقال حول محورية فكرة الزعامة والإمامة. وتلك الزعامة قد تتوزع بين شخصين أو أكثر، فنجد زعماء دينيين وزعماء سياسيين. لكن الإسلام حدّد لأتباعه زعيماً واحداً في الدين والسياسة في كلّ زمان، وجعله إماماً حقيقياً يملك العلم والمعرفة والوعي والكمال الأخلاقيّ، فهو لا يفصل بين الدين والسياسة بل يوحد بينهما.

تبشّر الأديان والأيديولوجيات المختلفة بالخلاص، إلا أنّ المصدر الوحيد المتبقي، الذي يحدّد لنا بدقة شخصية المخلص وغيته وعلامات قيامه وظروفه وزمانه وانتصاراته، هو الإسلام. وهذا البحث، لن يتناول كلّ تلك التفاصيل، بل سيركز اهتمامه على فترة الغيبة الصغرى الممتدة بين وفاة الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) وبداية الغيبة الكبرى سنة ٣٢٩ هـ، وبالتحديد الجانب الكلاميّ والعقائديّ وكلّ ما يتعلّق به.

ولذلك ستتمّ معالجة الموضوع في المحاور التالية:

**المحور الأول:** حول شخصية الإمام المهديّ والغيبة في مفهومها وتقسيماها وخصوصياتها وظروفها وأسبابها وفلسفتها.

**والمحور الثاني:** حول الوضع السياسيّ في الغيبة الصغرى وأدوار الإمام خلالها.

**والمحور الثالث:** يتناول احتجاجات الإمام المهديّ العقيدية وآفاق علم الكلام بعد الغيبة الصغرى.

## أولاً: الإمام المهديّ ﷺ في غيبته الصغرى

### ١. التعريف بالإمام المهديّ ﷺ

الإمام المهديّ، ﷺ، هو محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. والإمام المهديّ عليه السلام، عند الشيعة الاثني عشرية هو الشخصية المتممة لسلسلة الأئمة، فهو الإمام الثاني عشر والأخير الذي سيأتي في آخر الزمان «ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً»<sup>[١]</sup>.

نقل المجلسي عن «الشيخ في المصباحين والسيد ابن طاووس في كتاب الإقبال وسائر مؤلفي كتب الدعوات ولادته ﷺ في النصف من شعبان وقال: في الفصول المهمة: ولده ﷺ بسر من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومئتين»<sup>[٢]</sup>، الموافق لـ ٢٩ جويلية-يوليو-تموز ٨٦٩م. وكانت ولادته فجر الجمعة.

والإمام المهديّ هو الابن الوحيد للإمام الحسن العسكري، عليه السلام. ولد عندما كان أبوه تحت الإقامة الجبرية التي فرضتها عليه السلطة العباسية في مدينة سامراء. ولا شك أن العباسيين كانوا يملكون معلومة عن ولادة ابن للعسكري يهدد دولتهم، فكانوا يراقبونه عن قرب. وبسبب ذلك أخفى الإمام عن الناس حمله وولادته، فلم يعلم بذلك إلا فئة من المقربين منه خوفاً عليه من القتل.

وفي صفة الإمام المهديّ، روي عن حذيفة بن اليمان، عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: «المهديّ [من] ولدي وجهه كالقمر الدرّي، اللون منه لون عربيّ والجسم جسم إسرائيليّ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يرضى بخلافته أهل السماء وأهل الأرض..»<sup>[٣]</sup>، وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان أبيض اللون، مشربّ

[١]- هذا الحديث متواتر عند السنة والشيعة على السواء. انظر: الألباني، صحيح الجامع، ح ٥٠٧٤.

[٢]- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢٨.

[٣]- ابن الصباغ، علي بن محمد، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ج ٢، ص ١١٠٩.

بالحُمْرة»<sup>[١]</sup>. وفي رواية: «نظر أمير المؤمنين علي إلى الحسين (عليه السلام)، فقال: إن ابني هذا سيّد كما سمّاه رسول الله ﷺ، سيّداً، وسيُخرج الله من صلبه رجلاً باسم نبيكم يُشبهه في الخُلُق والخلُق.. وهو رجل أجلى الجبين، أقى الأنف، ضخم البطن، أزيل الفخذين، بفخذه اليمنى شامة، أفلج الشنّايا، ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا»<sup>[٢]</sup>.

أمّا أمّ الإمام المهديّ، بحسب المشهور، فهي مليكة بنت يشوعا ابن قيصر الروم. وقد عرفت باسم نرجس، إلّا أنّ لها أسماء أخرى مثل: ريجانة وصقيل في رواية الشيخ الطوسي<sup>[٣]</sup>. وفي رواية الشيخ الصدوق، ولدت أمّ الإمام المهديّ، عليه السلام، في القسطنطينية ورأت في منامها السيّد المسيح (عليه السلام)، يبشّرها بأنّها ستزوِّج من الحسن العسكريّ. كما رأت السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ودعتها إلى أن تعرّض نفسها للأسر لتصل إلى الإمام العسكريّ (عليه السلام)<sup>[٤]</sup>. وبالفعل وقعت في إحدى رحلاتها أسيرة في أيدي المسلمين وحيء بها إلى بغداد. وعندما علم الإمام علي الهادي (عليه السلام)، والد العسكري، بوجودها، أرسل أحد خواصّه وزوّده بمائتين وعشرين ديناراً ورسالة بالرومية ليسلمها للفتاة، فسافر من سامراء إلى بغداد، وقد وصف له الإمام مكان وجودها وشكلها. وصل المبعوث إلى الفتاة الجليلة ولاحظ كيف كانت ترفض بإباء أن يقترب منها أيّ أحد. وحين سلّمها الرسالة، انهارت باكياً وراحت تصرخ مطالبة النخّاس أن يوافق على بيعها لذلك المبعوث. وبالفعل تمت الصفقة ونقل المبعوث الفتاة معه بكلّ احترام إلى سامراء أين رحّب بها الإمام الهادي وبشّرها بولد، يكون لها من ابنه الحسن، يملك الدنيا ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً. ثمّ أودعها عند أختها حكيمة لتعلّمها الفرائض والأحكام، قبل أن يهبها لابنه الحسن، فتزوَّجها وهي فتاة في مقتبل العمر.

من الصّعب أن تكون القصّة مزوّرة، بهذه التفاصيل، ورغم ذلك قال المسعوديّ، في «إثبات الوصية» الذي يعتبر أقدم مصدر تعرّض للحديث، عن أمّ الإمام، إنّها أمّ ولد

[١]- الصدوق، محمّد بن عليّ بن بابويه القميّ، كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٦٨١.

[٢]- النعماني، محمّد بن إبراهيم، الغيبة، ج ١، ص ٢٢١.

[٣]- الطوسي، محمّد بن الحسن، الغيبة، ص ٤١٤.

[٤]- الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، م. س، ج ٢، ص ٤١٨.

يقال لها نرجس<sup>[١]</sup>. وذكر الشيخ المفيد أن أمّه عليها السلام، كانت أمة نشأت في بيت السيدة حكيمة أخت الإمام الهادي عليه السلام ولما رأى الإمام العسكري سيئات الصلاح فيها تزوّجها لتلد له الخليفة من بعده بمشيئة الله تعالى<sup>[٢]</sup>. وفي المقابل، نقل العلامة المجلسي عن الشهيد الثاني أنه قال في الدروس: «إنّ أمّ الإمام هي نرجس، وقيل مريم بنت زيد العلوية»<sup>[٣]</sup>.

فبعض هذه الروايات تقول إنّها بنت زيد العلوية، وبعضها تقول إنّها أم ولد واسمها هو نرجس، وأن السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام هي التي أطلقت عليها هذه الأسماء ما عدا اسم صقيل.

واختلاف الروايات حول جذور والده الإمام المهدي عليه السلام، جعلت البعض يشكّك في رواية الصدوق بدعوى أنه لم تكن هناك معركة بين المسلمين والروم في ذلك الوقت. ولو وقعت ابنة قيصر الروم في الأسر فلا بدّ أن يُطالب بفكّ أسرها وعودتها.. غير أنّ الأسر لا يحتاج دائماً معركة ليحدث، كما يُتمل أن أباهما لم يكن قد عرف مكان وجودها بعد فقدانها.

لم تحدّد المصادر تاريخ وفاة نرجس، والروايات مختلفة؛ بعضها يقول إنّها توفيت قبل وفاة زوجها، لكن الروايات الأوثق تقول إنّها كانت حاضرة وقت وفاة الإمام العسكري، فتكون قد توفيت بعده. وفي كلّ الأحوال، دفنت السيدة نرجس في حرم العسكريين في مدينة سامراء بالعراق، خلف ضريحي الإمامين الهادي والعسكري بمسافة قليلة.

## ٢. غيبة الإمام المهدي عليه السلام في المصادر المختلفة

يتفق المسلمون في مذاهبهم المختلفة حول حقيقة الإمام المهدي وتنبؤ الرسول صلّى الله عليه وآله، وبشارته بظهوره في آخر الزمان وقيادته عملاً تغييرياً ضخماً يستطيع من خلاله إسقاط

[١]- محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٦، ص٢١٧.

[٢]- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، ج١، ص٣٩٠.

[٣]- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، م.س، ج٥١، ص٢٨.

الأظمة الوضعية القائمة وإقامة نظام الإسلام بدلاً عنه، لينشر بذلك العدل والحرية والرخاء لكل الناس. ورغم أن المصادر الشيعية هي التي توسعت في الحديث عن الإمام، عليه السلام، في غيبته الصغرى، كما الكبرى، إلا أن المصادر السنية لا تخلو من ذلك.

### أ- الغيبة في المصادر السنية

أكدت الروايات الموثوقة عند الشيعة الإمامية أن عدد الأئمة اثنا عشر إماماً. وهم مجتمعون على ذلك. وهذا العدد أثبتته أهل السنة أيضاً في كتبهم، كما هو شأن البخاري ومسلم مثلاً<sup>[١]</sup>. ورغم محاولتهم إخفاء أسمائهم، إلا أن الحموي الجويني في «فرائد السمطين» والقندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودة» أوردوا روايات كثيرة يذكران فيها أحاديث النبي صلى الله عليه وآله، التي تذكر الأئمة الاثني عشر بالاسم<sup>[٢]</sup>. وقد أورد محدثو أهل السنة في شأن الإمام الثاني عشر والأخير الكثير من النصوص، وتحديثوا عن ظهوره في آخر الزمان وتعميمه للعدل والقسط بعد أن تكون الأرض قد ملئت ظلماً وجوراً.

قال القاضي الشوكاني في «الفتح الرباني»: «الذي أمكن الوقوف عليه من الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر خمسون حديثاً وثمانية وعشرون أثراً. ثم سردهم مع الكلام عليها» ثم قال: «وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى من له فضل اطلاع»<sup>[٣]</sup>.

وقال المباركفوري في تحفة الأحوذني بشرح جامع الترمذي: «اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر العصور أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشرط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده، فيقتل الدجال أو ينزل

[١]- روى البخاري، ح ٧٢٢٢-٧٢٢٣، ومسلم، ح ١٨٢١: «يكون من بعدي اثنا عشر أميراً، فتكلم فخفي علي، فسألت الذي يليني،

أو إلى جنبي، فقال: كلهم من قريش». وفي نص آخر: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة فقال صلى الله عليه وآله كلمة صميتها

الناس، أي حالوا دون سماعه الكلمة- فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش». أحمد، ح ٢١٠٢٠. الطبراني، ح ١٧٩٥.

[٢]- القندوزي الحنفي، سليمان بن خوجه إبراهيم قبلان، ينابيع المودة، ص ٤٩٩. الجويني، إبراهيم بن محمد، فرائد السمطين، ج ٢، ص ٣٢، ص ١٤٠.

[٣]- كتاب الموسوعة العقدية الدرر السنية، المكتبة الشاملة الحديثة، نسخة إلكترونية، ج ٤، الفرع الخامس في نقل كلام أهل العلم في إثبات حقيقة المهدي، ص ٢٣٠.

من بعده، فيساعده على قتله ويأتّم بالمهديّ في صلاته»<sup>[١]</sup>.

لا شك أنّ المهديّ عليه السلام هو «آخر العنقود» في سلسلة الأئمة من أهل البيت. والمحافظة عليه اقتضت أن يغيب عن الأنظار غيبتين اثنتين، وهذا شيءٌ قطعيٌّ في المجال الشيعيِّ الإماميِّ، غير أنّ المصادر السنيّة لا تخلو منه. فهناك روايات تتناول موضوع الغيبة على نحو ما أورده البرزنجي (ت ١١٠٣ هـ) من رواية عن أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليه السلام أنّه قال: «لصاحب هذا الأمر - يعني المهديّ عليه السلام - غيبتان، إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات وبعضهم ذهب. ولا يطّلع على موضعه أحد من وليّ ولا غيره إلاّ المولى الذي يلي أمره»<sup>[٢]</sup>.

غير أنّ البرزنجي فسّر الرواية على أنّ الغيبة الصغرى تقع في جبال مكّة. وأهمّ الحديث عن الغيبة الثانية. أما ابن الصبّاح المالكيّ فقال: «وله قبل قيامه غيبتان: إحداهما أطول من الأخرى. فأما الأولى فهي القصرى، فمنذ ولادته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته. وأمّا الثانية، وهي الطولى، فهي التي بعد الأولى. في آخرها يقوم بالسيف. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)»<sup>[٣]</sup>.

وروى الشافعي السلمي في كتابه «عقد الدرر» عن الإمام الحسين عليه السلام قال: «لصاحب هذا الأمر - يعني المهديّ عليه السلام - غيبتان، إحداهما تطول حتى يقول بعضهم «مات!»، وبعضهم «قتل!»، وبعضهم «ذهب!»، ولا يطّلع على موضعه أحد من وليّ ولا غيره، إلاّ المولى الذي يلي أمره»<sup>[٤]</sup>.

### ب- الغيبة عند الشيعة الإمامية

يوجد إجماعٌ عند الإمامية على أنّ غيبة الإمام المهديّ عليه السلام غيبتان: الأولى قصيرة، والثانية طويلة، ولا نكاد نجد منكرًا لها. وقد أخرج محدثو الإمامية العشرات من

[١]- المباركفوري، محمّد عبد الرحمن، تحفة الأحوذى، ص ٢٣٠.

[٢]- البرزنجي، محمّد بن رسول، الإشاعة لأشراط علم الساعة، ص ١٨٧.

[٣]- ابن الصبّاح، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، م.س، ص ٣١٨.

[٤]- السلمي الشافعي، يوسف بن يحيى، عقد الدرر في أخبار المهديّ المنتظر، ص ١٣٤.

الروايات، وربما المئات منها، التي تؤكّد ذلك، نقتصر على بعضها، فمنها ما أخرجه النعماني بإسناده عن إسحاق بن عمار قال سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «للقائم غيبتان إحداهما طويلة والأخرى قصيرة؛ فالأولى يعلم بمكانه فيها خاصّة من شيعته. والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصّة مواليه في دينه»<sup>[١]</sup>، وعن إبراهيم بن عمر الكناسي قال سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: إن لصاحب هذا الأمر غيبتين<sup>[٢]</sup>، وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله كان أبو جعفر يقول، لقائم آل محمد غيبتان إحداهما أطول من الأخرى، فقال: نعم يا أبا بصير، إحداهما أطول من الأخرى..<sup>[٣]</sup> كما أخرج النعماني أيضًا عن محمد بن مسلم الثقفني عن الباقر أبي جعفر عليه السلام أنه سمعه يقول: «إن للقائم غيبتين. يقال في إحداهما: هلك، ولا يدري في أي واد سلك»<sup>[٤]</sup>.

وأخرج الشيخ الطوسي عن حازم بن حبيب عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «يا حازم إن لصاحب هذا الأمر غيبتين، يظهر في الثانية. إن جاءك من يقول: أنه نفص يده من تراب قبره، فلا تصدّقه»<sup>[٥]</sup>.

والروايات الواردة من طريق الإمامية واضحة في إثبات غيبتين، إحداهما قصيرة يتواصل فيها مع شيعته عن طريق سفرائه، والأخرى طويلة ينقطع فيها تواصله مع شيعته ومع جميع الناس ويخرج في نهايتها ليملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. وعلى هذا النحو يمكن إثبات المعطيات التالية، وهي تتعلق بخصوصيات الغيبة الصغرى:

- إن غيبة الإمام لم تكن كليّةً وشاملةً، بل استثنى منها سفراءه الذين كانوا واسطةً بينه وبين شيعته. وكان هذا إجراءً ضرورياً قبل الغيبة الكليّة والكبرى من

[١]- النعماني، الغيبة، م. س، ص ١٧٣.

[٢]- م. ن، ص ١٧٤.

[٣]- الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري، ج ٢، ص ٢٥٩.

[٤]- النعماني، الغيبة، م. س، ص ١٧٦.

[٥]- الطوسي، الغيبة، م. س، ج ١، ص ٤٤٤.

أجل تثبيت وجوده وحضوره في قلوب المؤمنين.

- الغيبة الصغرى محدودة زمنياً، حيث إنَّ السفراء المعيّنين كان عددهم أربعة فقط، ومدة الغيبة كان قرابة سبعين سنة فحسب، بينما الغيبة الكبرى ممتدة ولا يعلم وقت انتهائها إلا الله سبحانه وتعالى.

- اقترنت الغيبة الصغرى بالسفارة الخاصّة، حيث كان للإمام وكلاءً خاصّون، وكانوا أربعة أشخاص. ومن خلاهم كان الإمام يتواصل مع شيعة، وبعد وفاة رابع السفراء عليّ بن محمد السمريّ انتهت الغيبة الصغرى، ومع انتهائها بدأت الغيبة الكبرى ولا تنتهي إلا بظهور الإمام.

- رؤية الإمام بشخصه كانت ممكنة لسفرائه الذين تولّوا إيصال رسائله وأجوبته إلى شيعة، لكن رؤيته ومعرفة بشخصه وهويته معاً في الغيبة الكبرى غير ممكنة. ويمكن فقط رؤيته بشخصه ولكن دون معرفة هويته ولا يمكن لأيّ كان أن يقول إنّه رآه وعرفه بشخصه كما تدلّ على ذلك روايات عدّة. وإذا وجد، فرضاً، بعض الخواص قد رأوه، فإنّهم لا يتحدثون بذلك، ولا يحقّ لهم إشاعة الأمر.

- الفرق بين الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى من ناحية الامتداد الزمنيّ، هو أنّ الأولى قصيرة ومعلومة وقد امتدت لقرابة سبعين سنة من ٢٦٠ هـ إلى ٣٢٩ هـ، والثانية طويلة بدأت مباشرة بعد وفاة السفير الرابع ولا يعلم إلا الله متى تنتهي.

- كانت الغيبة الصغرى تمهيداً للغيبة الكبرى، والهدف منها إثبات وجود الإمام، إذا لو كانت الغيبة فجائيةً ومطلقة منذ البداية دون مقدّمات لما أمكن إثبات وجوده في التاريخ، ولما قامت حجّة على ذلك.

### ٣. الدخول في الغيبة الصغرى

توفّي الإمام الحسن العسكري، عليه السلام، في ٨ ربيع الأول ٢٦٠ هـ. وكانت أولى مهام الإمام المهديّ الذي كان لا يزال صبياً في الخامسة من عمره، الصلاة على أبيه، فمن المعلوم في تراث النبوّة والإمامة أنّ النبيّ والإمام لا يصلّي عليهما إلا نبيّ أو إمام وصيّ.

صلى الإمام على أبيه، عليه السلام، في داره قبل إخراج جثمانه الطاهر، حيث برجت السلطة العباسية صلاةً رسميةً عليه. وكانت تلك الصلاة إثباتاً أولياً لإمامته في وعي الشيعة الذين يعرفون هذا الأمر. وقد روى الشيخ الطوسي بسنده عن أحمد بن عبد الله الهاشمي - من ولد العباس - قال: «حضرت دار أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام بسر من رأى في يوم توفي وأخرجت جنازته ووضعت، ونحن تسعة وثلاثون رجلاً قعود نتظر، حتى خرج علينا غلام عشاري حاف، عليه رداء قد تقنّع به فلما أن خرج قمنا هيبة له من غير أن نعرف، فتقدم وقام الناس فاصطفوا خلفه، فصلّى عليه ومشى، فدخل بيتاً غير الذي خرج منه»<sup>[١]</sup>.

وروى الشيخ الصدوق الحادثة نفسها بتفصيلات أدق عن أبي الأديان البصري أحد ثقات الإمام الحسن العسكري عليه السلام، حيث قال: «كنت أخدم الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأوصل كتبه إلى الأمصار فدخلت عليه في علته التي توفي فيها عليه السلام، فكتب معي كتاباً وقال: «امض بها إلى المدائن فإنك ستغيب أربعة عشر يوماً وتدخل إلى سر من رأى يوم الخامس عشر وتسمع الواعية في داري وتجدي على المغتسل. قال أبو الأديان: فقلت يا سيدي، فإذا كان ذلك فمن؟ قال: من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم من بعدي، فقلت: زدني فقال: «من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي. ثم منعتني هيئته أن أسأله عمّا في الهميان (كيس يوضع فيه المال) وخرجت بالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها ودخلت سر من رأى يوم الخامس عشر كما قال لي، عليه السلام، وإذا أنا بالواعية في داره وإذا به على المغتسل وإذا بجعفر بن علي أخيه بباب الدار والشيعة من حوله يعزّونه ويهتّونه، فقلت في نفسي إن يكن هذا الإمام بطلت الإمامة لأنّي كنت أعرفه يشرب النبيذ ويقامر بالجوسق (قصر المقتدر العباسي) ويلعب بالطنبور، فتقدمت فعزيت وهنت فلم يسألني عن شيء ثم خرج عقيد (خادم الإمام العسكري) فقال: يا سيدي، قد كُفّن أخوك فقم فصل عليه.

فدخل جعفر بن علي والشيعة من حوله يقدمهم السمان والحسن بن علي قتيل

[١]- الطوسي، الغيبة، م. س، ص ١٥٥.

المعتصم المعروف بسلمه، فلما صرنا في الدار إذ نحن بالحسن بن عليّ عليه السلام على نعشه مكفناً، فتقدم جعفر بن عليّ ليصليّ على أخيه فلما همّ بالتكبير خرج صبيّ في وجهه سُمره، بشعره ققط بأسنانه تثليج، ف جذب برداء جعفر بن عليّ فقال: «تأخر يا عمّ، فأنا أحقّ بالصلاة على أبي»، فتأخر جعفر وقد اربد وجهه واصفرّ وتقدم الصبيّ، فصلى عليه ودفن إلى جانب قبر أبيه عليه السلام. ثمّ قال: «يا بصريّ، هات جوابات الكتب التي معك» فدفعتها إليه فقلت في نفسي هذه بيتان بقيّ الهميان، ثمّ خرجت إلى جعفر بن عليّ وهو يزفر فقال له: حاجز الوشاء يا سيدي، من الصبيّ لنقيم الحجّة عليه؟ فقال: والله ما رأيته قط ولا أعرفه فنحن جلوس إذ قدم نفر من قُوم فسألوا عن الحسن بن عليّ عليه السلام فعرّفوا موته فقالوا: فمن نعزيّ؟ فأشاروا إلى جعفر بن عليّ فسلموا عليه وعزّوه وهنّأوه وقالوا: معنا كتب ومال، فنقول ممّن الكتب؟ وكم المال؟ فقام ينفض أثوابه ويقول: تُريدون ممّا أن نعلم الغيب؟! قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منها مطلية فدفعوا إليه الكتب والمال وقالوا: الذي وجّه بك لأخذ ذلك هو الإمام.

فدخل جعفر بن عليّ على المعتد وكشف ذلك، فوجّه المعتد بخدمه فقبضوا على صقيل الجارية، فطالبوها بالصبيّ فأنكرت، وادّعت أن بها جبلاً لتغطي على حال الصبيّ (أي الإمام)، فسلمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي، وبغتهم موت عبيد الله بن خاقان فجأةً وخروج صاحب الزنج بالبصرة، فشغلوا بذلك عن الجارية، فخرجت من أيديهم والحمد لله رب العالمين<sup>[١]</sup>.

أثبت الإمام المهديّ عليه السلام، بصلاته على أبيه شيئين: الأوّل، هو شخصيته عندما خاطب عمّه جعفر بكلمة يا عمّ. والثاني، أنّه هو الإمام بعد أبيه؛ لأنّ الإمام لا يصليّ عليه إلّا إمام. أمّا تحديده كمّية المال والأشخاص الذين أرسلوا الكتب، من خلال الخادم، فهما دليلان إضافيان على إمامته.

وبوفاة العسكري عليه السلام، يوم ٨ ربيع الأول ٢٦٠هـ، تولى الإمام المهديّ الإمامة وبدأ

[١]- الصدوق، إكمال الدين، م. س، ص ٤٧٥-٤٧٦.

عصر الغيبة الصغرى الذي انتهى في ١٥ شعبان ٣٢٩ هـ، مع وفاة أبي الحسن علي بن محمد السمري، رابع سفراء الإمام المهدي وأخراهم.

تعني الغيبة الصغرى غياب الإمام المهدي عن الأنظار مدّة وصلت إلى قرابة سبعين سنة، كان يتواصل فيها مع شيعته من خلال وكلاء خاصين سُموا بالسفراء، وعددهم أربعة؛ وهم: عثمان بن سعيد العمري، من بداية الغيبة الصغرى سنة ٢٦٠ هـ إلى وفاته سنة ٢٦٥ هـ. ومحمد بن عثمان العمري، من حين وفاة أبيه سنة ٢٦٥ هـ إلى وفاته سنة ٣٠٥ هـ، أي أنّ سفارته للمهدي استمرت ٤٠ سنة. والحسين بن روح النوبختي، من سنة ٣٠٥ هـ إلى وفاته سنة ٣٢٦ هـ. وعلي بن محمد السمري، من سنة ٣٢٦ هـ إلى وفاته سنة ٣٢٩ هـ، وبوفاته انتهت الغيبة الصغرى.

فقبل ستة أيام من وفاة السفير الرابع، أخرج السمري توقيعا من الإمام المهدي، عجل الله فرجه، يُعلن فيه انتهاء الغيبة الصغرى وبداية الغيبة الكبرى، ونصّ التوقيع هو: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيام، فأجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بإذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلب وامتلاء الأرض جورا، وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناتي والصيحة، فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»<sup>[١]</sup>.

وكان هذا التوقيع الأخير إعلانا عن تحقيق الأهداف المرجوة من الغيبة الصغرى، بما هي تمهيد للغيبة الكبرى، التي بدأت سنة ٣٢٩ هـ وتتواصل إلى حين ظهور الإمام المهدي وخروجه إلى العلن وقيادته لحركة تغيير شاملة على مستوى العالم كله. وقد أثبت الإمام أثناءها وجوده وإمامته بشكل مباشر من خلال حضوره بنفسه أمام بعض المؤمنين أو بشكل غير مباشر من خلال السفراء.

وحذّر التوقيع من ظهور مدّعين للبايئة والمشاهدة، وأكدت أنّه لا إمكانية لمشاهدة

[١]- الطوسي، الغيبة، م. س، ص ٤١٦.

الإمام في غيبته التامة، وكلّ من يدّعي ذلك قبل الصيحة وخروج السفينائيّ فهو كاذب ومفتّر. وبذلك قطع الإمام الطريق أمام كلّ المدّعين للوكالة والنيابة والبايئة.

امتدّت إمامة الإمام الحسن العسكريّ من سنة ٢٥٤ هـ بعد شهادة أبيه الإمام الهادي عليه السلام إلى سنة شهادته في ٢٦٠ هـ، وخلال هذه المدة كان تحت الإقامة الجبرية مراقباً من العيون والجواسيس، واضطر للتواصل مع شيعة من خلال وكلاء، حيث كان الناس يُمنعون من التواصل المباشر معه<sup>[١]</sup>.

وكما أخفى الإمام العسكريّ ولادة ابنه، أخفى أيضاً الإشارة إلى إمامته، فلم يعلم بذلك سوى بعض المقرّبين منه، تقول روايات إنّ عددهم أربعون رجلاً<sup>[٢]</sup>، حتى لا يتعرّض للاعتقال والقتل. فقد كان المعتمد العبّاسيّ يبحث عنه<sup>[٣]</sup>.

ويحاول بعضٌ تسخيف عقيدة الغيبة بالقول إنّ الشيعة يعتقدون أنّ المهديّ غاب في سرداب وسيخرج منه آخر الزمان، وإنّ هذا السرداب يُعرف بسرداب الغيبة ويوجد في سامراء عند قبر أبيه الحسن العسكريّ.

وهذه ليست إلاّ كلمات تائهة، وربما حاقدة، يطلقها أصحابها. إنّ السرداب بشكل عام هو مكان كان يحفره الناس تحت بيوتهم ليقبهم حرّ الصيف وبرد الشتاء. وكان منزل الهادي وابنه العسكريّ فيه سرداب من هذا القبيل. ويسمّيه الشيعة سرداب الغيبة؛ لأنّ المهديّ عليه السلام، دخل فيه بعد وفاة والده وغاب عن الأنظار ولم يعد يتّصل به أحد من شيعة غير السفراء الأربعة الذين جعلهم وكلاء له يبلغون شيعة توقيعاته. غاب الإمام في ذلك المكان، ولكنّه لم يلبث فيه، بل خرج إلى أرض الله الواسعة. فهو، مثلاً، يحضر الحجّ كلّ عام، ويمشي في الأسواق، ولكن لا أحد يعرفه بشخصه. فالغياب هو غياب هويّة الإمام، وليس بالضرورة غياب شخصه. أي أنّنا ربما رأيناه في أماكن متعدّدة ولكننا لم نعرف أنّه هو في شخصه.

[١]- الكلينيّ، محمّد بن يعقوب، الكافي، ج ١، ص ٣٢٨.

[٢]- الصدوق، كتاب كمال الدين وتمام النعمة، م. س، ص ٤٣٥.

[٣]- م. ن، ج ١، ص ٣٣٠-٣٣٣؛ الشيخ المفيد، كتاب الإرشاد، م. س، ص ٣٩٠.

كانت السلطة العبّاسيّة تعرف أنّ المهديّ هو التاسع من ولد الحسين بن عليّ، بناء على أحاديث نبويّة وروايات عن الأئمّة عليهم السلام. وكانت تخشى نهاية الدولة على يديه<sup>[١]</sup>. ومن المتوقع أنّ تتحسّب لذلك بقوة وتحاصر أباه العسكريّ الذي لجأ إلى نظام الوكلاء، وهو شيء فعله قبل ذلك، مثلاً، الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي كان يرسل بعض أصحابه إلى بلاد بعيدة.

#### ٤. أسباب الغيبة وحكمتها

توجد أسباب للغيبة، ولكن توجد أيضاً حكم. فالأسباب هي أشياء تتعلّق بالواقع الدينيّ والسياسيّ أنتج الغيبة؛ أمّا الحكم، فهي أهداف تريد الغيبة تحقيقها، وأهمّها غرلة الشيعة، وإعطاء الفرصة لكلّ الأديان والمذاهب والإيديولوجيّات حتّى تثبت فشلها.

كانت الغيبة الصغرى مقدّمة ضروريّة لتثبيت حقيقة وجود الإمام المهديّ وإمامته في الأذهان، حيث إنّ الغياب الكلّيّ المفاجئ كان سيرك حيرةً وشكاً عميقين في وجوده من الأساس. لكن التواصل مع قاعدته الشعبيّة وأنصاره من خلال وكلاء ألغى تلك الشكوك، وثبتّ الإيمان بوجوده وإمامته في أذهان شيعته.

طُرِحَ باستمرار سؤال حول فلسفة الغيبة في حدّ ذاتها. وقد أجاب المعصومون عليهم السلام، عن ذلك السؤال في جوانب معيّنة، أي دون الكشف عن الأسباب بكاملها وبكلّ تفاصيلها، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله، لجابر بن عبد الله: «يا جابر إنّ هذا الأمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله مطويّ عن عباده»<sup>[٢]</sup>.

وفي حديث طويل للإمام الصادق عليه السلام، قال: «... وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره. إنّ وجه الحكمة في ذلك لا

[١]- توجد روايات تؤكّد أنّ لبني العبّاس دولة ثانية في آخر الزمان وهي التي تسقط على يد الإمام عليه السلام. غير أنّ هذا الأمر لم يكن واضحاً لدى العبّاسيين آنذاك، وربما لم يكن واضحاً لدى الشيعة أيضاً. فعن الإمام الكاظم: «ملك بني العبّاس مكر وخداع، يذهب حتّى يقال: لم يبق منه شيء، ثمّ يتجدّد حتّى يُقال: ما مرّ به شيء». النعمانيّ، الغيبة، م. س، ج ١، ص ٣١٢. وفي رواية «عن الحسن بن الجهم، قال: قلت للرضا عليه السلام: أصلحك الله، إنهم يتحدثون أنّ السفينانيّ يقوم وقد ذهب سلطان بني العبّاس. فقال: كذبوا إنّه ليقوم وإنّ سلطانهم لقائم». م. ن، ص ٣١٣.

[٢]- المجلسي، بحار الأنوار، م. س، ج ٥١، ص ٧٣.

ينكشف إلا بعد ظهوره كما لم تنكشف الحكمة فيما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلى وقت افتراقهما»<sup>[١]</sup>.

تحيل الأسباب الظاهرة للغيبة إلى ظلم الناس؛ أي أنّ الناس بلغ بهم الظلم والفساد مستوى أنتج عماهم عن رؤية الإمام، وهو قول الإمام عليّ: «واعلموا أنّ الأرض لا تخلو من حجة الله عزّ وجلّ، ولكنّ الله سيعمي خلقه عنها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم»<sup>[٢]</sup>.

وهناك أسباب أخرى تتعلق بتحرّر الإمام من أيّ التزامات سياسية تجاه أيّ حاكم، فيكون حرّاً في الخروج على أيّ نظام حكم قائم بالطريقة التي يختارها هو. وهذا الأمر مرتبط بأحكام الدين التي تمنع من نقض العهود. يدلّ على ذلك توقعات الإمام، عجل الله تعالى فرجه، ومنه ما ورد عن إسحاق بن يعقوب بواسطة محمد بن عثمان العمريّ، وجاء فيه: «وأما علّة ما وقع من الغيبة فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تُبَدَّ لَكُمْ فَسُؤْكُمْ﴾ (المائدة: ١٠١)، إنّه لم يكن لأحد من آبائي إلا وقد وضعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي»<sup>[٣]</sup>.

أمّا الحكم، فقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى جانب معيّن منها يتعلّق بالتمحيص والغربة والتمييز، فقال: «أما والله لأقتلنّ أنا وابنائي هذان، وليبعثنّ الله رجلاً من ولدي في آخر الزمان يطالب بدمائنا، وليغيبنّ عنهم تمييزاً لأهل الضلالة، حتّى يقول الجاهل: ما لله في آل محمّد من حاجة»<sup>[٤]</sup>. وهو ما أكده الإمام الصادق في قوله: «وهو المنتظر غير أنّ الله عزّ وجلّ يحبّ أن يمتحن الشيعة»<sup>[٥]</sup>. وكذلك الإمام الكاظم عليه السلام في قوله: «يا بنيّ إنّه لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة حتّى يرجع عن هذا الأمر من كان

[١]- الصدوق، كمال الدين، م. س، ج ٢، ص ٤٨٢.

[٢]- النعماني، الغيبة، م. س، ج ١، ص ١٤٢.

[٣]- الطبرسي، الاحتجاج، م. س، ج ٢، ص ٤٧١.

[٤]- المجلسي، بحار الأنوار، م. س، ج ٥١، ص ١٣٣.

[٥]- الكليني، الكافي، م. س، ج ١، ص ٣٣٧.

يقول به، إنّها هي محنة من الله عزّ وجلّ امتحن بها خلقه»<sup>[١]</sup>.

والغيبة الكبرى من ناحية أخرى إعلان عن إفساح المجال لكل الأديان والمذاهب والإيديولوجيات لتؤكّد اعوجاجها وعورها عملياً. وهو ما حدث فعلياً مع كلّ التجارب المذهبية والوضعية عندما برهنت جميعها على فشلها في تحقيق العدالة والحرية والكرامة لجميع الناس وتسببت في نشر الجهل والوثنية والإحاد والفقر والمرض والفساد.. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلّا وقد ولّوا على الناس حتى لا يقول قائل إنّنا لو ولّينا لعدلنا، ثمّ يقوم القائم بالحقّ والعدل»<sup>[٢]</sup>.

عنت ولادة الإمام المهديّ أنّ فكرة الخلاص وانتصار الحقّ أصبحت مسألة وقت لا غير. وإذا أمكننا الحديث عن أربعة مراحل في عمر الرسالة؛ هي تثبيت الدين وفتنة الأمة وتمحيص المؤمنين واستخلاف الأئمة، فإنّه من الممكن القول إنّ غيبة الإمام كانت نقطة انطلاق لمرحلة التمحيص التي تستهدف الشيعة بشكل خاصّ، قبل الدخول في مرحلة الخلافة. تمّ تثبيت الرسالة على مستوى العالم ولم يعد هناك خطر على وجودها، وعاشت الأمة فتنة هائلة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، كشفت المنافقين. لكن عمليّات الاختبار والتمحيص والغربة مستمرة إلى أن تبدأ مرحلة بناء الدولة العالمية العادلة.. والإمام ينتظر اللحظة التي تنتهي فيها تلك العمليّات ليطمئنّ المؤمن عن غيره. ومن خلال المجموعة المؤمنة المتميّزة، يمكن البدء في مباشرة «الفتح الثاني» وبناء «دولة العدالة الفاتحة».

## ثانياً: الوضع السياسي في الغيبة الصغرى وأدوار الإمام خلالها

### ١. الوضع السياسي زمن الغيبة الصغرى

وُلد الإمام المهديّ، عليه السلام، في نهاية حكم المهديّ العبّاسيّ الذي توفّي سنة ٢٥٦ هـ الموافق لـ ٨٧٠ م. وهو الخليفة العبّاسيّ الرابع عشر. وعاصر الإمام في الغيبة الصغرى التي استمرّت سبعين عاماً، سبعة خلفاء عبّاسيين، من الخليفة الرابع عشر وحتى

[١]- الطوسي، الغيبة، م. س، ص ٢٠٤.

[٢]- النعماني، الغيبة، م. س، ج ١، ص ٢٨٠.

العشرين. وكان الوضع خلالها مختلفاً، في مركز الحكم العباسي عما سبقه؛ فقد جاء المهتدي إلى الحكم بعد عزل المعتز، وكان يتظاهر بالزهد والعبادة ويدّعي إحياء سيرة عمر بن عبد العزيز في محاولة لرفع السيرة الماجنة للحكام العباسيين السابقين. كان الأتراك في فترة حكمه القصيرة يملكون سطوة كبيرة داخل الدولة، فأراد ضرب بعضهم ببعض لإضعافهم وتشيتتهم، لكنهم انتبهوا إلى خطته، فقتلوه بعد أن أُسر في معركة بينهم وبين أعوانه من المغاربة والفراغنة والأشروسنية. عذّبوه ثم تحلّصوا منه قبل أن ينهي سنة من الحكم.

وبعد مقتل «المهتدي» جاء المعتمد بالله العباسي، وهو أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون، فحكم قرابة ثلاث وعشرين سنة (٢٥٦هـ - ٢٨٤هـ / ٨٧٠-٨٩٢م). أراد المعتمد نقل عاصمة الخلافة إلى مصر لكن أخاه «الموفق» منعه. وسمي عهده بعهد الصحوة العباسية، فقد نجح «الموفق» -الذي كان ولياً للعهد وصاحب الأمر والنهي وتعيين الوزراء والأمراء وقيادة الجيش - في القضاء على نفوذ الأتراك وقمع ثورة الزنج التي استمرت ١٤ عشر سنة.

وعندما جاء «المعتضد» بن «الموفق» إلى الخلافة بعد عمه، كانت الدولة العباسية أكثر استقراراً في الداخل. فقد اعتمد الإرهاب والبطش وسيلة للحكم وكان الأمر في عهده حاداً والسيف يقطر دمًا، كما وصفه الشيخ الطوسي<sup>[١]</sup>.

وكان لظهور القرامطة وتمردهم عام ٢٧٧هـ الأثر السلبي الكبير على الشيعة، فقد استخدمهم العباسيون ذريعة لممارسة الاضطهاد ضدّهم بدعوى انتساب القرامطة إليهم. وبسبب الاضطهاد انفجرت ثورة صاحب الزنج، سنة ٢٥٥ للهجرة في البصرة، وقد كان يُعرّف عن نفسه بوصفه من أحفاد زيد بن علي. وكانت هناك ثورة علي بن زيد العلوي في الكوفة سنة ٢٥٦ للهجرة، وقد تمكّن من إشغال الجيش الكبير للخليفة بنفسه. لكن هذه الثورات لم تحقّق شيئاً من أهدافها.

والفرقة التي حققت هدفها في تأسيس دولة والاستقلال كلياً عن الدولة العباسية هي

[١]- الطوسي، الغيبة، م. س، ص ١٧٩.

الإسماعيلية التي ظهرت في منتصف القرن الهجري الثاني بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام. وهذه الفرقة هي امتداد لفرقة الخطابية التي انتهت بعد مقتل مؤسسها أبو الخطاب في الكوفة.

وقد انقسم الإسماعيليون على أنفسهم، بعد ظهورهم، لكن فرقة واحدة استمرت في إطار ما سمّوه بالأئمة المستورين الذين عزلوا أنفسهم عن بقية الشيعة ونقلوا مسرح أنشطتهم بالكامل إلى جغرافيا أخرى إلى أن تمكنوا من تأسيس دولتهم في القيروان ثم المهديّة. وكان ذلك في زمن الدولة الأغلبية في إفريقية التي انفصلت عن الدولة العباسية سنة ١٨٤ هـ، وامتدّت إلى أغلب مناطق المغرب وجنوب إيطاليا ومالطا إلى أن دبّ الضعف في داخلها وقضى عليها الفاطميون عام ٢٩٦ هـ - ٩٠٩ م، وهرب آخر ملوكهم زيادة الله الثالث إلى الشام.

وتعتقد الإسماعيلية أن الإمامة بعد الإمام جعفر الصادق عليه السلام انتقلت إلى ابنه إسماعيل الذي توفي قبل أبيه وليس إلى الإمام الكاظم عليه السلام، الذي صار فعلياً هو الإمام بعد رحيل الصادق. وبعد إسماعيل نصبوا ابنه محمد وإليه ينتسب عبيد الله بن حسين المعروف بـ «عبيد الله المهدي». ولأنّ عبيد الله لم يستطع البرهنة على أنّه هو المهديّ الموصوف في أحاديث النبي وأئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد قال الإسماعيليون بوجود سلسلة من المهديين وأنّ الأرض لا تملأ عدلاً وقسطاً بمهديّ واحد.

وبذلك تفكّكت دولة العباسيين، وانقسم العالم الإسلامي في عصر الغيبة الصغرى إلى ثلاث دول تدعي الخلافة، وقيادة الناس. وهي الدولة العباسية في بغداد، والدولة الأموية في قرطبة، والدولة الفاطمية في المهديّة التي بناها الفاطميون لتكون عاصمة لدولتهم قبل أن ينقل المعزّ الفاطميّ العاصمة إلى مصر بعد أكثر من ستين سنة من تأسيسها، حيث تمّ بناء مدينة القاهرة على يد جوهر الصقليّ قائد جيشه.

## ٢. أدوار الإمام عليه السلام في غيبته الصغرى

كان لا بدّ للإمام من التواصل مع شيعته عبر وكلاء، لتأدية دورهم في الإرشاد والتنوير والتصحيح، حيث لم يكن الاتصال المباشر ممكناً. وكانت هناك مهمّة اختيار الوكلاء بدقة لتأدية المهمة بشكل صحيح ودون محاذير.

استخدم الأئمة السابقون (عليهم السلام)، نظام الوكلاء وكان لهم نواب عديدون. وقد تضاعف عددهم زمن الإمام العسكري، (عليه السلام)، بعد أن فرضت عليه عملياً الإقامة الجبرية. لكن الإمام المهدي، (عليه السلام)، سيقصر على وكيل واحد كلما توفي خلفه، وكانت شروط الوكالة لا تتعلق بالإيمان والتقوى فقط، بل بأمور أخرى شديدة الأهمية أيضاً:

منها، الفهم والدراية والعقلانية أكثر من الآخرين. وقد نقل الشيخ الطوسي في كتابه «الغيبة» ما يدل على دراية نواب الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف<sup>[١]</sup>.

ومنها التزام الحذر وممارسة التقية. فقد كانت عيون السلطة مفتوحة من خلال جواسيسها ولم تتوقف عن البحث عن الإمام وتتبع أخباره ومحاوله القبض عليه. ورغم أنه كان من المستبعد أن تتمكن السلطة من العثور على الإمام إلا أن المخاطر كانت تتعلق بشخص الوكيل نفسه وعموم الشيعة، حيث إن انكشاف وجود وكيل للإمام سيعرضه للاعتقال والتعذيب كما سيعرض كل من يتعامل معه لمعاملة شبيهة.

وقد تجلّى ذلك في سلوك الحسين بن روح على نحو بدا فيه أن زعماء المذاهب الأخرى كانوا ينسبونه إليهم. وقد بلغ به الأمر في لزوم التقية أن بواباً له كان قد لعن معاوية وشتمه، فأمر بطرده وصرفه من خدمته<sup>[٢]</sup>، وكان يُظهر في كلامه مدحاً لبعض الخلفاء الأوائل. بينما كان السفير الأول، قبل ذلك، عثمان بن سعيد يتجنب موظفي السلطة العباسية ويرفض الدخول معهم في أي نقاش ديني أو سياسي.

ومن تلك الشروط، القدرة على التحمل والصبر لو تعرّض السفير للاعتقال والتعذيب، بحيث لا يفشي شيئاً من الأسرار التي معه، ولا يعترف على نفسه أو أحد غيره بشيء. وهذا ما احتمله أبو سهل النوبختي حين سئل: كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فقال: «هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجّة على مكانه، لعلّي كنت أدل على مكانه، وأبو القاسم فلو كانت الحجّة تحت ذيله، وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه»<sup>[٣]</sup>.

[١]- الطوسي، الغيبة، م. س، ص ٢٣٦.

[٢]- م. ن، ص ٢٣٧.

[٣]- م. ن، ص ٢٤٠.

ومع ذلك، كان الإمام يختار نوابه من بين الذين لا يشتبه بهم الحكم العباسي، لإبعاد أي احتمال لتعرضهم للاعتقال. فمثلاً: كان «أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري» الملقب بالزيات أو السمان يدير أمور الوكالة تحت غطاء بيع السمن، ولم يخطر على بال السلطة العباسية أنه سفير للإمام، وكان السفير الثاني «أبو جعفر محمد بن عثمان» بائعاً للسمن والزيت، مثل أبيه، بينما كان السفير الثالث من آل نوبخت الذين يتمتعون بنفوذ في البلاط، الأمر الذي يسر له إدارة أمور الوكالة دون أن يثير أي شكوك حول علاقته بالإمام سلام الله عليه.

### ٣. وساطة النواب الأربعة

كان السفراء يارسون دور الوكيل في استلام الأموال والوسيط في إيصال رسائل الإمام وتوقيعاته، التي كانت مكتوبة أحياناً وشفهية أحياناً أخرى، إلى من يهّم الأمر. وكانوا بدورهم يستعملون وكلاء، ولم يقتصروا على الاتصال المباشر، بل استخدموا أسلوبين في التواصل مع القاعدة الشيعية؛ الأسلوب المباشر الذي لم يبدأ إلا مع السفير الثاني؛ لأنّ النيابة الخاصة كانت تحتاج إلى السرية المطلقة في البداية، ولم يعلم الشيعة باسم السفير إلا من خلال الوكلاء والخواص، وهو ما سمح لهم بالتواصل المباشر مع السفير الثاني بعد ذلك.

والأسلوب الهرمي في التواصل، يبدأ بالإمام ويمرّ عبر السفراء، ثمّ الوكلاء، وصولاً إلى القاعدة الشيعية. وهذا الأسلوب هو الذي كان معتمداً في بغداد قبل أن ينتقل إلى بقية المناطق، فكان لأبي جعفر محمد بن عثمان عشرة وكلاء في بغداد.

وقد أشار الشيخ الطوسي إلى هؤلاء الوكلاء، فقال: «كان في زمان السفراء المحمودين أقوام ثقات، ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل»<sup>[١]</sup>. وذكر أسماء بعضهم، ومنهم: محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي الذي عينه الإمام وكيلاً عنه محلّ أبيه، وكتب إليه: «قد أقمنك مقام أبيك»<sup>[٢]</sup>. وأبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي الكوفي الرازي، وأبو عبد الله ابن هارون بن عمران

[١]- الطوسي، الغيبة، م. س، ص ٢٥٧.

[٢]- م. ن، ص ٣٠٥.

الهمدانيّ، وأبو إسحاق محمّد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازيّ وغيرهم.

والاتصال غير المباشر عبر وكلاء كان هو القاعدة في عملهم؛ لأنّ السفير لم يكن قادرًا على إعلان نشاطه في مثل تلك الأجواء القمعيّة التي فرضها الحاكم العبّاسيّ. وبذلك مثل الوكلاء حلقة وصل في استقبال أسئلتهم واستفساراتهم ثم تسليمها لهم بعد تلقيّ الإجابة.

#### ٤. التواصل المباشر مع الشيعة

نجد في المصادر الروائيّة الموثوقة الكثير من الروايات التي تتحدّث عن لقاء بعض الشيعة بالإمام المهديّ، عليه السلام، في غيبته الصغرى. وقد نقل الشيخ الصدوق عن محمّد بن أبي عبد الله سرّدًا للقاءات عدّة مع مؤمنين من مناطق متعدّدة من العالم الإسلاميّ، فذكر ٦٨ شخصًا، وأوصل الميرزا النوري العدد إلى ٣٠٤ أشخاص، استنادًا إلى الروايات الواردة في المصادر المعتمدة، وفيها المرويّة بأسانيد صحيحة، ومعظمهم التقوه في الغيبة الصغرى وبعضهم في حياة أبيه عليه السلام، وهذه الروايات تخصّ الذين رأوه وعرفوه وليس الذين لم يعرفوه.

ويُفهم من هذه الروايات أنّ الإمام، عليه السلام، كان يلتقي بالمؤمنين في أحيان كثيرة، وكان يُظهر بعض الكرامات التي تدلّ عليه، بحيث يطمئنّ المومنون إلى أنّه هو الإمام، وهذا ما أكّده لعيسى الجوهريّ الذي التقاه سنة ٢٦٨ هـ في صابر قرب المدينة المنورة، حيث قال له في نهاية اللقاء وبعد ما أراه من الدلائل ما جعله على يقين من هويّته عليه السلام:

«يا عيسى، ما كان لك أن تراني لولا المكذّبون القائلون بأين هو؟ ومتى كان؟ وأين ولد؟ ومن رآه؟ وما الذي خرج إليكم منه؟ وبأيّ شيء نبأكم؟ وأيّ معجز أتاكم؟ أما والله لقد دفعوا أمير المؤمنين مع ما رووه وقدموا عليه، وكادوه وقتلوه، وكذلك آبائي عليهم السّلام ولم يصدّقوهم ونسبوهم إلى السحر وخدمة الجنّ إلى ما تبين. يا عيسى، فخبّر أوليائنا ما رأيت، وإياك أن تخبر عدوّنا فتسلبه. فقلت: يا مولاي، ادع لي بالثبات، فقال: لو لم يثبّتك الله ما رأيتني، وامض بنجحك راشدًا. فخرجت أكثر حمدًا لله وشكرًا».

ولم تكن تلك اللقاءات من أجل تأكيد وجود الإمام وإثبات إمامته فحسب، بل كانت أيضًا من أجل تقديم الأجوبة المناسبة عن الأسئلة المطروحة وقضاء شؤون المؤمنين والدعاء لهم. وإمكانية الرؤية للمؤمنين زمن الغيبة الصغرى جعل بعضهم يجهد نفسه للفوز بلقاء الإمام وهو ما رواه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة فقال:

«روى محمد بن يعقوب رفعه عن الزهري قال: «طلبت هذا الأمر طلبًا شاقًا حتى ذهب لي فيه مال صالح فوَقعت إلى العمري وخدمته ولزمته وسألته بعد ذلك عن صاحب الزمان، فقال لي: ليس إلى ذلك وصول فخضعت، فقال لي: بكر بالغداة، فوافيت واستقبلني ومعه شاب من أحسن الناس وجهًا، وأطيبهم رائحة بهيئة التجار، وفي كفه شيء كهيئة التجار، فلما نظرت إليه دنوت من العمري فأومأ إليّ فعدلت إليه وسألته فأجابني عن كل ما أردت ثم مرَّ لي دخل الدار، وكانت من الدور التي لا نكترث لها، فقال العمري: إذا أردت أن تسأل سل فإنك لا تراه بعد ذا، فذهبت لأسأل فلم يسمع ودخل الدار، وما كلمني بأكثر من أن قال: ملعون ملعون من آخر العشاء إلى أن تشبك النجوم، ملعون ملعون من آخر الغداة إلى أن تنقضي النجوم ودخل الدار»<sup>[١]</sup>.

## ٥. وظيفة السفير

كان السفراء يتصدون لمهام عدّة من خلال مواقعهم، وكانت تلك المهام والأدوار ضرورية وتحتاج أشخاصًا تتوافر فيهم صفات استثنائية. ومن تلك الأدوار:

**الأول:** إثبات وجود الإمام، عجل الله تعالى فرجه، وتجاوز حالة الشكّ والحيرة في ذلك. فقد كان هناك شكّ وتخبّط كبير بين الشيعة بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام وادعاء أخيه جعفر الإمامة.

**الثاني:** الحفاظ على سلامة الإمام من خلال إخفاء اسمه ومكانه. فهم يعلمون أنّ الإمام الأخير مطلوب بشدّة للحاكم العبّاسي الذي كان يعلم ما أثير عن النبي والأئمة عليهم السلام، بشأنه.

**الثالث:** الإجابة عن الأسئلة العقيدية والفقهية. وكان مضمون تلك الأجوبة طريقة

[١]- الطوسي، الغيبة، ص ٢٩٤.

لإثبات وجود الإمام وأنه هو المهدي الحقيقي الذي بشر به النبي، خاصة بعد أن أصبح بعض الأشخاص يدعون المهديّة.

**الرابع:** تسلّم الأموال الشرعيّة باسم صاحب الزمان وتوزيعها على مستحقّيها. وهنا لم يهمل الإمام مسألة حماية الوكلاء المرتبطين بسفيره، فكان يحذّر من عمليّات الاندساس التي كان ينفّذها الحاكم العبّاسيّ لكشفهم واعتقالهم، فمثلاً يروي الكلينيّ في الكافي عن الحسين بن الحسن العلويّ قال: «كان رجل من ندماء روز حسني وآخر معه فقال له: هو ذا يجبي الأموال وله وكلاء وسمّوا جميع الوكلاء في النواحي وأنبى ذلك إلى عبيد الله بن سليمان الوزير، فهمّ الوزير بالقبض عليهم، فقال السلطان: أطلبوا أين هذا الرجل؟ فإنّ هذا أمر غليظ، فقال عبيد الله ابن سليمان: نقبض على الوكلاء، فقال السلطان: لا، ولكن دسّوا لهم قوماً لا يعرفون بالأموال، فمن قبض منهم شيئاً قبض عليه. قال: فخرج بأن يتقدّم إلى جميع الوكلاء أن لا يأخذوا من أحد شيئاً وأن يمتنعوا من ذلك ويتجاهلوا الأمر، فاندسّ لمحمّد بن أحمد رجل لا يعرفه وخلا به فقال: معي مال أريد أن أوصله، فقال له محمّد: غلظت أنا لا أعرف من هذا شيئاً، فلم يزل يتلفّفه ومحمّد يتجاهل عليه وبثّوا الجواسيس وامتنع الوكلاء كلّهم لما كان تقدّم إليهم»<sup>[١]</sup>.

بل إنّ جهود الإمام لم تقتصر على الوكلاء، فشملت كافة الشيعة من أجل دفع أذى السلطة العبّاسيّة عنهم، ومن ذلك ما رواه الكلينيّ في الكافي: عن عليّ بن محمّد قال: «خرج نهي عن زيارة مقابر قريش والحيرة، فلمّا كان بعد أشهر دعا الوزير الباقرائيّ، فقال له: التّ بنو الفرات والبرسيين وقل لهم: لا يزوروا مقابر قريش فقد أمر الخليفة أن يتفقّد كلّ من زار فيقبض عليه»<sup>[٢]</sup>.

**الخامس:** مواجهة الغلاة ومدّعي الوكالة والنيابة كذباً، وفضح الوكلاء الذين خانوا الأمانة ولم يؤدّوا ما عليهم. فقد ادّعى بعضهم البايّة والنيابة عن الإمام، ووجد من الناس من يصدّقه قبل أن يفتضح أمره. ومن المدّعين للوكالة: أبو جعفر محمّد بن عليّ السلمغانيّ، عروة بن يحيى، هشام بن إبراهيم العبّاسيّ الهمدانيّ.. ومن المدّعين للنيابة

[١]- الكلينيّ، الكافي، م. س، ص ٥٢٥.

[٢]- م. ن، ص ٥٢٥.

زورًا: أبو عبد الله أحمد بن محمد السياريّ، والحسن بن محمد بن بابا القمّيّ، أبو محمد الشريعيّ، محمد بن نصير النميريّ الفهريّ، الحسين بن منصور الحلّاج. وأغلب هؤلاء كانوا من الغلاة والصوفيّة.

أمّا المهمة الأخيرة: فكانت إعداد الناس لتقبّل الغيبة الكبرى. فبعد تثبيت وجود الإمام وتوفير ما يحتاجه الشيعة من علوم ومعارف بخصوص العقيدة والأحكام في مختلف الأبعاد والمجالات، من خلال الإحالة على رواة الحديث، وقعت الغيبة الكبرى لتبدأ عمليّات الغرلة والتمحيص الكبرى التي تنتهي بظهور الإمام.

وعلى هذا النحو، تمكّن الإمام، عجلّ الله تعالى فرجه، من تحقيق أهداف عدّة، فأثبت وجوده عندما صلّى على أبيه (عليه السلام)، وكانت تلك أولى خطواته للإعلان عن تثبيت إمامته رغم صغر سنّه. فالسنّ لا تأثير لها في مسألة النبوة والإمامة. وقد كان هناك في تاريخ النبوات أنبياء في مثل سنّه أو أقلّ كما هي حالة يحيى وعيسى (عليهما السلام). وفي تاريخ الأئمة كان هناك بعض الأئمة الذي تسلّموا مسؤوليّة الإمامة في سنّ مبكرة كما هي حالة الإمام الجواد (عليه السلام)، الذي كان عمره ستّ سنوات حين تسلّم الإمامة، والإمام الهادي (عليه السلام) الذي كان عمره ثماني سنوات حين أصبح إمامًا.

وتثبيت الإمامة يعني خروج الشيعة من التيه العقائديّ الذي يقضي بأنّ من يموت ولا إمام له يموت ميتة جاهليّة. فالإنسان مكلف والإمام هو المرجع الذي يجب على أسئلته الحائرة ويحدّد له تكليفه، عندما يكون هناك جهل وتنازع واختلاف. ومعرفة الإمام خطوة أساسيّة تنبني عليها خطوات كثيرة أخرى، أوّلها تثبيت مرجعيّته في الدين والسياسة وكلّ المسائل الأخرى. وقد تمكّن الإمام (عليه السلام) من ترسيخ ذلك من خلال اختيار سفراء له في غاية المعرفة والوعي والورع، وهو ما يُعطي مصداقيّة لأقوالهم واطمئنانًا لأمانتهم في نقل توقيعات الإمام. ولا شكّ أنّ الإمام (عليه السلام)، لم يكتفِ بالسفراء، بل ظهر مرّات عديدة لبعض شيعته، فعرفوه، وسألوه، وأجابتهم، وفهموا أنّه الإمام، وبدورهم نقلوا معابنتهم له إلى بقيّة الشيعة.

قام الأئمة السابقون بكلّ ما يلزم لتصحيح المعتقدات والأفكار وشرح معالم الدين

وأحكامه والحفاظ على تراث الوحي والنبوة، وسط كم هائل من الفرق والمذاهب المخترعة التي غزت الواقع الديني، وعندما جاء الإمام المهديّ ثبت تراث النبيّ والأئمة عليهم السلام، وتحدّث عن ضرورة التمسك بالروايات الصادقة والأخبار الصحيحة عن المعصومين.

وتلك الروايات التي باتت مدوّنة وموثّقة فيما عرف بالكتب الأربعة، يمكنها حلّ كلّ ما يثار من أسئلة لو أخذ بها المكلفون وعرفوا كيفية التعامل معها. وهو شيء لم يفت الأئمة بيانَه وتوضيحه، فقالوا مثلاً كيف نتأكد من صحّة الرواية؟ وكيف نفهمها؟ ومتى نعمل بها؟ وما هي الحالات الطارئة التي رُخص فيها للمؤمنين بترك بعضها، كما هي حالات التقيّة والضرورة مثلاً.

## ٦. الأدلة على الغيبة

رغم أنّ الإمام مهّد لغيبته الكبرى بغيبة صغرى، إلاّ أنّه كان يتواصل فيها مع خاصّته، إلاّ أنّ عددًا كبيرًا من الناس انتهوا إلى إنكار حياته ووجوده. فقال بعضهم إنّهُ ليس للإمام العسكريّ أولاد من الأساس، بينما قال آخرون إنّهُ يولد في آخر الزمان، فيما ادّعى آخرون أنّه مات، مستبعدين أن يعيش إنسان مئات السنين.

غير أنّ أخبار السفراء الأربعة والوكلاء والمعارضين والتوقعات الصادرة عن الإمام المهديّ عليه السلام، والروايات التي تنقل عن رآه في ولادته وعندما صلّى على أبيه الإمام العسكريّ، ووشاية عمّه جعفر به إلى الحاكم العباسيّ وهجوم جنود المعتمد على داره.. كلّ ذلك يدلّ على وقوع الغيبة الصغرى.

أمّا الغيبة الكبرى، التي مهّدت لها الغيبة الصغرى، والتي لا يمكن فصلها عنها، فتدلّ عليها الأخبار المتواترة عن النبيّ والأئمة عليهم السلام، وآخرها توقيع الإمام نفسه لآخر سفرائه عليّ بن محمّد السمرّيّ. كما تدلّ عليها أخبار التمحيص والانتظار وانحراف الناس وتكذيبهم لوجوده وغيبته والظهور في آخر الزمان وفضل المنتظرين له. فهذه كلّها أدلّة على غيبته النائمة والطويلة التي تنتهي بظهوره بعد وقوع أحداث هائلة، منها

حرب كبيرة يذهب فيها ثلثا الناس كما تدلّ على ذلك روايات كثيرة عند الخاصّة والعامة على السواء.

أخرج النعماني عن أبي عبد الله عليه السلام، في حديث، قال فيه: والله ليغيبن سبّاً من الدهر، وليخملنّ حتى يقال: مات أو هلك، بأيّ وادي سلك. ولتفيضن عليه أعين المؤمنين. ليكفأن كما تكفى السفينة في أمواج البحر، حتى لا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه، وكتب الإيمان في قلبه وأيده بروح منه..»<sup>[١]</sup>.

وأخرج أيضاً عن موسى بن جعفر عليه السلام، أنّه قال: «إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم، لا يزلنكم عنها. فإنّه لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة، حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به. إنّها هي محنة من الله يمتحن الله بها خلقه»<sup>[٢]</sup>.

وأخرج عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال لي: يا أبا الجارود، إذا دار الفلك، وقالوا: مات أو هلك وبأيّ واد سلك، وقال الطالب له: أنّى يكون ذلك، وقد بليت عظامه. فعند ذلك، فارتجوه»<sup>[٣]</sup>.

وأخرج الصدوق عن عبد الرحمن بن سليط قال: «قال الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام منّا اثنا عشر مهدياً أوّهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي، وهو الإمام القائم بالحقّ، يحيي الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحقّ على الدين كلّه ولو كره المشركون، له غيبة يرتدّ فيها أقوام ويثبت فيها على الدين آخرون، فيؤذون ويقال لهم: «متى هذا الوعد إن كنتم صادقين» أما إنّ الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول صلّى الله عليه وآله»<sup>[٤]</sup>.

وعن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «.. ثمّ تمتدّ الغيبة بولي الله الثاني عشر.. إنّ أهل زمان غيبته، القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره، أفضل من أهل كلّ زمان؛ لأنّ الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة

[١]- النعماني، الغيبة، م. س، ص ١٥١.

[٢]- م. ن، ص ١٥٤.

[٣]- الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، م. س، ج ١، ص ٣٥٤.

[٤]- الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٦٩.

المشاهدة. وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف»<sup>[١]</sup>.

### ثالثاً: احتجاجات الإمام المهدي عليه السلام العقيدية وآفاق علم الكلام بعد الغيبة الصغرى

#### ١. العقيدة عند الإمام المهدي

باتت العقيدة الأشعرية زمن الغيبة الصغرى متشكّلة، فقد ظهر منهج أهل الحديث في النصف الأول من القرن الثاني الهجري لمواجهة المنهج الاعتزالي، وكان أحمد بن حنبل أبرز الوجوه الذين تصدّوا للاعتزال.

وقام منهج أهل الحديث على التراث السلطاني الذي تشكّل زمن الحكّام القرشيين والأمويين الأوائل، بعد أن مُنِع تدوين الحديث أولاً، ثم وُضِع الكثير منه في عهد معاوية إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز وأمر بتدوين ذلك التراث الذي كان مختزلاً بالموضوعات والإسرائيليات التي غرست معتقدات التجسيم والجبر والإرجاء. ولأجل ذلك، كان من البديهي أن يُلغى العقل من عمليّات فهم الدين في أصوله وفروعه والاستسلام للروايات الموضوعية أو المبتورة غالباً، وتفسير كلّ شيء على أساسها دون أن يستثنى من ذلك القرآن نفسه. والأشاعرة هم ورثة أهل الحديث وهم من يدّعي أنّهم أهل السنة.

وفي المقابل، وقف المعتزلة منتصرين للمنهج العقليّ في فهم النصوص المأثورة. ولا شكّ في إفادة المعتزلة من تراث الإمام عليّ وأئمّة أهل البيت عليهم السلام وهذا ما منحهم هذا التوجّه، فقد أخذ واصل بن عطاء عن أبي هاشم وأبيه محمّد بن عليّ، وكان عمرو بن عبيد يحضر مجالس الإمام الصادق. وواصل وعمرو هما المؤسّسان للاعتزال. غير أنّ المعتزلة لم يأخذوا كلّ شيء عن أهل البيت؛ ولذلك دخلوا في مطبات كثيرة، مثل: التفويض، موقفهم من معجزات الأنبياء، رأيهم في الإمامة، الحكم على مرتكب الكبيرة بالخلود في النار، إنكارهم للشفاعة..

وقد حدثت صدامات كثيرة بين المذهبين أهل الحديث والحنبليّ بالذات، (والذي

[١]- الطبرسي، الاحتجاج، م، ج ٢، ص ٥٠.

سيتنصر له الأشعريّ فيما بعد)، والمعتزليّ في القرن الثاني للهجرة، وأمكن لكل فريق أن يحقق اختراقات داخل السلطة العبّاسيّة بحسب ميول الملك الذي كان يتولى الحكم. واستمر ذلك حتى النصف الأوّل من القرن الرابع مع ظهور أبي الحسن الأشعريّ، الذي كان يعتنق مذهب المعتزلة حتّى الأربعين من عمره، ثمّ خرج عليه وأسس منهجاً جديداً هو «المنهج الأشعريّ» الذي يستعيد أغلب مقولات أهل الحديث<sup>[١]</sup>. وقد وجد في المقتدر العبّاسيّ (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) أكبر داعم له على حساب الاعتزال، الذي بدأ منذ ذلك التاريخ في التراجع والضمور إلى أن انتهى من التداول فاتحاً المجال أمام الأشعريّة التي باتت تمثّل الطيف الأكبر من «أهل السنّة».

تشكّلت المعتقدات الأشعريّة بعد صيرورةٍ طويلةٍ مُنِع فيها تدوين الحديث بعد وفاة النبيّ ﷺ، على مدى قرن من الزمان، مما سمح بوضع الكثير من الأحاديث على لسان النبيّ. ثمّ تمّ الانتقال إلى تدوين تلك الأحاديث زمن عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ) الذي أمر بذلك بعد أن صار الحديث خليطاً بين الصحيح والموضوع والمتلاعب به والمبتور.. وفي عصر الغيبة الصغرى صنّفت كتب عديدة، منها أربعة كتب من أصل سنّة كتب يتبنّاها أهل السنّة، عُرفت فيما بعد بالصحاح السنّة، والأربعة هي: «سنن ابن ماجه، وسنن أبي داوود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي»، إضافة إلى المئات من كتب التاريخ والسيرة والتفسير مثل: فتوح البلدان، أنساب الأشراف، الأخبار الطوال، تاريخ يعقوبي، تاريخ الطبري، وتفسير الطبري...

ولا شكّ أنّ أئمة أهل البيت قاموا بكلّ ما يجب من أجل توضيح الحقائق الوجوديّة، وتركيز المعتقدات الصحيحة، ونشر الحديث النبويّ، وتفسير القرآن، وبيان الأحكام.. والإمام المهديّ ﷺ قام بتجذير ذلك كلّ من خلال التأكيد على تواصل خطّ الإمامة وعدم انقطاعه ودعوة المؤمنين خاصّة والناس عامّة إلى التمسك بما هو موروث من نصوص وسير عن النبيّ والأئمة المعصومين (عليهم السلام)؛ لأنّ ذلك هو ما يمثّل خط الإسلام.

لن تختلف كلمات الإمام المهديّ ﷺ، على ندرتها، عن مجمل التراث الذي تركه الأئمة

[١]- فهو يثبت مثلاً الرؤية البصريّة للذات الإلهيّة، وهو ما يعني، مباشرة، التجسيم لأنّ الرؤية البصريّة لا تكون إلاّ للأجسام الكثيفة. انظر: الأشعريّ، أبو الحسن، الإبانة، صص ١٢ - ١٣.

السابقون عليهم السلام في القضايا العقيدية المختلفة بما فيها أصول الدين، كما في القضايا الأخرى. فالتوحيد والنبوة والإمامة والمعاد كانت دائماً محورية في كلام المعصومين. ولعلّ التوحيد يمثل رأس تلك العناوين. فالإمام، كما النبي، ملتزم تماماً بتوضيح مفردات التوحيد للمؤمنين حتى يتحرّك إيمانهم في خطّ مستقيم بعيداً عن انحرافات الفرق المختلفة نحو معتقدات الحشوية في التجسيم والجبر والإرجاء، أو مقولات الغلاة والمتصوفة في قدم العالم، والفيض، والضرورة، والحلول، والتناسخ..

## ٢. التأكيد على الإمامة

من الطبيعي أن يكرّر الإمام عليه السلام التأكيد على مقام الإمامة؛ لأنه يمثل المرجعية الجامعة علمياً وسياسياً وروحياً، والتي لا يتسرّب إليها الشكّ لمعرفة قضايا التوحيد والنبوة والمعاد على وجهها الصحيح. ولولا وجود الأئمة لما كان لدينا كلّ هذا الوضوح في كلّ المسائل، وأولها مسألة التوحيد، بحيث لا نكاد نجد مثيلاً له في معتقدات الفرق الأخرى، حتى لو تعلّق الأمر بتلك التي أفادت، بشكلٍ ما، من تراث أهل البيت، مثل: المعتزلة، والخوارج، والزيدية.

يقول في مقام الأئمة عليهم السلام: «الذي يجب عليكم ولكم أن تقولوا إنا قدوة الله وأئمة وخلفاء الله في أرضه وأمنائه على خلقه، وحججه في بلاده، نعرف الحلال والحرام ونعرف تأويل الكتاب وفصل الخطاب»<sup>[١]</sup>.

فالإمام حاجة وحجة، أي أنّ الناس يحتاجونه لمعرفة أصول الدين، وأحكامه، وتفسير القرآن وتأويله، وهو بذلك يمثل حجة يحتجّ بها الله على خلقه عند الحساب. بل إنّ الواقع التاريخي يؤكّد الحاجة إلى قائد بمستوى علم الإمام وحكمته.. ولأنّ الإمام حجة على كافة الناس، فإنّ علومه لا تقتصر على مسائل الدين، بل تشمل معرفة كلّ المجالات الطبيعية والعلمية والتقنية بالقوّة والدقّة اللازمة<sup>[٢]</sup>، ومن ذلك

[١]- مؤسسة المعارف الإسلامية، معجم أحاديث الإمام المهديّ، ج٤، ص٤٦٧.

[٢]- تقول الرواية عن الصادق عليه السلام: «العلم سبعة وعشرون جزءاً، فجميع ما جاءت به الرسل جزءان، فلم يعرف الناس حتّى اليوم غير الجزئين، فإذا قام القائم أخرج الخمسة والعشرين جزءاً، فبقيها في الناس وضمّ إليها الجزئين، حتى يبقيها سبعة وعشرين جزءاً». معجم الإمام المهديّ، م. ن، ج٤، ص٥٤.

معرفة اللغات كلها وهو معنى معرفة فصل الخطاب.

وهذا الأمر تؤكده روايات كثيرة أخرى صادرة عن الأئمة عليهم السلام<sup>[١]</sup>. وغياب الإمام ليس إلا نتيجة منطقيّة لإعراض الناس عنه واستغراقهم في الانحراف والضلال. وهو شيء تكرر في التاريخ وليس جديدًا في مسار النبوة والوصاية، فقد روي عن الصادق عليه السلام: «بقي الناس بعد عيسى بن مريم عليه السلام خمسين ومائتي سنة بلا حجة ظاهرة»<sup>[٢]</sup>. ويوضح ذلك بقوله: «كان بين عيسى وبين محمد عليه السلام خمسمائة عام منها مائتان وخمسون عامًا ليس فيها نبي ولا عالم ظاهر، قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا متمسكين بدين عيسى عليه السلام، قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا مؤمنين، ثم قال عليه السلام: ولا يكون الأرض إلا وفيها عالم»<sup>[٣]</sup>.

ولذلك لا تخلو الأرض من حجة الله على الناس ظاهرة أو مستترة، وغياب الحجة سببه الناس أنفسهم. ويؤكد الإمام، عجل الله تعالى فرجه، ذلك في رسالة له إلى سفيريه العمري وابنه: «وَفَقَّكُمْ اللهُ لَطَاعَتِهِ، وَثَبَّتَكُمْ عَلَى دِينِهِ، وَأَسْعَدَكُمْ بِمَرْضَاتِهِ، انْتَهَى إِلَيْنَا مَا ذَكَرْتُمْ أَنَّ الْمِثْمِيَّ أَخْبَرَكُمْ عَنِ الْمُخْتَارِ وَمَنَاظِرَاتِهِ مِنْ لَقِي، وَاحْتِجَاجِهِ بِأَنَّهُ لَا خَلْفَ غَيْرَ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ وَتَصَدِيقِهِ إِيَّاهُ، وَفَهَمْتَ جَمِيعَ مَا كَتَبْتُمْ بِهِ مِمَّا قَالَ أَصْحَابِكُمْ عَنْهُ، وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَمَى بَعْدَ الْجَلَاءِ، وَمَنْ الضَّلَالَةَ بَعْدَ الْهُدَى، وَمَنْ مُؤَبَقَاتِ الْأَعْمَالِ، وَمُرْدِيَاتِ الْفِتَنِ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢). كيف يتساقطون في الفتنة، ويترددون في الحيرة، ويأخذون يمينًا وشمالًا، فارقوا دينهم، أم ارتابوا، أم عاندوا الحق، أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة والأخبار الصحيحة، أو علموا ذلك فتناسوا، ما يعلمون أن الأرض لا تخلو من حجة إما ظاهرًا وإما مغمورًا. أولم يعلموا انتظام أئمتهم بعد نبيهم صلى الله عليه وآله واحدًا بعد واحد، إلى أن أفضى الأمر بأمر الله عز وجل إلى الماضي - يعني الحسن بن

[١]- في الرواية: «عن أبي الصلت الهروي قال: كان الرضا عليه السلام يكلم الناس بلغاتهم وكان والده أفصح الناس وأعلمهم بكل لسان ولغة فقلت له يوماً: يا بن رسول الله، إني لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها! فقال: يا أبا الصلت أنا حجة الله على خلقه وما كان الله ليأخذ حجة على قوم وهو لا يعرف لغاتهم أو ما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «أوتينا فصل الخطاب؟! فهل فصل الخطاب إلا معرفة اللغات». الصدوق، عيون أخبار الرضا، م. س، ج ١، ص ٢٥١. وقد يشمل مفهوم «فصل الخطاب» القضاء كما تقول المعاجم اللغوية.

[٢]- الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، م. س، ج ١، ص ١٨٩.

[٣]- مؤسسة المعارف الإسلامية، معجم أحاديث الإمام المهدي، م. س، ج ١، ص ١٨٩.

عليّ (عليه السلام) - فقام مقام آبائه (عليهم السلام) المهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، كانوا نوراً ساطعاً، وشهاباً لامعاً، وقمراً زاهراً، ثم اختار الله عزَّ وجلَّ له ما عنده فمضى على منهاج آبائه (عليهم السلام) حذو النعل بالنعل على عهد عهده، ووصية أوصى بها إلى وصيِّ ستره الله عزَّ وجلَّ بأمره إلى غاية، وأخفى مكانه بمشيئة للقضاء السابق والقدر النافذ، وفيما موضعه، ولنا فضله، ولو قد أذن الله عزَّ وجلَّ فيها قد منعه عنه وأزال عنه ما قد جرى به من حكمه لأراهم الحقَّ ظاهراً بأحسن حلية، وأبين دلالة، وأوضح علامة، ولأبان عن نفسه وقام بحجته، ولكن أقدار الله عزَّ وجلَّ لا تُغالب وإرادته لا تُرد وتوفيقه لا يُسبَق، فليدعوا عنهم أتباع الهوى، وليقيموا على أصلهم الذي كانوا عليه، ولا يبحثوا عما ستر عنهم فإثموا، ولا يكشفوا ستر الله عزَّ وجلَّ فيندموا، وليعلموا أن الحقَّ معنا وفينا، لا يقول ذلك سواناً إلا كذَّابٌ مُفتر، ولا يدعيه غيرنا إلا ضالُّ غويٌّ، فليقتصروا منا على هذه الجملة دون التفسير، ويقنعوا من ذلك بالتعريض دون التصريح إن شاء الله»<sup>[١]</sup>.

### ٣. التوحيد الكامل

لا يمكن الحصول على رؤية توحيدية كاملة للذات الإلهية إلا من خلال أهل البيت (عليهم السلام)، الذين توسَّعوا في بيان مفردات التوحيد بالحجة والبرهان، فأكدوا على تنزيه الله سبحانه عن الجسمية والصورة والحركة والانفعال، ونفوا عنه الشبيه، وجعلوه متفرداً بالأزلية والأبدية والحياة والقدرة والعلم.

وإثبات صفات الأزلية والعلم والقدرة لله يعني إثبات تفرده، سبحانه وتعالى، بالخلق والرزق والإحياء والإماتة. والنبِّي أو الإمام لا يخلقون ولا يرزقون وإنما يدعون الله فيخلق أو يرزق أو يحيي أو يميت..

وقد واجه الأئمة بشكل مستمر الغلاة الذين كانوا يؤهونهم وينسبون لهم صفات الله. وتواصل الأمر مع الإمام الحجة (عليه السلام). ففي زمان غيبته الصغرى، ظهر القرامطة الغلاة، وتأسست الدولة الفاطمية التي كانت تتبنَّى الغلو وتنسب الإمامة لأشخاص ادعياء. بل إنَّ أحدهم، وهو المنصور الفاطمي، ادعى الألوهية ونشأت فرقة تؤهِّه

[١]- مؤسسة المعارف الإسلامية، معجم أحاديث الإمام المهدي، م. ج ١، ص ٥١٠.

أسسها حمزة بن عليّ. كما كانت هناك الفرقة النصيرية التي تتبنى الغلوّ وتعتبر أنّ الإمام عليّ عليه السلام هو العقل الأوّل والنور الأوّل الذي انبثقت عنه بقية العقول والأنوار بشكلٍ طوليّ.

وقد تسرّب الغلوّ إلى الأوساط «الإمامية»، فتحول كثير منهم إلى الغلوّ في الأئمة عليهم السلام، ونسبوا إليهم الخلق والرزق وعلم الغيب وغير ذلك.. وهو شيء لا يزال مستمرّاً إلى اليوم بأشكال متعدّدة. ففي الرواية: «اختلف جماعة من الشيعة في أنّ الله عزّ وجلّ فوّض إلى الأئمة عليهم السلام أن يخلقوا أو يرزقوا؟ فقال قوم هذا محال لا يجوز على الله تعالى، لأنّ الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عزّ وجلّ وقال آخرون، بل الله تعالى أقدر الأئمة على ذلك وفوّضه إليهم، فخلقوا ورزقوا وتنازعوا في ذلك تنازعا شديداً. فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمّد بن عثمان العمريّ، فتسألونه عن ذلك فيوضح لكم الحقّ فيه، فإنّه الطريق إلى صاحب الأمر عجلّ الله فرجه، فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلّمت وأجابت إلى قوله، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته:

«إنّ الله تعالى هو الذي خلق الأجسام وقسّم الأرزاق؛ لأنّه ليس بجسم ولا حال في جسم، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، وأمّا الأئمة عليهم السلام، فإنّهم يسألون الله تعالى، فيخلق ويسألونه فيرزق، إيجاباً لمسألهم وإعظاماً لحقّهم»<sup>[١]</sup>.

وفي هذا المقطع تأكيد على تنزيه الذات الإلهية. فالله ليس جسماً كما يقول الحشوية؛ لأنّ الجسم مركّب والمركّب حادث. وهو ليس حالاً في جسم كما يقول الحلويّة من المتصوّفة والغلاة؛ لأنّ ذلك يعني أن ينقلب القديم حادثاً والحادث قديماً وهو محال. ونفي التشبيه يعني أنّ الخالق للأجسام ليس جسماً ولا روحاً ولا جوهرًا ولا عرضاً، وهو بلا مكان ولا زمان ولا تشمله الحركة ولا الانفعالات؛ لأنّ غضبه عقابه ورضاه ثوابه..

وإذا كان الله منزّها عن الجسميّة والشبيه والحدود، فإنّه لا حدود لعلمه وقدرته أيضاً؛

[١]- الطوسي، الغيبة، م. س، ص ٣١٧.

لأنها صفات ذات. ونسبة العلم بالغيب والقدرة المطلقة للأئمة ليس إلا غلوًا. وفي ذلك يقول الإمام: «يا محمد بن علي.. تعالى الله عز وجل عما يصفون سبحانه وبحمده. لسنا نحن شركاءه في علمه ولا في قدرته بل لا يعلم الغيب غيره كما قال في محكم كتابه تبارك وتعالى «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>[١]</sup>.

ومن الطبيعي أن يشكو الإمام «حمق جهلة الشيعة» الذين سقطوا في الغلو، فيقول: «يا محمد بن علي قد أذانا جهلاء الشيعة وحمقاً وهم ومن دينه جناح البعوضة أرحح منه. وأشهد الله الذي لا إله إلا هو وكفى به شهيداً ومحمداً رسولاً وملائكته وأنبياءه وأولياءه. وأشهدك وأشهد كل من سمع كتابي هذا أني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول إنا نعلم الغيب أو نشارك الله في ملكه أو يجلنا محلاً سوى المحل الذي نصبه الله لنا وخلقنا له أو يتعدى بنا عما قد فسرتك لك وبينته»<sup>[٢]</sup>.

لا يعلم الإمام الغيب بشكل مستقل، تماماً كما هو حال النبي صلى الله عليه وآله، وإنما يتلقى العلم من الله. فالله هو العالم الذي يعلم من يشاء من خلقه بالطريقة التي يشاء، وكل ما لدى المخلوق هو تعليم من الله. وعندما يخبر الإمام، عليه السلام، عن المغيبات أو يتحدث بلغات متعددة أو يجل المعضلات العلمية والقضائية، فإنه يفعل ذلك بما لديه من علم تلقاه عن الله تعالى. فعلمه ليس استقلالياً وإنما مصدره الله من خلال القرآن وتراث النبوة والإمام وسوى ذلك.

وفي المقابل، من المهم معرفة ما يميز الإمام من علم وحكمة وتقوى وفضل وعصمة وطهارة بشكل لا يتوفر لأحد غيره؛ حتى لا يضل الناس ويضيعوا بين دعاوى المدعين. وهنا يقول الإمام في أحد توقيعاته متحدثاً عن الأئمة الأوصياء: «أحيا بهم دينه، وأتمم بهم نوره، وجعل بينهم وبين إخوانهم وبنو عمهم والأدنين فالأدنين من ذوي أرحامهم فزقانا بيننا يُعرف به الحجّة من المحجوج والإمام من المأموم؛ بأن عصمهم من الذنوب وبرّاهم من العيوب وطهرهم من الدنس ونزّهم من اللبس وجعلهم خزّان علمه ومستودع سرّه، وأيدهم بالدلائل، ولولا ذلك لكان الناس على سواء، ولادعى أمر الله

[١]- ن زاد، محمد تقي، موسوعة توقيعات الحجّة، ص ٢١.

[٢]- م، ن، ص ٢٢.

عز وجل كل أحد ولما عرف الحق من الباطل ولا العالم من الجاهل.

وقد ادعى هذا المبطل المُفترِي (جعفر بن علي) على الله الكذب بما ادّعاه، فلا أدري بأية حالة هي له رجاء أن يتم دعواه بفقهِ في دين، فوالله ما يعرف حلالاً من حرام، ولا يفرق بين خطأ وصواب، أم بعلم فما يعلم حقاً من باطل ولا محكماً من متشابه ولا يعرف حد الصلاة ووقتها، أم بورع فالله شهيد على تركه الصلاة الفرض أربعين يوماً يزعم ذلك لطلب الشعوذة ولعل خبره قد تأدى إليكم»<sup>[١]</sup>.

#### ٤ . الحاجة إلى النبوة

إذا كانت الأرض لا تخلو من حجة، فإن الأنبياء هم أول حجج الله، وقد كان آدم نبياً، وكان حجة على من معه، فالله لم يخلق الخلق عبثاً ودون غاية وحكمة، بل خلقهم ليعرفوه ويعبدوه ويطيعوه ليحققوا بذلك كما لهم الإنساني وليستحقوا ثواب الله. ولا سبيل إلى ذلك دون مرشد ومعلم؛ ولأجل ذلك قال الإمام مخاطباً أحد أصحابه: «يا هذا.. يرحمك الله، إن الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم سُدىً، بل خلقهم بقدرته وجعل لهم أسماغاً وأبصاراً وقلوباً وألباباً، ثم بعث إليهم النبيين ﷺ مبشرين ومُنذرين، يأمرهم بطاعته وينهونهم عن معصيته، ويعرفونهم ما جهلوه من أمر خلقهم ودينهم، وأنزل عليهم كتاباً وبعث إليهم ملائكة، يأتين بينهم وبين من بعثهم إليهم بالفضل الذي جعله لهم عليهم، وما آتاهم من الدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والآيات الغالبة، فمنهم من جعل النار عليه برداً وسلاماً، واتخذ خليلاً، ومنهم من كلمه تكليماً، وجعل عصاهُ ثعباناً مُبيناً، ومنهم من أحيا الموتى بإذن الله، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، ومنهم من علمه منطلق الطير وأوتي من كل شيء، ثم بعث محمداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين، وتمم به نعمته، وختم به أنبياءه، وأرسله إلى الناس كافة، وأظهر من صدقه ما أظهر، وبين من آياته وعلاماته ما بين، ثم قبضه صلى الله عليه وآله حميداً فقيداً سعيداً...»<sup>[٢]</sup>.

[١]- ن زاد، محمد تقى، موسوعة توقيعات الحجة، ص ٢٥.

[٢]- المجلسي، بحار الأنوار، م. س، ج ٥٣، ص ١٩٤.

## ٥. احتجاجات الإمام المهديّ الكلامية

لم يكن الإمام المهديّ عليه السلام، يمارس الاحتجاج مع المخالفين بشكل مباشر، سواء أكانوا من الفرق المغالية أم الفرق الضالّة أم الأديان الوضعية أم اللادينيين.. وكان هذا مفهوماً بحكم وضعه الدقيق الذي حتمّ الغيبة بإرادة الله سبحانه.

غير أنّ الإمام كانت تصله استفهات من شيعته حول قضايا متعددة كانت تستعصي عليهم أثناء مناظراتهم مع المخالفين. وفي أحيان أخرى، كانوا يطلبون الموقف السليم إزاء معتقدات مغالية كانت تتجول بين المجالس. وكان الإمام يجب عليها إمّا بشكل مباشر مع شيعته أو من خلال سفرائه، ويمكن توزيع احتجاجاته إلى قسمين: قسم يتعلّق بالغلاة، وقسم يتعلّق بالفرق الضالّة.

### أ. الاحتجاج على الغلاة

يبدو أنّ الفضاءات الدينية زمن الغيبة الصغرى، وحتى قبل ذلك، كانت تعجّ بالغلاة الذين يثّون معتقداتهم، الواردة من الديانات الوضعية القديمة، ولم يغيّروا سوى الأسماء والمصطلحات. فكان هناك محمّد الحسن السريعيّ ومحمّد بن نصير النميريّ الذي ادّعى البابية لصاحب الزمان، وكان يُظهر الغلوّ والتناسخ، ويدّعي أنّه رسول نبيّ أرسله عليّ بن محمّد عليه السلام، ويقول بإباحة المحارم واللواط. وكان أيضاً من جملة الغلاة أحمد بن هلال الكرخي.. كما كان هناك محمّد بن عليّ بن بلال، والحسين بن منصور الحلاج، ومحمّد بن عليّ الشلمغانيّ المعروف بابن أبي العزاقريّ وغيرهم.. وقد تبرّأ منهم الإمام ولعنهم وحذّر منهم ومن معتقداتهم<sup>[١]</sup>.

وقد كان أبو الخطّاب أحد الغلاة الأوائل الذين عاصروا الإمام الصادق، فطرده ولعنه وحذّر منه. فقال: «وأما أبو الخطّاب محمّد بن أبي زينب الأجدع، ملعون وأصحابه ملعونون، فلا تجالس أهل مقالاتهم، فإنّي منهم بريء، وآبائي عليهم السلام منهم براء»<sup>[٢]</sup>. لكن

[١]- الطبرسي، الاحتجاج، م. س، ج ٢، ص ٢٨٩.

[٢]- م. ن، ص ٢٨٣.

خطّه استمر مع الإسماعيلية والنصيرية أتباع محمد بن نصير النميري وغيرهما من الذين تبرأ منهم الأئمة ومنهم القائم عليه السلام.

وربما تسربت بعض معتقداتهم إلى الشيعة، فظهرت الخلافات بينهم، وبات كثير منهم يعتقد بما يعتقد الغلاة. ومن ذلك اعتبار الأئمة عدلاً وجودية، وإنكار موتهم باعتبارهم أرباباً لا يموتون، فهم يعتقدون بسلسلة من الأرباب يتوالد بعضهم عن بعض، على طريقة سلسلة الأرباب في الهندوسية أو سلسلة العقول والعلل في الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، إلى أن نصل إلى الإمام الأخير، فيكون هو علة الكون؛ ولذلك ادّعوا مثلاً أن الإمام علي لم يموت والإمام الحسين لم يقتل. وقد ردّ عليهم الإمام عليه السلام، فقال: «وأما قول من زعم أن الحسين لم يقتل، فكفر وتكذيب وضلال»<sup>[١]</sup>. فإنكار وفاة الإمام ينسب، في الحقيقة، على منظومة اعتقادية كاملة يؤمن بها الغلاة.

وكما أن الغلاة ينفون موت الأئمة أو بعضهم، فإنهم ينسبون إليهم الخلق والرزق وعلم الغيب والقدرة؛ وهذا منسجم مع نظرية الفيض والتفويض الأفلاطونية المحدثة أيضاً، التي تستقي من الديانات الوضعية. قال أبو الحسن علي بن أحمد الدلال القمي: اختلف جماعة من الشيعة في أن الله عز وجل فوض إلى الأئمة عليهم السلام أن يخلقوا ويرزقوا، فقال قوم: هذا محال لا يجوز على الله تعالى، لأن الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عز وجل، وقال آخرون: بل الله أقدر الأئمة على ذلك وفوض إليهم فخلقوا ورزقوا، وتنازعوا في ذلك نزاعاً شديداً، فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمد بن عثمان فتسألوه عن ذلك ليوضح لكم الحق فيه، فإنه الطريق إلى صاحب الأمر، فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلمت وأجابت إلى قوله، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع، نسخته: إن الله تعالى هو الذي خلق الأجسام، وقسم الأرزاق؛ لأنه ليس بجسم ولا حال في جسم، ليس كمثل شيء، وهو السميع البصير. وأما الأئمة عليهم السلام، فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق إيجاباً لمسألتهم، وإعظماً لحقهم»<sup>[٢]</sup>.

[١]- الطبرسي، الاحتجاج، م. س، ص ٢٨٣.

[٢]- م. ن، ج ٢، ص ٢٨٥.

ومما خرج عن صاحب الزمان عليه السلام، ردًّا على الغلاة، توقيع جواب لكتاب كتب إليه على يدي محمد بن علي بن هلال الكرخي: «يا محمد بن علي، تعالى الله وجلِّ عما يصفون، سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاؤه في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال في محكم كتابه تباركت أسماؤه: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النمل: ٦٥). وأنا وجميع آبائي من الأولين: آدم ونوح وإبراهيم وموسى، وغيرهم من النبيين، ومن الآخرين محمد رسول الله، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم ممن مضى من الأئمة عليهم السلام، إلى مبلغ أيامي ومنتهى عصري، عبيد الله عز وجل يقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ تَنْسَى﴾ (طه: ١٢٤-١٢٦). يا محمد بن علي قد آذانا جهلاء الشيعة وحقاؤهم، ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه»<sup>[١]</sup>.

### ب. الاحتجاج على الحشوية

بينما كان الغلاة ينسبون صفات الألوهية من الخلق والرزق والقدرة وغيرها للإمام، وكان الإمام يجيب على شبهاتهم ويتبرأ منهم ومن معتقداتهم، كان أتباع من المذاهب السنية المختلفة يهْمشون دور الإمام من آل البيت ويستنقصون من مقامه، ويفضّلون عليه غيره فقط لأنه أصبح حاكمًا متغلبًا. وكانت المحاجّات بينهم وبين المؤمنين مستمرة. وفي بعض الأحيان يعجز المحاور الشيعي عن الإجابة، فيستنجد بالأمام أو سفيره، وكان الإمام يجيب على ما يصله من استفسارات رغم أنها كانت قليلة ونادرة.

ولعلّ مسألة تحديد الإمام بشخصه وهويته كانت واحدة من أكثر المسائل إثارة، فالقضية هنا تتعلق بالإمامة الدينية والعلمية التي تحفى على الناس، غالبًا، فيختارون الشخص الخطأ للقيادة السياسية والمرجعية الدينية، أو يفرض عليهم، دون الإمام الحقيقي. سأل سعد بن عبد الله القمي الأشعري الإمام عليه السلام، وهو لا يزال صغيرًا مع أبيه في سامراء عندما زاره صحبة أحمد بن إسحاق أحد وكلائه. قال قلت: «أخبرني يا

[١]- الطبرسي، الاحتجاج، م. س، ج ٢، ص ٢٨٨.

مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم؟ قال: مصلح أو مفسد؟ فقلت: مصلح. قال: هل يجوز أن يقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد. قلت: بلى. قال: فهي (العلة) أيدها لك برهان يقبل ذلك عقلك. قلت: نعم<sup>[١]</sup>. فهنا يحتاج الإمام على ضرورة تعيين الإمام من الله لاحتمال خطأ الناس في الاختيار.

وفي الغالب يخطئ الناس إذا سُمح لهم بالاختيار، فلا يختارون إلا المفسد، والحالات التي أصابوا فيها فاختاروا نبياً أو وصياً للحكم قليلة، ولعل إصابتهم في الاختيار كانت نتيجة انصياعهم لأمر الله لسبب أو لآخر مثل الإيمان أو المصلحة، كما حدث مع أمير المؤمنين عليّ مثلاً.

ثم ضرب الإمام مثال موسى عليه السلام، فقال: «فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله، وكمال علمه، ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه سبعين رجلاً ممن لم يشك في إيمانهم وإخلاصهم، فوقع خيرته على المنافقين. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ (الأعراف: ١٠٤)، فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوّة واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد، علمنا أن لا اختيار لمن لا يعلم ما تخفي الصدور وما تكن الضمائر، وينصرف عنه السرائر. وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أرادوا أهل الصلاح»<sup>[٢]</sup>.

وفي احتجاجه على إمامة الإمام الحقّ قال، عليه السلام، وهو يردّ على بعض الحائرين والشاكين بعد ادعاء عمّه جعفر بن عليّ الإمامة: «وجعل -الله سبحانه وتعالى- بينهم وبين أخوتهم وبنو عمهم والأدنين فالأدنين من ذوي أرحامهم فرقاً بيناً، تُعرف به الحجة من المحجوج، والإمام من المأموم بأن عصمهم من الذنوب، وبرّاهم من العيوب، وطهرهم من الدنس، ونزّهم من اللبس، وجعلهم خزّان علمه، ومستودع حكمته، وموضع سرّه، وأيدهم بالدلائل ولولا ذلك لكان الناس على سواء، ولادّعى

[١]- الطبرسي، الاحتجاج، م. س، ج ٢، ص ٢٧٣.

[٢]- م. ن، ج ٢، ص ٢٧٤.

أمر الله عزّ وجلّ كلّ أحد، ولما عرف الحقّ من الباطل، ولا العلم من الجهل»<sup>[١]</sup>.

فالإمام من الله يجب أن يكون معصوماً من الدنس والذنوب والزلل والعيوب.. ولا بدّ أن يكون عالماً حكيماً تقيّاً ورعاً، وأن تكون له كراماته ومعجزاته التي يثبت بها إمامته لمن يشكّ في ذلك، حتى يُعرف الإمام الحقيقيّ من المدّعي، وحتى يتميّز الحقّ من الباطل والعلم من الجهل.. إنّ الإمام هادٍ ومرشدٌ، ولا يمكن أن يلعب هذا الدور إلّا العالم والحكيم، وهو أيضاً قدوة وأسوة، ولا يمكن أن يكون كذلك إلّا التقيّ الورع والنقيّ الطاهر..

## ٦. آفاق علم الكلام بعد الغيبة الصغرى

بدأ الكلام في العقيدة بشكل مبكّر. ونجد له حضوراً قوياً في القرآن الكريم وحديث النبيّ ﷺ، الذي كان يناقش الوثنيين والدهريين واليهود والنصارى وغيرهم، كما نقلت لنا بعض المصادر، وكذلك كلام الإمام عليّ في خطبه وأجوبته وردوده ونقاشاته مع الجماعات المختلفة، واستمرّ الأمر واتّسع مع سائر الأئمة عليهم السلام، في مناظراتهم ومحاجّاتهم مع الفرق الأخرى. وهذه المرحلة يمكن أن نسمّيها بـ: مرحلة التأسيس، على يد المعصومين.

وأثناء الغيبة الصغرى وبعدها بزمن قصير بدأت مرحلة الجمع، وهي المرحلة التي تمّ فيها جمع ذلك التراث الروائيّ ضمن موسوعات حديثة، اعتبرت موثوقة في مجملها، فعُرفت بالكتب المعتمدة، وسمّيت بالأصول الأربعة. وكان من المبادرين إلى جمع الحديث الوارد عن النبيّ والأئمة عليهم السلام، الشيخ الكلينيّ أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي (ت ٣٢٩هـ) الذي وُلد في الريّ وتوفّي في بغداد وتزامنت وفاته مع انتهاء مرحلة الغيبة الصغرى.

ولا شكّ أنّ الكلينيّ أو الصدوق ليسا أوّل من جمع الحديث. بل هناك من سبقهما في ذلك مثل سليم بن قيس، غير أنّ الجمع النسقيّ والشامل للمسائل العقيدية والفقهية والتاريخية وقع مع الكلينيّ والصدوق والطوسي وغيرهم مثل النعمانيّ والصفار..

[١]- الطبرسي، الاحتجاج، م. س، ص ٢٨٠.

وكتاب الكافي مكوّن من ثمانية أجزاء تحتوي على ١٦١٩٩ حديثاً، أكثر من ربعها في أصول العقيدة. وهذا الكتاب هو واحد من أهمّ مؤلّفات الكلينيّ التي أغنت المكتبة الشيعيّة. والجزءان الأوّل والثاني هما اللذان تناولوا موضوعات العقيدة. وكان أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن جعفر النعمانيّ، المعروف بابن أبي زينب (٣٦٠ هـ / ٩٧١ م)، أحد أهمّ تلامذة الكلينيّ، وهو متكلّم ومفسّر ومحدّث من أعلام القرن الرابع الهجريّ. وقد ترك الكثير من المصنّفات من أبرزها كتاب الغيبة.

وبعد الكلينيّ جاء أبو جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه القميّ (٣٠٦-٣٨١ هـ) وكتب الكثير من المدوّنات الروائيّة التي تناولت العقيدة، حيث كتب: التوحيد، عيون أخبار الرضا، كمال الدين واتمام النعمة، وفي الفقه كتب: من لا يحضره الفقيه، وهو أحد الكتب الأربعة المعتمدة عند الإماميّة، إضافة إلى كتب أخرى كثيرة ضاع بعضها ولم يصل إلينا.

أمّا صاحب الموسوعات الروائيّة الآخر، فهو أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ (٣٨٥-٤٦٠ هـ) الذي كان من متكلّمي الشيعة ومحدّثهم ومفسّريهم وفقهائهم في القرن الخامس، قدّم إلى العراق من خراسان في سن الثالثة والعشرين، وتلمذ على يد علماء الشيعة هناك، كالشيخ المفيد والشريف المرتضى.

وقد أسند إليه الخليفة العبّاسيّ كرسيّ كلام بغداد، وعندما احترقت مكتبة شابور بسبب هجوم طغرل بك هاجر إلى النجف وأسس الحوزة هناك، وأصبح مرجعاً وزعيماً للشيعة الإماميّة بعد وفاة الشريف المرتضى. وقد ألّف العشرات من الكتب، بعضها كلاميّ يتناول موضوعات اعتقاديّة والبعض الآخر يتعلّق بالفقه والأصول، وقد نسب إليه تأسيس طريقة في الاجتهاد المطلق.

جمع الطوسيّ بين الرواية والتنظير، ورغم وجود متكلّمين آخرين سبقوه إلى الكتابة التنظيريّة، إلّا أنّه يمكن اعتباره نقطة وصل بين مرحلة جمع التراث ومرحلة التنظير النسقيّ للكلام الإماميّ بحكم جمعه بين التخصّصين. ومرحلة التنظير هي المرحلة الثالثة. لكن هذه المراحل الثلاث: التأسيس والجمع والتنظير ليست منفصلة أو متتابعة، بل متداخلة ومتزامنة أحياناً. ففي وقت واحد يأخذ الراوي الحديث فيجمعه

وبيني عليه مجادلاته وكتابه. وذلك الحديث يكون بالأساس قد استخدمه النبي أو الإمام في محاجة المنكرين.

مثل التراث الروائي القاعدة العلمية التي سينطلق منها علم الكلام عند الإمامية. وقد ظهرت مع الطوسي أسماء كثيرة لتكلمين من الإمامية في القرن الرابع الهجري بعد نهاية الغيبة الصغرى أو في عقودها الأخيرة..

ومن الأسماء البارزة في علم الكلام من الرعيل الأول، الحسن بن علي بن أبي عقيل، الذي قال عنه النجاشي إنه: «فقيه متكلم ثقة، له كتب في الفقه والكلام منها: كتاب المتمسك بحبل آل الرسول كتاب مشهور في الطائفة»<sup>[١]</sup>.

وإسماعيل بن علي بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت، الذي قال فيه النجاشي نفسه: «كان شيخ المتكلمين من أصحابنا وغيرهم، له جلاله في الدنيا والدين، يجري مجرى الوزراء في جلاله الكتاب، صنّف كتباً كثيرة، منها: كتاب الاستيفاء في الإمامة، التنبيه في الإمامة، كتاب الرد على محمد بن الأزهر في الإمامة، كتاب الرد على اليهود»<sup>[٢]</sup>.

والحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (أخو الصدوق القمي)، وله كتب، منها: كتاب التوحيد ونفي التشبيه، وكتاب عمله للصاحب أبي القاسم بن عباد. قد توفي أخوه عام ٣٨١ هـ، فهو من أعيان القرن الرابع، وهو وأخوه ولدا بدعوة صاحب الأمر. ومحمد بن بشر الحمدوني (أبو الحسن السوسنجردي)، وهو «متكلم جيد الكلام، صحيح الاعتقاد، كان يقول بالوعيد، له كتب منها: كتاب المقنع في الإمامة، كتاب المنقذ في الإمامة»<sup>[٣]</sup>.

ومحمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي، وهو «أبو جعفر، متكلم، عظيم القدرة، حسن العقيدة، قوي في الكلام، كان قديماً من المعتزلة، وتبصر وانتقل، له كتب في الكلام، وقد سمع الحديث، وأخذ عنه ابن بطة وذكره في فهرسته الذي يذكر فيه من سمع منه،

[١]- النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، ص ٤٨.

[٢]- م. ن، ص ٣١.

[٣]- م. ن، ص ٣٨١.

فقال: وسمعت من محمد بن عبد الرحمن بن قبة، له كتاب الإنصاف في الإمامة، وكتاب المستثبت نقض كتاب أبي القاسم البلخي (ت ٣١٩ هـ)، وكتاب الرد على الزيدية، وكتاب الرد على أبي عليّ الجبائي، المسألة المفردة في الإمامة»<sup>[١]</sup>.

وعليّ بن وصيف، أبو الحسن الناشئ (٢٧١ - ٣٦٥ هـ) «الشاعر المتكلم، ذكر شيخنا رضي الله عنه، أنّ له كتاباً في الإمامة»<sup>[٢]</sup>. وهو من كبار متكلمي الشيعة، عاصر الجبائي (ت ٣٠٣)، والبلخي (ت ٣١٩)، وأبا جعفر بن قبة المتوفى قبل البلخي.

وفي أوائل القرن الخامس، بدأت مرحلة التأطير النظري التي انتقل فيها علم الكلام إلى مستويات أخرى، فبدأت الصياغة النظرية المتكاملة لكلّ الجوانب الاعتقادية. وظهر في الأوساط الشيعية رواد كبار، نشير إلى بعضهم، مثل: الشيخ المفيد (٣٣٦ - ٤١٣ هـ)، وهو محمد بن محمد بن نعمان الذي انتزع اعتراف الموافق والمخالف وأثنوا عليه. قال معاصره ابن النديم (المتوفى ٣٨٨ هـ) وهو يعرفه في الفهرست: «ابن المعلم، أبو عبد الله، في عصرنا انتهت رئاسة متكلمي الشيعة إليه، مقدّم في صناعة الكلام على مذهب أصحابه، دقيق الفطنة، ماضي الخاطرة، شاهدهته، فرأيته بارعاً»<sup>[٣]</sup>. وقال عنه الذهبي: «عالم الرافضة، صاحب التصانيف، الشيخ المفيد.. كان صاحب فنون وبحوث وكلام، واعتزال وأدب»<sup>[٤]</sup>.

وهناك أيضاً، عليّ بن الحسين الشريف المرتضى (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ)، تلميذ الشيخ المفيد. عرفه تلميذه النجاشي بقوله: «حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، وكان متكلماً شاعراً، أديباً، عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا، ومن كتبه الكلامية: «الشافى» في نقض المغني للقاضي عبد الجبار في قسم الإمامة، وكتاب «تنزيه الأنبياء والأئمة»، و«الذخيرة» في علم الكلام، وغيرها من الرسائل، شرح جمل العلم والعمل»<sup>[٥]</sup>.

[١]- النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، ص ٣٧٥.

[٢]- م. ن، ص ١٧١.

[٣]- ابن النديم، محمد بن إسحاق، فهرست ابن النديم، ص ٢٢٦.

[٤]- الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٣٤٤.

[٥]- النجاشي، رجال النجاشي، م. س، ص ٢٧٠.

وكذلك محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ). يُعرفه العلامة بقوله: «شيخ الإمامية ورئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأصول، والكلام والأدب، وجميع الفضائل تنتسب إليه»<sup>[١]</sup>. وله في الكلام كتبٌ كثيرةٌ منها: الجمل والعقود.

استطاع علماء الكلام الإمامية في القرنين الرابع والخامس للهجرة وضع الأطر النظرية للرؤية الكلامية الشيعية. فقد حولوا الروايات المعتمدة في المجالات الاعتقادية المتعددة إلى مادة صنعوا منها رؤاهم في مختلف المسائل الاعتقادية ومواجهة الخصوم من الفرق الأخرى.

لكن ذلك لم يمنع من ظهور اختلافات فيما بينهم تتعلق غالباً بجزئيات اعتقادية، ولكنها مهمة ومؤثرة في أحيان كثيرة، مثل قضية سهو المعصوم في مقام العمل والاختلاف حول بعض الصفات مثل صفة الإرادة.. غير أنهم لم يختلفوا حول المفاصل الأساسية للعقيدة كما هي مسائل التوحيد والصفات والنبوة والإمامة والمعاد.

ومع ابتعاد المتكلمين عن عصر النص بدأت الكثير من المقولات الصوفية والباطنية والفلسفية تتسرب إلى داخل الكلام الإمامي، وبات لها منظرٌ ومدافعونٌ كثيرون بوسائل مختلفة تعتمد تضعيف الروايات أو تأويلها في الاتجاه الذي يخدم قناعات أصحابها. فصارت مفاهيم الفيض والصدور وقدم العالم والعقول الطولية ووحدة الوجود والمعاد الروحاني دون الجسماني تجدها رواجاً في الدرس الكلامي وفي كتابات الكثير من المهتمين.

[١]- العلامة الحلي، خلاصة الأفعال، ص ٢٤٩.

## خاتمة

بدأت الدولة العباسية بالتفكك منذ بداية النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، بعد تغلغل الأتراك في مفاصل الدولة، وانتقال مركز الحكم من سامراء إلى بغداد، وانفجار ثورات عديدة ضد الحكم العباسي كان أبرزها ثورة الزنج وحركة القرامطة.. وتواصل هذا الأمر إلى أن ظهرت الدولة الفاطمية التي ادعى مؤسسها الذي كان اسماعيلي المذهب أنه المهدي المنتظر.

وكان لبطش الحكام العباسيين -الذين عاصر منهم الإمام المهدي عليه السلام ستة في زمن الغيبة الصغرى- دورٌ في ظهور حركات الغلو التي أسست في النهاية دولة لها وربما أكثر. كما أنّ الحركة الشعبية أفرزت مبكرًا ظاهرة الغلو، وكان متوقعًا أن يعمل الغلاة على تأسيس دولة لهم بعيدًا عن المركز العباسي بعد أن طردهم الأئمة عليهم السلام عن ساحتهم وتبرؤوا منهم. وفي المقابل تبلور المذهب الأشعري الذي جمع بين معتقدات الجبر والإرجاء والحشو. وبات المذهب الغالب بين المسلمين.

وفي غيبته الصغرى، اتخذ الإمام عليه السلام، أربعة سفراء مثلوا الخيط الرابط بينه وبين شيعته. لكن ذلك لم يمنع من تواصله المباشر مع بعضهم من أجل تأكيد وجوده وإمامته بما كان يقدمه لهم من حلول لمشاكلهم وأجوبة عن تساؤلاتهم وأعمال إعجازية تجذّر إيمانهم. وقد استطاع السفراء الأربعة المحافظة على سرّية مهمّتهم ولعب دور الوسيط بين الإمام وشيعته، فكان يجيب على استفساراتهم الفقهية ويردّ على الشبهات العقائدية. وعندما ظهر وكلاء مزورون في مناطق مختلفة تمّ كشفهم وتحذير المؤمنين منهم.

لم تكن هناك انشقاكات ظاهرة عن الإمامية زمن الغيبة الصغرى. فالحركات المنشقة، كالزيدية، والاتجاهات الباطنية المغالية كالنصيرية والإسماعلية، كانت سابقة على الإمام. لكنّها في المقابل قادت ثورات ضد العباسيين واستطاعت أن تتسبب في تفكك دولتهم

واستقلال الكثير من الأقاليم عنها في إفريقية ومصر وإيران وغيرها..

وبعد أن تبلور الكلام الشيعي الإمامي في الغيبة الصغرى، ظهرت المدونات الروائية والتفسيرية الكبرى، التي ستمثل الأساس العلمي للحركة العلمية والفكرية، والتي سيعمل الكثير من العلماء من خلالها على بناء الرؤى العقائدية والمدونات الفقهية، التي تُبرز فرادة المعتقد الإمامي وتفوقه في عقلانيته وارتباطه بالنصوص الأولية الموثوقة في القرآن والسنة على كل المنظومات المذهبية الأخرى.

## قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الصبّاح، عليّ بن محمّد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة، دار الحديث، قم- إيران، ١٣٨٠ هـ.
٢. ابن النديم، محمّد بن إسحاق، فهرست ابن النديم، تحقيق رضا تجدد المازندرانيّ، طهران، ١٩٧١ م.
٣. الأشعريّ، أبو الحسن، الإبانة، مدار المسلم للنشر، الرياض-السعودية، ط١، ١٤٣٢ هـ-٢٠١١ م.
٤. الأمين، محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت-لبنان، د.ت.
٥. البرزنجيّ، محمّد بن رسول، الإشاعة لأشراط علم الساعة، دار المنهاج، بيروت-لبنان.
٦. الجوينيّ، إبراهيم بن محمّد، فرائد السمطين، مؤسّسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، د.ت.
٧. الحليّ، العلّامة، خلاصة الأقوال، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم-إيران، ط١، ١٤١٧ هـ.
٨. الذهبيّ، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، مؤسّسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط٩، ١٩٩٣ م.
٩. السلميّ الشافعيّ، يوسف بن يحيى، عقد الدرر في أخبار المهديّ المنتظر، مكتبة المنار، الزرقاء-الأردن، ١٤١٠ هـ-١٩٨٩ م.

١٠. الصدر، محمد، تاريخ الغيبة الصغرى، دار التعارف، بيروت-لبنان، ١٩٩٢ م.
١١. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القميّ، عيون أخبار الرضا، مؤسسة الأعلميّ، بيروت - لبنان، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤ م.
١٢. الصدوق، محمد بن عليّ بن بابويه القميّ، كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم-إيران، ١٤٠٥ هـ.
١٣. الطبرسيّ، الفضل بن الحسن، إعلام الوريّ، مؤسسة آل البيت، قم-إيران، ط١، ١٤١٧ هـ.
١٤. الطبرسيّ، الفضل بن الحسن، الاحتجاج، منشورات، دار النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ-١٩٦٦ م.
١٥. الطوسيّ، محمد بن الحسن، الغيبة، مؤسسة المعارف الإسلاميّة، قم-إيران، ط١، ١٤١١ هـ.
١٦. القندوزيّ الحنفيّ، سليمان بن خوجه إبراهيم قبلان، ينباع المودّة، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت-لبنان.
١٧. الكلينيّ، محمد بن يعقوب، الكافيّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط٣، ١٣٨٨ هـ.
١٨. الكورانيّ، عليّ، معجم أحاديث الإمام المهديّ، مؤسسة المعارف الإسلاميّة، ط١، قم-إيران، ١٤١١ هـ.
١٩. المباركفوريّ، محمد عبد الرحمن، تحفة الأحوذبيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان.
٢٠. المجلسيّ، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٠٣ هـ-١٠٨٣ م.

٢١. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، دار المفيد، بيروت-لبنان، ط ٢، ١٤١٤هـ-١٤٠٣.
٢٢. النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم-إيران، ١٤٠٧هـ.
٢٣. النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة، منشورات أنوار الهدى، قم-إيران، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٢٤. كتاب الموسوعة العقدية الدرر السنية، المكتبة الشاملة الحديثة، نسخة إلكترونية، ج ٤، الفرع الخامس في نقل كلام أهل العلم في إثبات حقيقة المهدي.
٢٥. مجموعة مؤلفين، أعلام الهداية، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، قم-إيران، ط ١، ١٤٢٢هـ، ج ١٤.
٢٦. نزاد، محمد تقي، موسوعة توقيعات الحجّة، مسجد جهمكران، قم-إيران، د.ت.

## هذا الكتاب

هذا الجزء الثالث من مشروع تاريخ علم الكلام، ضمن سلسلة (العلوم الإسلامية عند الإمامية)، ويعنى بعصر الإمامة الثاني، الذي يمتد من عصر الإمام الكاظم عليه السلام إلى بداية الغيبة الكبرى، أي (من ١٤٨ هـ إلى ٣٢٩ هـ). ففي هذه الحقبة، سيعيش المذهب الإمامي - الذي اكتمل بناؤه وتجدرت أصوله، مع الإمام الصادق عليه السلام - مساراً تاريخياً صعباً في ظل محاولات السلطة محاصرة الأئمة عليهم السلام والحيلولة دون امتداد خط الأئمة ومدرسة التشييع الإمامي في أوساط الأمة، داخل عواصم الدول، وفي آفاق البلاد الإسلامية.

فكان السجن والتنكيل بالإمام الكاظم عليه السلام (١٢٨ هـ - ١٨٣ هـ) أسلوب هارون العباسي، وكانت سياسة الاحتواء بمنح ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام (١٤٨ هـ - ٢٠٣ هـ) هي منهج المأمون العباسي. أما الأئمة الجواد عليه السلام (١٩٥ هـ - ٢٢٠ هـ) والهادي عليه السلام (٢١٢ هـ - ٢٥٤ هـ) والعسكري عليه السلام (٢٣١ هـ - ٢٦٠ هـ)، فكان نصيبهم من السياسة العباسية الحصار وفرض شبه الإقامة الجبرية عليهم؛ لينتهي المطاف بهم جميعاً إلى الاستشهاد، وآل هذا العصر إلى غياب الإمام الثاني عشر عليه السلام غيبة كبرى بعد أن مهد لها بغيبة صغرى، اتخذ فيها سفراء يشكلون رابط الاتصال مع أصحابه وشيعته، وهياً الشيعة لهذا التحول التاريخي الكبير الذي يُبنى بنهاية عصر النص، وبدء عصر جديد، تُوكل فيه مهمة حفظ الدين، والذود عن العقيدة وصون هوية الأمة، إلى العلماء الريانيين والمجتهدين الأبرار. وسيكتشف القارئ في هذا الكتاب بمباحثه الستة أدوار أئمة هذه الحقبة التاريخية في التأسيسات الكلامية بجميع أبعادها.



المركز الإسلامي للدراسات والبحوث

<http://www.iicss.iq>